

التعريب



مَجَلَّةُ نِصْفِ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُصَدَّرُ عَنِ الْمَرْكَزِ الْعَرَبِيِّ لِلتَّعْرِيبِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ بِدَمَشَقَ

المنظمة
العربية
للتربية
والثقافة
والعلوم

43

المُحَرَّم 1433 هـ - كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

السنة الثانية والعشرون
العدد الثالث والأربعون

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الثالث والأربعون

كانون الأول (ديسمبر) 2012

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور زيد العساف

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور مفيد جوخدار

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

الأستاذ الدكتور عدنان الحموي

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

الأستاذ شحادة الخوري

الأستاذ الدكتور عدنان سومان

مجالات اهتمام المجلة

إن اهتمامات المجلة مركزة في الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وترجمة الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

- * تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
 - * بحوث مترجمة ودراسات في التعريب.
 - * التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
 - * من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
 - * عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
 - * الإعلام بالأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.
- إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز**
- *يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها***
- *التنضيد والإخراج الفني حسنة تَلَو***

التعريب: مجلة نصف سنوية مُحَكَّمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دمشق - ص.ب: 3752 - هاتف 3334876 / www.acatap.org - E-mail: acatap2@gmail.com

السنة الأولى: 1991 . دمشق ع 2012/12/15

الإشتراك: قيمة الاشتراك السنوي: داخل الوطن العربي: 25 دولاراً أمريكياً

خارج الوطن العربي: 35 دولاراً أمريكياً

قيمة النسخة الواحدة بدون أجور البريد 5 دولارات أمريكية أو ما يعادلها

في هذا العدد

* بحوث في اللغة

- الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي 5
أ. د. محمود أحمد السيد
- علم اللغة الاجتماعي وتنمية الاستخدام اللغوي في المجتمع المدني المعاصر ... 31
أ. د. محمود فهمي الحجازي
- اللغة العربية وعصر المعلومات: التحديات والفرص 63
أ. د. نبيل علي
- المعجم التاريخي في ضوء المعجمية الحديثة 91
د. محمود حسن عبد العزيز

* بحوث في المصطلحات

- نحو مصطلح علمي عربي "وجهة نظر" 115
أ. د. ميخائيل معطي
- العلاقة بين علم المصطلح واللسانيات التقابلية والترجمة 121
أ. حفار عز الدين

* بحوث في التعليم العالي

- برامج التنمية الذهنية للشباب الباحثين في ضوء مفهوم التنمية المستدامة 132
أ. د. مصطفى عبد السميع محمد و أ. د. طلعت عبد الحميد

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- اللغة القومية عامل خفي في النمو الاقتصادي 167
أ. د. محمد عبد العظيم
- الثمن الباهظ لتدريس الطب بغير اللغة العربية في أوطانها 193
د. محمد قماري
- من مظاهر التعريب في الأندلس 205
أ. د. علي أحمد

*** بحوث في الترجمة**

- اللغة العربية والترجمة الآلية 226
أ. د. محمد زكي خضر

*** التعريف بمؤسسات ومكتبات عاملة في الترجمة**

- مكتبة لبنان ناشرون والترجمة 265
أ. د. جورج متري عبد المسيح

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بحوث في اللغة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي

أ.د. محمود أحمد السيد

نائب رئيس مجمع اللغة العربية - سورية

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم الكفاية، وأن نقف على الكفايات الخاصة باللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، وأن نسلط الأضواء على مدى توفر هذه الكفايات عند طلاب ما قبل التعليم الجامعي، لنتوصل أخيراً إلى تقديم عدد من المقترحات للنهوض بالواقع والارتقاء به.

أولاً: مفهوم الكفاية

تهدف العملية التعليمية التعلمية إلى إكساب المتعلم معلومات تزيد من خبراته، وتساعد على معالجة شؤون حياته، وفهم للبيئة التي يتفاعل معها، والتأثير فيها، على أن يجري التركيز فيها على البناء والتنظيم والترتيب لتيسير معالجة المعلومات، وعلى أن ينظر إلى مخرجات التعلم لا على ما يقدم المعلم فقط، ولكن على ما يفعله المتعلم من أجل تلك المعالجة.

وتتجلى أهم سمات التعامل في العملية التعليمية التعلمية في ضوء منحى الكفايات في الأمور التالية:

1. التركيز في العملية التعليمية التعلمية على المتعلم وليس المعلم.
2. العمل على أن يتمحور التعلم حول الاستعدادات الذهنية للمتعلم، وحول ما يمكن أن يكون قادراً عليه في المستقبل بدلاً من التمحور حول المكتسبات السابقة.
3. العمل على أن يتجه التعلم نحو المهارات العملية، ومهارات التفكير، واختيار الاستراتيجيات والمسارات، بدلاً من تعلم المعرفة الجاهزة، بحيث يركز في طرائق التعلم على المجهودات

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

التي يبذلها المتعلم، وصولاً إلى الحقائق والأحكام، بدلاً من أن تقدم النتائج إليه تقديمًا مباشرًا:¹

وطالما تردد في أدبياتنا التربوية مفهوم الكفاية، فما هذا المفهوم؟

إن ثمة تعريفات متعددة للكفاية، إذ يرى «D'hainaut» أن الكفاية تتمثل في القدرة على القيام بعمل عقلي معرفي، ومن ثَمَّ فهي أمر داخلي وغير مرئي، في حين يرى «Gilly» أن الكفاية هي نظام من المعارف المفهومية (الذهنية) والمهارات العملية التي تتجلى في إجراءات تمكّن من تعرف إشكالية محددة وحلها بفعالية، وللكفايات أنواع ثلاثة:

1. كفاية عامة: وتعرّف الكفاية العامة بالقدرة على تعبئة مجموعة مندمجة من المعارف والمهارات والاتجاهات، بقطع النظر عن اختلاف حقول المعرفة واختلاف المواد الدراسية والأنشطة التعليمية، فهي كفاية أفقية تشترك فيها كل حقول المعرفة ولا سقف لها.

ولقد أشار «Curry» إلى تسع كفايات عامة لا بد أن تتوفر لدى طلاب ما قبل التعليم الجامعي، وهذه الكفايات هي:²

- التحليل بمختلف أساليبه.
- المرونة القائمة على تعدد المهارات.
- التواصل مع الغير.
- التواصل بلغات مختلفة شفهيًا وكتابيًا ورمزيًا وتشكيلياً وموسيقياً... إلخ.
- التخطيط للمشروعات.

¹ الدكتور محمد بن فاطمة والأستاذ محمود وناس، الكفايات العامة اللازمة لخريج التعليم الثانوي العام في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 2010، ص 13.

² الدكتور محمد بن فاطمة والأستاذ محمود وناس، دليل مرجعي لتدريب الأطر التربوية المعنية بالكفايات العامة اللازمة لخريج التعليم الثانوي العام في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 2010، ص 42.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- إدارة الوقت.
 - التحلي بالدافعية عند الإقدام على إنجاز عمل.
 - المبادرة.
 - العمل ضمن فريق أو مجموعة.
- ويرى «Fourez» أن ثمة كفايات سبعة عامة ينبغي أن تتوفر لدى هؤلاء الطلاب، وهذه الكفايات هي:
- التعبير باستعمال أكثر الوسائل تناسباً لضمان التواصل.
 - تحليل البيانات.
 - اعتماد طريقة العمل المثلى لضمان فاعلية أفضل.
 - استخدام الوسائل والتقنيات التقنية (التكنولوجية) الحديثة.
 - كفاية إنجاز المشروعات.
 - التواصل من أجل الحياة مع الآخرين والعمل معهم.
 - توظيف التفكير الناقد.¹
- وإذا أخذنا كفاية عامة ولتكن التربية على المواطنة، فإننا نلاحظ أن هذه الكفاية تتجلى في أن يتمكن الطالب من أن:
- يؤدي واجباته ويتمسك بحقوقه.
 - يؤمن بالوحدة الوطنية على أنها ضرورة حتمية للتقدم.
 - يقدر المصلحة العامة، ويقدمها على مصلحته الخاصة، ويضحي في سبيل المصلحة العامة.
 - يؤمن بالتعددية في إطار الوحدة الوطنية.
 - يعتز بانتمائه إلى وطنه.
 - يتحمل المسؤولية، ويمارس الأساليب العقلانية في التفكير والحوار.

¹ المرجع السابق ص42.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- يعمل بروح الفريق، ويمارس العمل الجماعي والتطوعي في حياته.
 - يمارس النقد، ويشارك في اتخاذ القرار.
 - يتقبل الآخر، ويقدر رأيه، ويحترم وجهات النظر الأخرى في منأى عن أي تزمّت.
 - يتقن عمله.¹
2. كفاية متعلقة بحقل معرفي معيّن أو ميدان معيّن، كحقل العلوم وحقل اللغات وحقل الجماليات... الخ.
- ويرى «Chomsky» أن الكفاية اللغوية ليست سلوكاً وإنما هي مجموعة من القواعد تسيّر السلوكات اللغوية وتوجهها دون أن يكون الفرد واعياً بها. وهي نظام ثابت من المبادئ يمكن من إنتاج عدد لا نهائي من الجمل، ومن تعرّف تلقائي لعدد منها، ولو لم يكن قد مرّ بها المتعلم من قبل.²
3. كفاية خاصة متعلقة بمادة دراسية واحدة كمادة اللغة العربية أو الرياضيات أو التاريخ... الخ.

ثانياً: الكفايات الخاصة باللغة العربية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي

تشترك الكفايات الخاصة باللغة العربية مع الكفايات الخاصة بحقل اللغات كافة في العملية التعليمية التعليمية، وإذا كان من الأهداف العامة لتعليم اللغة العربية وتعلمها إشاعة استعمال اللغة العربية الفصيحة والميسرة على الألسنة والأقلام، وتيسير العمل اللغوي، وتجنب التعسير والتعقيد فهماً وتفهماً وتعقيداً وممارسة، كتابة ومشاهدة، والحرص على تماسك النظام اللغوي أصولاً وفروعاً تعميماً وتخصيصاً، على اختلاف مستوياته الكتابية والصوتية والصرفية

¹ الدكتور محمود السيد، التربية على المواطنة، محاضرات الموسم الثقافي، لعام 2008، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 2009، ص125.

² المرجع الأول، ص14.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والمعجمية والنحوية والبلاغية والمعنوية والدلالية،¹ فإن الكفايات الخاصة باللغة العربية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي تتمثل في:

كفاية القراءة: وهي أن يكون الطالب قادراً على:

- النطق الصحيح للحروف والكلمات، والاستقلال في تعرفها.
- الدقة في القراءة (الخلو من الأخطاء).
- السرعة المناسبة والانطلاق في القراءة الجهرية.
- تلوين القراءة بحسب المواقف.
- الفهم بمستوياته المختلفة (فهم معاني المفردات، فهم المقاطع والفقرات، فهم ما بين السطور، فهم ما وراء السطور، إدراك المغزى والهدف).
- تعرّف الفكر الأساسية والفرعية والتمييز بينها.
- الموازنة بين الفكر الجديدة والخبرات السابقة المتعلقة بها.
- تعرف الاتجاهات والقيم التي تشتمل عليها النصوص المقروءة.
- إدراك نواحي الجمال وتذوّقها.
- توظيف المقروء في الحياة العملية والانتفاع به في مواقف التعبير.
- الشغف بالقراءة، والميل إليها، والإقبال على المطالعة الحرة.
- انتقاء المادة الصالحة للقراءة.

كفاية الكتابة: وهي أن يكون الطالب قادراً على:

- الكتابة بخط واضح ومتناسق.
- الكتابة الصحيحة السليمة، وتجنب الأخطاء الإملائية والنحوية.
- إيضاح الفكر بأسلوب سليم.

¹ محمد صالح بن عمر وفرحات الدريسي، دليل مرجعي لتنمية الكفايات اللغوية لدى مدرسي اللغة العربية بالتعليم العالي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 2011، ص18.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- التنظيم المنطقي للفكر وتسلسلها دون انقطاع فيها.
- توظيف الشواهد والاقتباسات في مواضعها.
- استخدام علامات الترقيم استخداماً سليماً (الفاصلة، النقطة، النقطتان، علامة التعجب، علامة الاستفهام، المعترضة، التنصيص) .. الخ.
- مراعاة الهوامش والتقسيم إلى فقرات.

كفاية التعبير الشفهي والكتابي: وهي أن يكون الطالب قادراً على:

- التعبير عن مشاعره وأحاسيسه وعمّا يقع تحت حسه مشافهة وكتابة بأسلوب واضح منظم.
- التعبير عن خبراته وآرائه الخاصة بأسلوب سليم يتسم بوضوح الأفكار وصحتها وتنظيمها.
- التعبير الوظيفي الشفاهي والكتابي لقضاء حاجاته والوفاء بمتطلباته في تفاعله مع مجتمعه (المحادثة والمناقشة، سرد الأخبار، إعطاء التعليمات والتوجيهات والإرشادات، إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، كتابة محاضر الجلسات وإعداد ملخصات عنها، تقديم التقارير، كتابة المذكرات، كتابة الرسائل الديوانية، كتابة النشرات والإعلانات واللافتات، كتابة بطاقات الدعوة والاعتذار، ملء الاستمارات والاستبانات، أصول تقديم الطلبات ... إلخ.
- التعبير عما يقرؤه بأسلوبه الخاص.
- التعبير الأدبي عن خصائص أديب أو عصر ... إلخ.

كفاية الاستماع: وهي أن يكون الطالب قادراً على:

- إدراك معاني الكلمات واستنتاج معاني الكلمات غير المفهومة من السياق والمحتوى عند الاستماع.
- إدراك هدف المتحدث.
- فهم الفكر وإدراك العلاقات فيما بينها.
- تنظيم الفكر وتبويبها.
- تحليل كلام المتحدث والحكم عليه.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- تلخيص الفكر المطروحة.
- اصطفاء المعلومات المهمة.
- توظيف بعض الفكر في مواقف التعبير.
- كفاية النقد:** وهي أن يكون الطالب قادراً على:
 - تحديد هدف الكاتب وإدراك ما بين السطور وما وراءها.
 - ربط الفكر بعضها ببعضها الآخر وإدراك العلاقة بينها.
 - التمييز بين الحقائق والآراء.
 - التمييز بين الحقائق الوثيقة الصلة بالموضوع وغير الوثيقة به.
 - ربط السبب بالنتيجة واستخلاص النتائج من المقدمات المعروضة.
 - التمييز بين أوجه الشبه والاختلاف في الفكر والعبارات.
 - إدراك كيفية تعامل الكاتب مع موضوعه من مثل قدرته على اختيار الموضوع وترتيبه للفكر، وتركيزه على المعلومات الأساسية، ودرجة موضوعيته.
 - إدراك ما إذا كان في النص ما يسوّغ النتائج التي توصل إليها الكاتب:
 - إدراك أهم مقومات الجمال في المقروء.
 - تفسير دوافع الكاتب
 - تحديد مدى منطقية الأحداث ومعقوليتها.
 - إدراك اللغة المجازية داخل النصوص المقروءة والوعي بالكلمات التي تثير العاطفة.
 - اكتشاف المبالغات والادعاءات غير الحقيقية.
 - تقويم كفاية المعلومات الواردة وتبيان فائدتها.
- كفاية التدوق الأدبي:** وهي أن يكون الطالب قادراً على:
 - تمثيل الجو النفسي والحركة النفسية في النص.
 - اختيار العنوان المعبر عن أحاسيس الأديب.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- استخراج البيت الذي يتضمن الفكرة الأساسية في القصيدة.
 - اختيار أقرب الأبيات معنىً إلى بيت معين.
 - إدراك ما بين الأبيات من وحدة عضوية وما بين الأفكار من ترابط.
 - فهم مكونات الصورة الشعرية ومدى قدرتها على التعبير عن أحاسيس الشاعر .
 - إدراك مكونات الصورة الشعرية ومدى نجاحها في رسم الشخصيات.
 - استخراج الصفات التي يصف بها الأديب نفسه أو يصف بها الآخرين.
 - تحديد القيم الاجتماعية التي تشيع في النصوص المقروءة.
 - اختيار أصدق الأبيات تعبيراً عن إحساس الشاعر وأقربها إلى الواقعية.
 - إدراك ما في الأبيات من نشاز موسيقي.
 - إدراك أثر القافية في جمال البيت.
 - إدراك جمال التشبيه والصور البيانية في النصوص والغرض البلاغي منها.
 - ترتيب القصائد والمقطوعات الشعرية بحسب جودتها.
 - الموازنة بين قصيدتين في غرض واضح وتوضيح أيهما أجود.
 - تعرف التراث الأدبي في عصوره المختلفة بما يحويه من قيم اجتماعية وخلقية وجمالية وظروف تاريخية.
 - تعرف الفنون الأدبية من قصة وشعر ومقالة وخطبة ومسرحية... إلخ وتذوقها.
- كفاية النحو:** وهي أن يكون الطالب قادراً على:
- معرفة المصطلحات النحوية.
 - تطبيق المباحث النحوية في الكلمات والجمل.
 - إدراك الترابط بين المبحث النحوي والدلالات (المعنى الذي يعبر عنه).
 - الضبط بالشكل.
 - الإعراب.
 - ربط المباحث النحوية بكلياتها.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- تمثل النظام النحوي من حيث إنه يشتمل على ضبط أواخر الكلام والصرف والأصوات والأداء والتراكيب اللغوية وبنى الجمل الفرعية والأساسية والمعنى.

كفاية حفظ الشواهد الشعرية والنثرية: وهي أن يكون الطالب قادراً على:

- الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تأييداً لرأي وموقف أو تبياناً للحاسة الجمالية.
- الاستشهاد بآيات شعرية على الصعيدين العربي والعالمي يتوفر فيها الجمال.
- الاستشهاد بنماذج نثرية على الصعيدين العربي والعالمي يتوفر فيها الجمال.
- الاستشهاد بنماذج شعرية تتوفر فيها الحكمة، وذلك على الصعيدين العربي والعالمي.
- الاستشهاد بنماذج نثرية وأمثلة تتوفر فيها الحكمة، وذلك على الصعيدين العربي والعالمي.

كفاية التعلم الذاتي: وهي أن يكون الطالب قادراً على الاعتماد على نفسه في:

- حلّ التدريبات والتمرينات والأسئلة.
- المقارنة بين إجاباته والإجابات الصحيحة.
- تصحيح الأخطاء والأغلاط اللغوية والنحوية والإملائية.
- البحث في المعاجم عن معاني الكلمات.
- اختيار المادة الصالحة لقراءته.
- الإقبال على المطالعة الحرة.
- مواكبة المستجدات على الصعد المحلية والقومية والعالمية.

ثالثاً: واقع الكفايات اللغوية في ضوء استطلاع الرأي

بلغ عدد الاستبانات التي وجهتها مؤسسة الفكر العربي إلى الطلاب في نهاية مرحلة ما قبل التعليم الجامعي 4747 استبانة، وشمل التوزيع الجغرافي لاستطلاع الرأي كلاً من لبنان، سورية، الأردن، فلسطين المحتلة، المملكة العربية السعودية، مصر، تونس، المغرب، قطر،

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

موريتانيا، السودان، الصومال، العراق.¹

وكانت النسبة المئوية للعينة المستجوبة من كل دولة على النحو المبين في الجدول التالي:

الجدول (1): النسبة المئوية للعينة المستجوبة من كل دولة

الدولة	عدد الطلاب في العينة	نسبتها المئوية
لبنان	3487	73.46
الأردن	31	0.65
فلسطين	315	6.64
العراق	1	0.02
سورية	2	0.04
المغرب	356	7.50
تونس	145	3.05
مصر	5	0.11
موريتانيا	240	5.06
الصومال	2	0.04
السودان	4	0.08
السعودية	134	2.82
قطر	21	0.44
لا جواب	4	0.08
حجم العينة	4747	100

ولما كانت النسبة المئوية لعدد الطلاب في العينة المستجوبة في الدولة لا يصل إلى 1% فيمكن إغفاله لأنه لا يعد ممثلاً، وفي هذه الحالة يمكن ترتيب الدول ترتيباً تنازلياً في ضوء حجم العينة المستجوبة فيها على النحو التالي:

¹ مؤسسة الفكر العربي، استطلاع رأي طلاب ما قبل التعليم الجامعي، بيروت 2011.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الجدول (2): النسبة المئوية للعيينة المستجوبة مرتبة ترتيباً تنازلياً

الدولة	عدد الطلاب في العينة	نسبتها المئوية
لبنان	3487	73.46
المغرب	356	7.50
فلسطين	315	6.64
موريتانيا	240	5.06
تونس	145	3.05
السعودية	134	2.82

ويلاحظ أن ما يقرب من ثلاثة أرباع حجم العينة إنما هو من لبنان، في حين أن الربع الباقي لها من خمس دول هي المغرب وفلسطين وموريتانيا وتونس والسعودية، كما يلاحظ أن ثمة ثلاث دول من المغرب العربي هي تونس والمغرب وموريتانيا، ودولتين من بلاد الشام هما لبنان وفلسطين ودولة من دول الخليج العربي هي السعودية.

ولو ألقينا نظرة على واقع القطاع التعليمي من حيث نوعيته «حكومي أو خاص» فإننا نلاحظ أن النسبة المئوية للطلاب التابعين لكل قطاع على النحو المبين في الجدول (3).

الجدول (3): النسبة المئوية للعيينة المستجوبة من حيث نوعية القطاع الذي تتبع له

القطاع التعليمي	عدد الطلاب في العينة	النسبة المئوية
حكومي (رسمي)	2960	62.63
خاص	1549	32.63
لا جواب	0238	5.01
حجم العينة	4747	100

ويتضح من الجدول أن ما يزيد على ثلث العينة المستجوبة هو من القطاع الخاص وتجدر الإشارة إلى أن الأنظمة المطبقة في المدارس الخاصة تختلف أحياناً عن الأنظمة المطبقة في المدارس الرسمية الحكومية. وهذا الاختلاف يؤثر في اتجاهات الطلبة وميولهم، وهنا لابد من أخذ هذا الجانب بالاعتبار عند تحليل الاستبانات.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وبعد تحليل الاستبانات، والوقوف على الإجابات فيها تبين ما يلي:

1. الواقع المتعلق بميول الطلبة واتجاهاتهم نحو اللغة العربية:

أشار 56.2% من طلبة المرحلة الثانوية إلى أنهم اختاروا الفرع العلمي لا الأدبي في دراستهم للحصول على الشهادة الثانوية، وأن السبب في هذا الاختيار هو الرغبة في متابعة الاختصاص في الجامعة كما أفاد بذلك 49.8% منهم.

وأبانت الإجابات أن ما يقرب من نصف الطلبة لا يحب اللغة العربية، إذ إن 53.1% من الطلبة فقط أبدوا محبتهم للغتهم الأم «العربية الفصحى»، وهذه أمانة بالغة الخطورة على واقع أبنائنا الطلبة تجاه لغتهم القومية.

ونذكر 65.1% من الطلبة أنهم لا يرغبون في تعلم مواد العلوم والرياضيات وسائر المواد في المرحلة الثانوية باللغة العربية، كما أشاروا إلى أنه لو ترك لهم الخيار في الإجابة عن أسئلة مواد العلوم والرياضيات في الكتابي والشفهي فإنهم يختارون اللغة الأجنبية أكثر من اختيارهم للعربية، إذ بلغت نسبة من يختار الأجنبية 65.4% في حين أن نسبة من يختار العربية 31.3%.

2. الواقع المتعلق باللغة المعتمدة في العملية التعليمية التعليمية:

تبين أن اللغة المعتمدة في المدرسة في تدريس مواد العلوم والرياضيات هي اللغة الأجنبية، حيث أشار 41.4% من الطلبة إلى أن اللغة الإنجليزية هي المعتمدة، وأشار 33.5% منهم أن الفرنسية هي المعتمدة، في حين أن نسبة من أشاروا إلى ثنائية اللغة بلغت 6.8%.

وتبين أيضاً أن امتحانات مواد العلوم والرياضيات تجري باللغة الإنجليزية بنسبة قدرها 43.9% وبالفرنسية بنسبة قدرها 33.5% وبالعربية في المرتبة الثالثة بنسبة قدرها 19.9%.

وأبان 93.4% من الطلبة أنه لا يسمح لهم بالإجابة عن أسئلة مواد العلوم والرياضيات في الكتابي والشفهي باللغة العربية.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أما اللغة المعتمدة في المدرسة في شرح دروس العلوم والرياضيات فقد كانت مزيجاً من العامية والأجنبية بنسبة قدرها 47.5% وبالأجنبية بنسبة قدرها 15.8% وبالعامية بنسبة 8.7% وجاءت اللغة العربية الفصيحة في المرتبة الأخيرة بنسبة قدرها 4.3%.

وتدل هذه النسب على أن واقع الأنظمة المطبقة في المدارس يساعد أيما مساعدة على إقبال الطلبة على استعمال اللغة الأجنبية مادامت الدروس تشرح بها، والامتحانات تؤدي بها، وأنه لا يسمح للطلبة بتأدية امتحاناتهم بالعربية.

ولو ألقينا نظرة على اللغة المستخدمة في التواصل اللغوي والنقاش بين المدرسين والطلبة لألفينا أن العربية الفصيحة تستخدم أحياناً بنسبة قدرها 44.8% في حين أن 34.4% من الطلبة أشاروا إلى أن الفصيحة لا تستخدم في التواصل بين الجانبين.

أما السبب في عدم التواصل مع الأساتذة بالفصيحة فقد أرجعه 31.4% من الطلبة إلى خوف الوقوع في الخطأ 30.3% منهم إلى صعوبة العربية وتعقيدها، وتجدر الإشارة إلى غياب القدوة الحسنة في استعمال اللغة السليمة إن من المعلمين أو المتعلمين، وأن ثمة أخطاءً يرتكبونها عند ممارستهم العربية الفصيحة.

وتسود العامية في لغة التخاطب بين الطلاب في المدرسة والصفوف، إذ وصلت نسبة استخدامها إلى 81.3% في حين بلغت نسبة استخدام ازدواجية اللغة (فصيحة وعامية) 6.22% وبلغت نسبة استخدام ثنائية اللغة (أجنبية وفصيحة) 6.3%، وجاءت الفصيحة في المرتبة الأخيرة حيث بلغت نسبة الاستخدام 3.5%.

3. القصور في كفاية الفهم:

تتمثل كفاية الفهم في إدراك معاني المفردات، وتحديد الفكر الأساسية والفرعية، وتعرّف ما بين السطور، وما وراء السطور، والمغزى والهدف.

ولقد ذكر أكثر من نصف الطلبة المستجوبين أنهم يجدون صعوبة في فهم كثير من الكلمات في النصوص القديمة كالمعلقات، إذ بلغت النسبة 53.6% وأن 57.7% من الطلبة أيضاً يجدون

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

صعوبة في فهم بعض المفردات في الشعر العربي الحديث، كما أن 30.9% يجدون صعوبة في فهم المصطلح العلمي باللغة العربية في حين أن 45.1% يجدون هذه الصعوبة أحياناً.

ولا يقتصر القصور في الفهم على النصوص المقرّوة في القراءتين الجهرية والصامتة، وإنما يمتد إلى النقص في فهم ما يستمع إليه الطالب في المحاضرات والدروس، وأن ثمة نفراً من الطلبة يخلون أن يسألوا المعلم عن نقطة لم يفهموها، ويحسّون بالحرج في السؤال أمام زملائهم.

ومن الملاحظ أن ثمة نقصاً في قراءة الاستماع في المدارس، إذ لم يدرّب المعلمون عليها التدريب الكافي على الرغم من الحاجة إليها في واقع الحياة.

4. القصور في كفاية القراءة:

إذا كان ثمة قصور في كفاية القراءة يتمثل في النقص في إدراك المقروء وفهمه واستيعابه مفردات وفكرًا وأهدافاً، فإن ثمة نقصاً آخر يتمثل في النقص في الدقة في القراءة، إذ غالباً ما ترتكب الأخطاء في القراءة، كما ترتكب الأخطاء في عدم تلوين القراءة بحسب المواقف (مواقف التعجب والاستفهام والإباء والضراعة... إلخ).

5. القصور في كفاية التعبير الوظيفي:

إذا كان التعبير الوظيفي، شفهيّاً كان أو كتابيّاً، يؤدي خدمة للخريج من هذه المرحلة «مرحلة ما قبل التعليم الجامعي» في تفاعله مع مجتمعه قضاءً لحاجاته وتنفيذاً لمتطلباته، فإننا نلاحظ أن ثمة قصوراً واضحاً في هذه الكفاية لدى خريجي هذه المرحلة، لا بل لدى خريجي الجامعات والمعاهد أيضاً، ويرجع السبب في هذا القصور إلى عدم التدريب الكافي على ممارسة ضروب هذا التعبير ضمن جدران المدارس والمعاهد والجامعات نظراً لهيمنة الطريقة الإلقائية التقليدية والحوّل في الأعم الأغلب دون المناقشة والمحادثة، وعدم إيلاء المواقف الوظيفية في الحياة التدريب عليها في المناهج «توجيه التعليمات والإرشادات، إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، كتابة المذكرات، إعداد محاضر الجلسات وملخصات عنها، كتابة النشرات

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والإعلانات، واللافتات، كتابة بطاقات الدعوة والاعتذار، تحرير الرسائل الدبلوماسية، ملء الاستمارات، إجراء المقابلات، أصول تقديم الطلبات... الخ.

ومن الملاحظ أن ثمة التفاتاً إلى الموضوعات الوصفية أكثر من الالتفات إلى الموضوعات الوظيفية التي يتطلبها المجتمع وتتطلبها الحياة، كما أن ثمة أخطاء لغوية ونحوية وإملائية يرتكبها الطلبة في تعبيراتهم.

6. القصور في الكفاية النحوية:

ويتجلى هذا القصور لدى الطلبة في ارتكابهم الأخطاء النحوية في تعبيراتهم الشفهية والكتابية، فقد أجاب 53.1% منهم أنهم يرتكبون الأخطاء أحياناً وأن 19.8% منهم لا يجيدون الإعراب فضلاً عن الأخطاء اللغوية في القراءة.

وأشار الطلبة المستجوبون إلى أن ثمة صعوبة في بعض المباحث النحوية واجهوها في أثناء دراستهم، وهذه المباحث مرتبة ترتيباً تنازلياً «نائب المفعول المطلق، لا النافية للجنس، المفعول المطلق، المسند والمسند إليه، نائب الفاعل، إسناد الفعل الصحيح، الاسم الموصول، المجزوم بالإضافة، الظرف، نصب المضارع، المجزوم بلم، جزم المضارع، الحال، إن وأخواتها، نوعا الجملة، كان وأخواتها، أدوات الربط، حروف العطف، أنواع الضمير، النعت، المبتدأ والخبر، اسم الإشارة، الضمير».

أما المباحث النحوية التي ما يزال الطلبة يرونها صعبة وقد رتبها ترتيباً تنازلياً فهي: «الاستثناء، إسناد الفعل، العلامات الفرعية، البناء للمجهول، إسناد الفعل الصحيح، المفعول لأجله، الأسماء المبنية، الجزم بأدوات الشرط، أقسام الكلمة، النفي وأدواته، الجملة والتركيب، الصحيح والمعتل، إعراب الأسماء الخمسة، أنواع الخبر، العلم، المعرفة بـأل والإضافة، إعراب الأفعال الخمسة».

7. القصور في التنوع الأدبي:

كان أكثر من نصف الطلبة لا يستمتعون بألوان الأدب المختلفة من قصة قصيرة ورواية

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ومقالة ومسرحية إذ بلغت النسبة 57.7%، وتبين أيضاً أن 76.3% من الطلبة لا يدركون الجانب البلاغي في الصور والأساليب، كما أن 73.2% لم يتعرفوا الفنون والمدارس الأدبية الحديثة ومكان الأدب فيها، وأن 61.2%% لم يدركوا حظ النصوص من الفن والجمال وطرق تركيب الكلام، إضافة إلى أن معظم الطلبة لا يحسنون العروض، ولا يتعرفون أوزان البيوت الشعرية، ولا يحسنون باختلاف الوزن والنشاز الموسيقي.

8. القصور في استعمال المعاجم:

ثمة نقص كبير في استخدام المعاجم والبحث عن معاني الكلمات فيها، مع أن هذا المبحث متوفر في المناهج، إذ إن المناهج تشتمل عليه، ولكن التدريب عليه بحيث يصبح عادة لدى المتعلمين ما يزال ناقصاً، حتى إننا لنجد خريجاً جامعياً لا يستطيع البحث عن الكلمة في المعجم.

ومن الملاحظ أن 40% من المعلمين فقط أشاروا إلى وجود معجم في المدرسة، في حين أشار 83.8% من المعلمين إلى أن المكتبة بحاجة إلى مثل هذه المعاجم.

9. النقص في كفاية الحفظ:

طالما كان طلاب المرحلة الثانوية من قبل يحفظون بعضاً من روائع الشعر والنثر، أما الطلبة المستجوبون فقد أفاد أكثر من نصفهم أنهم لا يحفظون الشعر أو النثر إذ بلغت النسبة 55.2%، وقد امتد هذا الداء إلى الخريجين الجامعيين، حتى إن المتخرجين في أقسام اللغة العربية وآدابها في الأعم الأغلب لا يحفظون شعراً من الأدب العربي في عصوره المختلفة.

10. النقص في المناشط اللاصفية:

غني عن البيان أن للمناشط اللاصفية دوراً كبيراً في تعزيز اكتساب المهارات اللغوية، فضلاً عن دورها الكبير في الكشف عن المواهب الأدبية ومن ثم تنميتها وتوظيفها في مواقف الحياة، وطالما رأينا موهوبين إن في المسرح أو في الخطابة، أو في الصحافة... الخ كان للمناشط اللاصفية فضل في إبراز مواهبهم.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ولقد تبين أن ثمة نقصاً في ممارسة المناشط اللاصفية فقد أجاب نصف الطلبة فقط أنهم يشاركون في الكتابة في مجلة المدرسة 50.7% وأجاب 41.1% أنهم يسهمون في إعداد البرامج الإذاعية، و38.3% يكتبون الخواطر والمذكرات اليومية، و42.2% يشتركون في مسابقات إلقاء الشعر أو الخطابة أو الأداء المسرحي و35.8% فقط يشتركون في حلقات نقاشية.

11. النقص في الكشف عن الموهوبين في مجال اللغة والأدب:

إذا كانت المناشط اللاصفية تكشف عن ميول الطلبة واهتماماتهم ورغباتهم كما تكشف عن مواهبهم فإن للمسابقات والمناظرات والمقابلات التي يجريها المعلمون دوراً في الكشف عن المواهب اللغوية والأدبية ودوراً في تنميتها. ولقد أجاب 48.1% من المعلمين أنهم لا يجرون مسابقات خطية أو مقابلات أو ما شابه لاختيار الطلبة المتفوقين أو ممن يتمتعون بمواهب أدبية ولغوية.

12. القصور في التعلم الذاتي:

أشرنا إلى أن طبيعة العصر تحتم على المتعلمين الاعتماد على أنفسهم لمواكبة المستجدات والمتغيرات مادامنا نعيش في عصر التفجر المعرفي، وأن على النظام التربوي أن يكسب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة.

بيد أن مهارات التعلم الذاتي لا بد من التدريب عليها في مجال اكتساب المهارات اللغوية كافة من تكليف المتعلمين تصحيح أغلاطهم معتمدين على أنفسهم في هذا التصحيح، وتكليفهم البحث في المعاجم، والقراءة الحرة وتلخيص قراءاتهم... إلخ.

ولقد أجاب 62.5% من الطلبة أنهم يعتمدون على معلم اللغة العربية في تصحيح أخطائهم، وأن الذين لا يمارسون القراءة الحرة بلغت نسبتهم 54.3% وأنهم يرغبون في التثنية والتسلية ومشاهدة السينما والتلفزة، ويفضلون ذلك على القراءة.

13. القصور في بناء المناهج اللغوية:

إن واضعي هذه المناهج يعتمدون المادة الدراسية من دون النظر إلى حاجات المتعلمين ومراعاة ميولهم واهتماماتهم في ضوء استبانات توجه إليهم لتعرف تلك الميول والحاجات، وتخيّر المحتوى بناء عليها، وهذه ثغرة في بناء المنهاج، كما أن هذه المناهج لا تراعي المنحى الوظيفي في تخيّر المحتوى في الأعم الأغلب، ولا تعتمد على معيار الشيوخ والتواتر في مواقف الحياة بعد رصد تلك المناشط اللغوية المستخدمة في هذه المواقف، إذ إن البناء الصحيح للمنهاج يعتمد النظرة الشمولية المتكاملة في النظر إلى المنهج على أنه عبارة عن حصيلة تفاعل عضوي مستمر لمجموعة متشابكة من العوامل تشمل المجتمع بثقافته وفلسفته ومشكلاته، والمتعلم من حيث النظر إلى طبيعة وفهم خصائص نموه وأساليب تعلمه وحاجاته وميوله واهتماماته، كما تشمل العصر الذي يحيا فيه باتجاهاته ومناشطه، فيختار من أساسيات المادة أكثرها فائدة للمتعلم من حيث مساعدته على الإسهام في تفاعله مع المجتمع بنجاح.¹

إلا أن الاعتماد على مصدر واحد في بناء المنهج لا يعد عملاً سليماً، ذلك لأن كلاً من المادة الدراسية والمتعلم والمجتمع يعد أساساً من الأسس التي يمكن أن تسهم في بناء المنهج من دون أن يكون ثمة تعارض فيما بينها، فإذا ظهر مثلاً أن ثمة تناقضاً بين موقع المتعلم الفعلي في مستواه من جهة والمستوى المرتقب الذي نطمح إليه في عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا) كان الحل يكمن في البدء بموقع المتعلم وصولاً إلى الهدف المطلوب، فإنكار الموقع الفعلي الحالي للمتعلمين في تعبيراتهم واهتماماتهم وحاجاتهم معناه أننا قد انسلخنا عن الواقع، ولم تعد ثمة فائدة فيما نصل إليه لأننا لن نصل بمتعلمينا إليه، كما أن البدء بواقع المتعلمين وحاجاتهم من أجل هدف غير محدد لا على أساس المادة وتطورها العالمي، ولا على أساس المجتمع ومتطلباته في المستقبل، معناه بداية صحيحة ولكن إلى ضياع.²

¹ الدكتور محمود أحمد السيد، دراسات تربوية، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2010، ص127.

² الدكتور محمود أحمد السيد، في طرائق تدريس اللغة العربية، منشورات جامعة، دمشق 2010، ص205.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ومن الملاحظ أن ثمة نفوراً من اللغة التي يتفاعل معها المتعلمون في المنهاج لبعدها عن الحياة النابضة الزاهرة، وأن ما يدرس من اللغة فيه شيء غريب لا صلة بينه وبين الحياة، ولا صلة بينه وبين عقل الطالب وشعوره وعاطفته.¹

وإذا كان لاعتماد النظرة الشمولية المتكاملة دور في بناء المناهج المعاصرة فإن لاختيار المحتوى من النصوص الشائقة الجذابة الوافية بحاجات المتعلمين وميولهم واهتماماتهم والمستثيرة لعواطفهم ومشاعرهم ووجداناتهم دوراً هو الآخر في إنجاح هذه المناهج.

14. النقص في الدورات التأهيلية للمعلمين:

إن تحقيق الأهداف المرسومة للعملية التعليمية التعلمية متوقف على المدرس الكفِّي المُعَدِّ إعداداً جيداً، إذ إن لتمكّن المدرس من مادته أثراً كبيراً في نجاح العملية، كما أن لطريقة التدريس أثراً كبيراً أيضاً، ذلك لأن المدرس لا يدرس بمادته فحسب وإنما يدرس بطريقته وأسلوبه وشخصيته وعلاقاته بناشئته، وما يضربه لهم من قدوة حسنة ومثل أعلى.

ولما كانت المستجدات إن في المادة أو في طرائق التدريس تزخر بها طبيعة العصر، عصر التفجر المعرفي والمتغيرات الكبيرة، كان إخضاع المدرسين لدورات تدريبية مستمرة عملاً تقتضيه طبيعة العصر بغية النجاح في الأداء.

ولقد تبين من استطلاع رأي المعلمين في مشاركتهم للدورات التدريبية أن 2.44% منهم لم يشتركوا في أي دورة تدريبية، وأن الذين اشتركوا من المعلمين في دورات تدريبية كانت مدة الدورة فيها أقل من عشرة أيام، وأن 86.5% من المعلمين يرغبون في تكرار تعميق الدورة التأهيلية مرة كل سنة أو سنتين، وأن 54.2% يرون أن الدورات التأهيلية تحتاج إلى تقييم مستمر لجدواها حتى يكتب لها النجاح والتطور.

15. القصور في كفاية استخدام التقنيات التربوية:

مع أن العصر الذي نحيا فيه هو عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا) فإن التقنيات التربوية

¹ الدكتور طه حسين، في الأدب الجاهلي، طبعة مصر، القاهرة، ص 7.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

شقت طريقها إلى المناهج في الدول المتقدمة، وأصبح الاعتماد عليها كبيراً في العملية التعليمية التعليمية.

ومن الملاحظ أن تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها يعتمدان اعتماداً كبيراً على استعمال التقنيات، في حين أننا نلاحظ أن ثمة نقصاً في هذا الاستعمال في تعليم اللغة العربية وتعلمها، ويتجلى هذا النقص في المواد التعليمية «المصادر والمراجع ودوائر المعارف، الصحف والمجلات، المواد المطبوعة، المواد المبرمجة، الصور المتحركة، برامج التلفزة، برامج الإذاعة، التسجيلات الصوتية، اللوحات المصورة، الرسوم والأشكال، الشرائح والشفافيات، الأفلام الثابتة، الخرائط، الملصقات، الرسوم المتحركة، النماذج والمجسمات... الخ».

وثمة نقص أيضاً في الأجهزة التعليمية «جهاز الإسقاط، المسجلات، جهاز العرض السينمائي، الأفلام التعليمية، التلفاز، المختبرات اللغوية، الحواسيب، الحفائب التعليمية.. إلخ».

16. القصور في نقاء البيئة المحيطة بالمتعلمين:

لما كانت البيئة المحيطة بالمتعلمين ملوثة لغوياً كان ذلك عامل هدم في اكتسابهم للمهارات اللغوية على الرغم من العناية التي يبذلها المدرسون في تيسير عملية الاكتساب، إذا ما أحسنا الظن بأنهم يمارسون اللغة السليمة في عملهم، ويتجلى القصور في هذا المجال في سيرورة العامية في البيت والشارع والباحة وانتشارها في مختلف المناشط الحياتية، كما أن المتعلمين يتسمرون أمام المسلسلات التلفزية ساعات وهي تثبت بالعامية وأمام العروض المسرحية وقد أخرجت ومثلت بالعامية أيضاً.

ويتجلى القصور أيضاً في الكتابة الزاخرة بالأغلاط اللغوية وبالعامية والكلمات الأجنبية في الإعلانات واللافتات وعلى واجهات المحال التجارية والخدمية والسياحية. كما يتجلى في قلة البرامج التلفزية الموجهة إلى الأطفال بالعربية السهلة الميسرة، وفي نقص الصناعات الثقافية الموجهة إلى الناشئة، وفي وجود الأخطاء اللغوية في بعض القرارات والبلابات الصادرة عن

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بعض الجهات الرسمية وفي المراسلات بين دوائر الدولة ومؤسساتها.¹

رابعاً: سبل النهوض بالواقع والارتقاء به

- إن النهوض بالواقع والارتقاء به يقتضي الانتقال من التنظير إلى الأداء العملي وذلك بـ:
1. وضع خريطة لمشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها وتبيان القصور في الكفايات اللغوية.
 2. إجراء بحوث علمية ميدانية لمعالجة مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها بالأساليب العلمية والتجارب الميدانية.
 3. توظيف نتائج البحوث الميدانية في مجال تعليم اللغة العربية وتعلمها.
 4. عقد ورشات عمل تناقش قضايا تعليم اللغة العربية وتعلمها في الوطن العربي عمودياً وبعمق على أن تقوم هذه الورش العملية بوضع أدلة وبرامج ومعايير. ومن المقترحات التي من شأن هذه الورش أن تعنى بها بغية النهوض بالواقع اللغوي والارتقاء به:
- أ. رصد المباحث النحوية الأكثر شيوعاً واستخداماً في ميادين المعرفة وفي أساليب الكتاب العرب القدماء والمعاصرين بغية التركيز عليها في المناهج اللغوية التربوية في الوطن العربي، والإفادة من الدراسة التي أنجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وعنوانها «تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي»،² وقد ورد فيها أن المباحث النحوية التي زاد تواترها على 1% في عينة من أساليب الكتاب القدماء، وقد رتبّت ترتيباً تنازلياً هي: «الفعل، المضاف إليه، حروف الجر، الفاعل، المجرور بالحرف، حروف العطف، المفعول به، المبتدأ والخبر، النعت، فاء الاستئناف، الظرف، الاسم الموصول، إنَّ وأخواتها، اسم إنَّ وخبرها،

¹ الدكتور محمود أحمد السيد، اللغة العربية واقعاً وارتقاء، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2010، ص143.

² الدكتور محمود أحمد السيد، تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الممنوع من الصرف، لا النافية».

وجاءت المباحث النحوية التي انخفضت النسبة المئوية لتواترها عن 1% في أساليب الكتاب القدماء مرتبة ترتيباً تنازلياً على النحو التالي: اسم كان وخبرها، أسماء الإشارة، حروف النصب، البديل، حروف الجزم، أدوات الشرط غير الجازمة، قد، نائب الفاعل، أدوات الشرط الجازمة، الأسماء الخمسة، واو الحال، الحال، التمييز، المنادى، نون الوقاية، الاستثناء، ما النافية، الاستفهام، الفاء الرابطة لجواب الشرط، إلا للحصر، المفعول المطلق، اتصال إن بـ «ما»، أي التفسيرية، التوكيد، إن الوصلية، اللام المرحقة، حتى الابتدائية، اللام في جواب القسم، إذا الفجائية، اللام في جواب لو، المفعول لأجله، لكن الاستدراك، لام الابتداء، المفعول معه، اللام في جواب لولا، ألا الاستفاحية، أسماء الأفعال، أحرف الجواب، هلا، ضمير الفصل، لاسيما، إن التفسيرية، كذا ، أسلوب المدح والذم.

أما المباحث النحوية التي زادت نسبة شيوعها وتواترها على 1% في عينة من أساليب الكتاب المعاصرين فهي: الفعل، حروف الجر، المجرور بالحرف، الفاعل، المضاف إليه، حروف العطف، النعت، المفعول به، المعطوف، المبتدأ والخبر، الظرف، إن وأخواتها، اسمها وخبرها، كان وأخواتها، اسمها وخبرها، اسم الإشارة، حروف النصب، الاسم الموصول، البديل».

وجاءت المباحث النحوية التي انخفضت النسبة المئوية لتواترها عن 1% في أساليب الكتاب المعاصرين، وقد رتبت ترتيباً تنازلياً على النحو التالي:

حروف النصب، العدد، نائب الفاعل، قد، أدوات الشرط غير الجازمة، حروف النفي، المفعول المطلق، فاء الاستئناف، التمييز، حروف الجزم، الممنوع من التثوين، أدوات الاستفهام، الفاء الرابطة لجواب الشرط، التوكيد، المفعول لأجله، إلا للحصر، أدوات الشرط الجازمة، المنادى، الأسماء الخمسة، اتصال إن وأخواتها بـ «ما»، أي التفسيرية، لام الابتداء، لكن الاستدراك، إذ، حروف الجواب، إن الوصلية، الاستثناء، إذن، اللام في جواب لو ولولا، التنازع، غير أن، إلا أن، ما الزائدة، أسلوب التعجب، إذا الفجائية،

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المفعول معه، ألا الاستفتاحية، كم الخبرية، مع أن، بما أن، همزة التسوية، طالما، بيد أن، الندبة، التحذير، بله، على أن، هلا، ما إن.

ومن الملاحظ أن مناهجنا التربوية في الأعم الأغلب لم تتخير الموضوعات والمباحث النحوية الوظيفية في ضوء الاستعمال والشيوع والتواتر في مواقف الحياة. ومن معايير الوظيفية اختيار المباحث التي يكثر استعمالها وترتيبها ترتيباً تنازلياً في ضوء الشيوع والتواتر، فما كثر استعماله ووروده عُدَّ وظيفياً، وما قل استخدامه لا يعد وظيفياً، بحيث يركز على الأساسيات واستبعاد المماحكات والتأويلات والاستثناءات التي تنفر المتعلمين من اللغة والإقبال عليها.

ب. رصد الأخطاء اللغوية التي يرتكبها المتعلمون في التعبيرين الشفاهي والكتابي وترتيبها تنازلياً، وإيلاء المباحث النحوية المتعلقة بها الأهمية في التدريب والمعالجة. ومن المباحث النحوية التي زادت فيها الأخطاء على 5% في التعبير الكتابي: همزتا الوصل والقطع، الفعل، استعمال حروف الجر، الضمير، المفعول به. وكانت المباحث التي زادت فيها الأخطاء على 1% وكانت أقل من 5%: الفعل مع الفاعل، النعت، اسم كان وخبرها، المبتدأ والخبر، التذكير والتأنيث، العدد، فتح همزة إن وكسرها، الاسم الموصول، اسم إن وخبرها، الفاعل. أما المباحث النحوية التي انخفضت النسبة فيها عن 1% فهي: المنقوص في حالتي الرفع والجر، المضاف إليه، العطف، أسلوب الشرط، المجرور بالحرف، الحال، جمع التكسير، اسم الإشارة، المفعول المطلق، الأسماء الخمسة، الظرف، التمييز، المصدر القياسي، صوغ اسم الفاعل، صوغ اسم المفعول، المنادى، الممنوع من الصرف، المفعول لأجله.

ومن الموضوعات التي زادت فيها النسبة المئوية للأخطاء على 5% في التعبير الشفاهي: الفعل، المفعول به، اسم كان وخبرها، الضمير، النعت.

وكانت المباحث التي تفاوتت النسبة المئوية فيها بين الـ 1% وأقل من 5% هي: الفاعل، المجرور بالحرف، المضاف إليه، اسم إن وخبرها، العدد، الأسماء الخمسة، المبتدأ والخبر،

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المفعول المطلق، الحال، الاسم الموصول.

وجاءت المباحث التي انخفضت فيها النسبة المئوية عن 1% على النحو التالي وقد رتبت ترتيباً تنازلياً: اسم الإشارة، حذف ياء المنقوص، الممنوع من التثوين، فتح همزة أن وكسرها، همزة الوصل، الظرف، التعدية بالحرف، جمع المؤنث السالم، نائب الفاعل، البذل، المفعول لأجله، التوكيد.

ج. رصد الأخطاء المتسربة إلى الفصيحة من العامية، وإجراء التدريبات والتطبيقات العلاجية التي من شأنها التوعية بتلك الأخطاء والتبصير بها وتلافيها. ومن هذه الأخطاء: إسناد الفعل المعتل إلى الضمائر، الأمر المعتل الوسط، إفراد الفعل أمام الفاعل المثني والجمع، إسناد الفعل إلى نون النسوة، تأنيث الفعل وتذكيره، الأفعال الخمسة في الرفع والنصب والجزم، الأسماء الخمسة... إلخ.

د. وضع دليل يبين ضروب التعبير الوظيفي، وعقد دورات تدريبية للمعلمين على كيفية تطبيق هذه الضروب في ضوءه.

هـ. وضع دليل للمناشط اللغوية اللاصفية على أن يكون من معايير هذه المناشط التنوع استجابةً لميول المتعلمين «إعداد صحف حائطية ومجلة مدرسية، إذاعة مدرسية، تمثيل مسرحيات هادفة، إلقاء كلمات في المناسبات الوطنية والاجتماعية المختلفة، مناقشة مضامين مسلسلات وأفلام تلفزيونية وسينمائية، تلخيص كتب ومناقشتها، إقامة معارض، مناظرات ومساجلات، مقابلات... إلخ. على أن تتسم هذه الأنشطة المتنوعة بالتنشيق واستثارة الدافعية سداً لحاجات المتعلمين (الحاجة إلى المعرفة، الحاجة إلى البحث، الحاجة إلى العمل... إلخ) وعلى أن تدفع المتعلمين إلى العمل الجماعي والتعاوني في تنفيذها، وإلى تحمل المسؤولية والتفكير المبدع في إنجاز العمل، والكشف عن الموهوبين واستثمار أوقات الفراغ، وإقامة ورش عمل للتدريب في ضوءه.

و. وضع دليل لاستعمال التقنيات التربوية في تعليم اللغة وتعلمها والتدريبات في ضوءه.

ز. وضع دليل لتدريب المعلمين على صوغ الاختبارات الموضوعية في القراءة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والنصوص والقواعد والإملاء والتذوق الأدبي لقياس المهارات اللغوية ومدى تحقيق الأهداف المرسومة لها. ويمكن الاستئناس بالدراسة التي أنجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في هذا المجال.¹

ح. وضع دليل لتدريب المتعلمين على أساليب التعلم الذاتي «البحث في المعاجم، تصحيح الأخطاء، المطالعة الحرة، البحث في الشبكة (الإنترنت) عن البيانات والمعلومات.. إلخ.

ط. وضع دليل لتقويم المناهج «أهدافاً ومحتوى، وكتباً، وطرائق تدريس، ومناشط، وأساليب تقويم... إلخ» وذلك في ضوء معايير لكل مكون من مكونات المنهج.

ي. تحويل محتوى الكتب جزئياً أو كلياً إلى صيغ أخرى غير الصيغة التقليدية المكتوبة كأن تكون مبرمجة أو سمعية على شكل أشرطة سمعية أو إلكترونية على الحاسوب، أو أفلام أو حقائب تعليمية... إلخ.

ك. وضع دليل لتدريب المعلمين على استخدام الطرائق الفعالة في العملية التعليمية التعلمية بغية الانتقال من التعليم إلى التعلم، والتركيز على كيفية التعلم، والانتقال من التلقين إلى المشاركة الإيجابية في الوصول إلى المعرفة، ومن تحصيل المعرفة إلى توظيفها، ومن الجمود إلى المرونة، ومن الحفظ والتسميع إلى التمهير، ومن النمطية في التفكير إلى التنوع فيه (الابتكاري، المفهومي، النقدي، العلمي، الاستشراقي، المبادر، البدائلي، الشمولي... إلخ). ووضع معايير للقراءة الناقدة.

ل. وضع كتيبات تتضمن أساسيات اللغة في القواعد والإملاء واستخدام علامات الترقيم وتعميمها على الدورات التدريبية التي ينفذها المعلمون والعاملون في الإذاعة والتلفزة وفي جميع مرافق المجتمع انطلاقاً من أن تعليم اللغة مسؤولية مجتمعية.

م. اختيار نصوص في المناهج التربوية تمسرح وصوغها بأساليب شائقة على أن تعمم

¹ الدكتور محمود أحمد السيد والدكتور مطانيوس ميخائيل، نماذج من الاختبارات الموضوعية في اللغة العربية للمرحلة الإعدادية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1989.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

على الصعيد العربي.

ن. وضع دليل يعنى بالحكايات الشعبية الملائمة وإخراجها بالصور الملونة والعربية السليمة وتعميمها على الصعيد العربي.

س. وضع مختارات من النصوص تتوفر فيها جماليات اللغة العربية ونشرها بالكلمة المسموعة والمرئية والمطبوعة، على أن يعنى بضبط النصوص المتخيرة إن من التراث أو من المعاصرة بالشكل، ويعنى بإخراجها وطباعتها تمهيداً لتعميمها على الصعيد العربي. على أن يجري الاختيار ليمتد في نسقين زمني ومكاني، إذ يحرص في النسق المكاني على الامتداد من الدائرة المحلية إلى الدائرة القومية. ومن ثم إلى الدائرة الإنسانية، بحيث يكتسب المنهاج ملامح الواقع المحلي دون أن ينعزل عن الواقع القومي، ثم ينطلق من ذلك كله إلى الأفق الإنساني الواسع ليلتحم بالتجربة الإنسانية في قيمها الجمالية العليا وإنجازاتها الحضارية المشتركة.¹

ع. وضع مختارات من النصوص العالمية تتوفر فيها الذائقة الجمالية والقيمية وتعريف طلبتنا بها في التعليم العام ما قبل الجامعي.

ف. إجراء مسابقات في حفظ الشعر وممارسة الخطابة والتعبير والقواعد النحوية والإملائية في المدرسة الواحدة وبين المدارس في المحافظة الواحدة، ومن ثم بين المحافظات، وعلى مستوى الدولة، وتقديم المكافآت للفائزين تشجيعاً للمواهب.

ص. وضع دليل وبرامج تعنى بتربية الأسرة (الآباء والأمهات) للتعامل مع الأطفال في المجال اللغوي.

¹ الدكتور نهاد موسى، استعراض تجربتي عمان واليمن في تعليم اللغة العربية، اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي 2008، ص405.

علم اللغة الاجتماعي وتنمية الاستخدام اللغوي في المجتمع المدني المعاصر

أ.د. محمود فهمي حجازي

عضو مجمع اللغة العربية - مصر

هدف هذا البحث توجيه النظر إلى اللغة والاستخدام اللغوي في السياق المجتمعي المعاصر، وذلك من حيث البحث والتطبيق. ولهذا الموضوع أهميته من جانبين، أولهما أن مدارس متعددة في علم اللغة في القرنين التاسع عشر والعشرين ركزت إلى حد بعيد على النظام اللغوي في الأصوات والكلمة والجملة والدلالة والمعجم. وكان تقدم العلوم الاجتماعية في اتجاه مواز لعلم اللغة، إلى أن ظهرت علوم واتجاهات جديدة تدرس اللغة والاستخدام اللغوي والقضايا اللغوية في المجتمع. والجانب الثاني أن الاهتمام بالاستخدام اللغوي كاد ينصرف في بيئات علمية كثيرة إلى لغة الأدب والنحو والمصطلحات، غير أن قضايا اللغة والاستخدام اللغوي في المجتمع المعاصر تتطلب أيضاً بحثاً علمياً أخرى بهدف دراسة جوانبها المختلفة وإيجاد الحلول لمشكلاتها الحالية برؤية مستقبلية.

أولاً: الإطار العام

كانت بداية الرؤية الاجتماعية للغة واضحة في تعريف اللغة وبحث وظائفها عند الفلاسفة مثل الفارابي (339هـ) وكثير من اللغويين مثل ابن جني (392هـ) وعند المفكرين مثل ابن خلدون (808هـ)، واستمرت أيضاً عند علماء في بيئات علمية متعددة. ولكن الرؤية الجديدة تكونت تارة في النظرية الاجتماعية والبحوث الأنثروبولوجية، وتارة أخرى في علم اللغة

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الحديث. وكان الاهتمام المتبادل بينهما مما أدى إلى تأثير للنظرية الاجتماعية في نظرية اللغة عند دي سوسير وإلى انتقال البنيوية من علم اللغة إلى الدراسة الأنثولوجية.

ومنذ نحو 1960م زاد الاهتمام ببحث اللغة في السياق الاجتماعي. وظهرت تسميات متعددة لذلك، منها: علم اللغة الاجتماعي لدراسة اللغة في إطار المجتمع الإنساني، مع ربط ذلك بالعرق والطبقة والنوع والمؤسسات المجتمعية. أما علم الاجتماع اللغوي فيبحث اللغة بوصفها قسماً من النظرية الاجتماعية. وهذه التفرقة موازية للفرق بين علم اللغة الأنثربولوجي بوصفه فرعاً من علم اللغة يركز على اللغات مع ربط ذلك بالأنماط الاجتماعية والثقافية من جانب، وعلم الأنثربولوجيا اللغوية الذي يبحث مكان اللغة في حياة المجتمعات الإنسانية من الجانب الآخر.

تحدد الدراسات المتخصصة في علم اللغة الاجتماعي مجال البحث وقضاياها بمجموعة من الأفكار العلمية:

- أ. علم اللغة الاجتماعي تخصص جديد نسبياً لعلّها: يفيد من علم اللغة وعلم الاجتماع، وهما تخصصان مستقلان وبينهما علاقات متبادلة.
- ب. علم اللغة الاجتماعي جزء من علم اللغة، يبحث العلاقة المتبادلة بين الاستخدام اللغوي والتصنيفات الاجتماعية.
- ج. الاهتمام المعرفي بعلم اللغة الاجتماعي يقوم على أن بناء المجتمع والسلوك الاجتماعي يوجهان النظام اللغوي واستخداماته.
- د. يهتم علم اللغة الاجتماعي بتعرف أنماط الاستخدام اللغوي في إطار تعدد وظائف اللغة مع ربط ذلك بالفئات الاجتماعية والمواقف.
- هـ. علم اللغة الاجتماعي عمل مشترك يساهم فيه اللغويون وعلماء الاجتماع وعلماء السلوك والأنثربولوجيون.
- و. هناك علاقة بين علم اللغة الاجتماعي وعلوم الاتصال وعلم النفس والتداولية والتخطيط اللغوي وعلم الإنسان وتعليم اللغات.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ز. يتناول علم اللغة الاجتماعي بالمفهوم العام ما يتصل بعملية التواصل في المجتمع، وهي عملية يقوم بها الفرد بمعايير السلوك الاجتماعي.

ح. يبحث علم اللغة الاجتماعي قضايا السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي والعوامل المؤثرة في ذلك.

كان الاستخدام الأقدم نسبياً يجعل العلاقة بين علم الاجتماع واللغة تحت اسم علم الاجتماع اللغوي. وهناك محاولات لتحديد مجال علم الاجتماع اللغوي بمعايير علم الاجتماع:

أ. اللغة جزء من النظام الاجتماعي.

ب. الأساس في بحث علم الاجتماع اللغوي اقتصادي واجتماعي وسياسي أكثر من اهتمامه بالبنية اللغوية ومكوناتها.

ج. من المهم بحث المواقف التي يجري فيها الاستخدام اللغوي.

يختلف الباحثون في تحديد الموضوعات باختلاف تكوينهم العلمي وأهدافهم البحثية وطبيعة ما يشدونه من الإضافات العلمية، كما تتنوع جوانب التركيز والمنطلقات والمادة والمنهج وتقنيات التنفيذ. وتتعدد أسماء الكتب وأسماء المقررات الجامعية. أما المراكز البحثية المعنية بذلك، فهي تارة في إطار علم اللغة أو علم اللغة التطبيقي أو علم الاجتماع أو علم الإنسان أو التربية، أو في إطار يجمع علم اللغة مع تخصص من هذه التخصصات. بعض عناوين الكتب الجامعة ينص على أنه في علم اللغة الاجتماعي أو في علم الاجتماع اللغوي، وبعضها يحمل عناوين أخرى، مثل: اللغة في الثقافة والمجتمع أو اللغة في المجتمع. وفي كل الحالات هناك تكامل معرفي مفيد، وعلى سبيل المثال نجد في كتاب سوزان رومان: اللغة في المجتمع مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، فصولاً ذات محتوى لغوي مع ربط ذلك بالمفاهيم والمعايير الاجتماعية: اللغة في المجتمع، المجتمع في اللغة، الاختيار اللغوي، أنماط لغوية اجتماعية، اللغة والنوع، التعبير اللغوي برؤية اجتماعية، اللغات الهجين والكربولية، مشكلات لغوية بوصفها مشكلات مجتمعية. وفي كل الحالات: المحتوى لغوي والمعالجة تربط ذلك بالمفاهيم

الاجتماعية.

هناك اتجاهات أخرى في دراسة الاستخدام اللغوي، ولها من هذا الجانب صلة بعلم اللغة الاجتماعي، منها: التداولية. ومصطلح Pragmatics له في علم اللغة دلالة خاصة، وتختلف إلى حد ما عن الاتجاه الفلسفي الذي يتخذ اسماً مماثلاً (us) Pragmatism. مصطلح التداولية منه علم اللغة التداولي، وكذلك التداولية الاجتماعية Sociopragmatics . التداولية دراسة اللغة في مواقف محددة من ناحية مستخدميها، وعلى وجه الخصوص من جانب الاختيارات التي يقومون بها في استخدام اللغة في التفاعل الاجتماعي، وتأثير ذلك الاستخدام في المشاركين في فعل التواصل. يطلق على الأسس التي تحكم الاستخدام التواصلي للغة، وبوجه خاص في المحادثة اسم: التداوليات العامة. أما دراسة التفاعل اللغوي في مجال محدد، مثل الاستشارات وزيارة الطبيب، وجلسات المحاكم، حيث مسائل التواصل لها أهمية خاصة، فيطلق عليها اسم التداوليات التطبيقية.

مصطلح علم اللغة التداولي يركز على المكونات اللغوية المستخدمة بالفعل في التفاعل اللغوي، وذلك في مقابل التداولية الاجتماعية لبحث ظروف الاستخدام اللغوي في المواقف الاجتماعية. يبحث علم اللغة التداولي على سبيل المثال نظام استخدام الضمائر في اللغة واقع وطرق استخدام الصيغ المختلفة للتعبير عن المواقف والعلاقات مثل الود والتحفظ والاحترام. أما البحث في التداولية الاجتماعية فيبدأ بالإطار الاجتماعي للمشاركين في التفاعل اللغوي، ويبحث العوامل المختلفة مثل العمر والنوع والطبقة وأثر ذلك في اختيار هذا أو ذلك. إن تحليل المحادثة يعد من أهم مجالات التداولية، لأن المحادثة شكل مهم من التفاعل الاجتماعي عن طريق الكلام.

وهكذا تكونت في هذا الصدد مفاهيم كثيرة، تقوم على أساس ربط الاستخدام اللغوي بالسياق الاجتماعي، وتهتم بالتنوعات في اختيار عناصر محددة من النظام اللغوي للأداء في مواقف اجتماعية محددة، تهتم بالمكونات اللغوية لعبارات المتكلم ومكانها وزمنها وتصف

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المحتوى والشروط السياقية مثل الموقف والمعرفة السابقة والفروض والتوقعات والأدوار والتحفظات والتركيز. وتكونت في هذا السياق قضايا ومفاهيم لتحليل المحادثة، منها: المحادثة اليومية، التفاعل اللفظي، التواصل اللفظي، العناصر غير اللفظية في الحوار، صيغ الأدب في الحوار، التفاوض، الأنماط في مختلف الثقافات، الحوار الوظيفي، صيغ المحادثة في الأعمال الأدبية. وأُجريت دراسات على أساس مدونات لغوية شفوية سجلت ووثقت وحلت، وقامت في جامعة ليون الثانية على سبيل المثال وحدة بحثية لذلك.

اتضح في التاريخ اللغوي وفي الواقع المعاصر لدول كثيرة حديثة ما يأتي:
أ. أهمية الوعي بأهمية اللغة في بناء الدولة والتقدم. وبدون هذا الوعي على مستوى الصفوة وعند طبقات المجتمع لا يمكن تنفيذ خطة لغوية. وهذه الخطة اللغوية جزء من نهضة عامة لبناء دولة حديثة على أسس متكاملة منها الانتماء الوطني مع المشاركة الجادة في حضارة العصر وعدم الانغلاق وعدم وضع حدود لغوية طبقية.

ب. التخطيط للاستخدام اللغوي على مستوى الدولة أو المنطقة اللغوية لا يقتصر على الأداء المكتوب، بل يتضمن أيضاً الأداء المنطوق. والصين المعاصرة أكبر مثال على ذلك، الكتابة ظلت موحدة والاستخدام اللغوي المكتوب ظل موحداً في حين تباعد الأداء المنطوق تباعداً كان يمنع من التواصل المنطوق. ولكن الخطة اللغوية على مدى نحو جيلين نجحت في ترسيخ الاستخدام اللغوي المنطوق بطريقة محددة الهدف والوسائل.

ج. تكونت لغات وطنية كثيرة في سياق به صعوبات كثيرة، منها وجود ازدواج بين مستويين لغويين مقاربين أو بين لغتين مختلفتين. وهذا واضح في دول أوربية كثيرة عرفت التعليم أو التعليم والإدارة أو الدين والتعليم والإدارة باللاتينية، وكانت لها لغات وطنية استقرت في كل المجالات، وظلت اللاتينية لغة بعض الشعائر الدينية. وفي دول كثيرة كانت هناك لغتان، مثل الألمانية والمجرية أو الألمانية والتشيكية. القضية المعاصرة بالنسبة للعربية ليست قضية الدين فهو بالعربية بلا شك، ولكنها قضية الاستخدام في المجالات الأخرى.

د. استيعاب كل الأطفال في التعليم ومحو الأمية أساس مهم عند تنفيذ خطة لغوية في الدولة.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وأكبر دليل على ذلك ما حدث في روسيا ودول أوربية كثيرة. هناك إحصائيات عن روسيا، كانت نسبة القراءة والكتابة (سنة 1897م) 28.4%، وأصبحت (سنة 1939م) 87.4%، ثم (سنة 1959م) 98.5%. واليوم على سبيل المثال نجد في جمهورية كازاخستان 100% دخلوا التعليم تسع سنوات على الأقل.

هـ. أهمية العمل اللغوي التطبيقي لخدمة المجتمع في حاضره ومستقبله، وذلك من خلال كتب مناسبة بهدف تطبيقي والمعاجم بأنواعها وبعمل دورات لغوية هادفة إلى تنمية الاستخدام المنشود للغة وليست مجرد نصائح وحديث جميل عن لغة ما واستخدام غيرها.

و. تعليم اللغة لأغراض الحياة الحديثة يجري باستعمال اللغة نفسها. أما تعليم اللغات لأهداف دراسة التراث القديم فيجري في حالات كثيرة باستعمال لغة أخرى، أي باستعمال لغة أخرى حديثة، وذلك مثلاً مثل تعليم اللاتينية أو اليونانية أو السنسكريتية بالفرنسية أو بالألمانية أو بالإنجليزية.

ز. أهمية الانتباه إلى المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص التي لها لغات محلية، وذلك برعاية تنمية اللغة الرسمية بها بوسائل ثقافية وتعليمية مناسبة. وأمثلة ذلك في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا واضحة، حيث توجد في كل منها جماعات من أبناء الدولة لهم لغات أخرى غير لغة الدولة، يشكلون أقل من 10% من مجموع المواطنين، ويُراعى ذلك في نسق الدولة. ولا توجد في تلك الدول اتجاهات جادة مخالفة، والسياق العام هو الاتحاد الأوروبي.

ح. أصبحت اللغة الإنجليزية لغة التعامل الأولى على مستوى العالم، وليس ثمة تعارض بين الاهتمام على المستوى الوطني أو القومي باللغة القومية من جانب واللغة الإنجليزية من جانب آخر. وهناك مشكلة لغوية في بعض البلدان لوجود لغة ثانية لها أهمية إقليمية مثل الروسية أو الفرنسية. في دول كثيرة اهتمام بثلاث لغات.

ثانياً: اتجاهات البحث

تكونت في القرن العشرين عدة اتجاهات في دراسة اللغة. كانت المدرسة اللغوية البريطانية

التعريب العدد الثالث والأربعون . المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

التي يمثلها فيرث (1890-1969م) تجعل الاستخدام اللغوي نتيجة لوجود عناصر لغوية من جانب وسياق الموقف من جانب آخر. وفكرة سياق الموقف من أهم أفكار علم اللغة الاجتماعي، كما تكونت في جامعات أوروبية وأمريكية أفكار مهمة لربط العناصر اللغوية بالإطار الاجتماعي وبالمواقف، تارة في بحوث اللهجات وتارة في بحوث تاريخ اللغة وتارة في علم اللغة العام وتارة في بحوث تعليم اللغات وتارة في الأقسام المختصة بعلم اللغة وعلم الإنسان.

استقرت مجموعة مفاهيم في دراسة اللغة في المجتمع، منها الجماعة الكلامية، اللهجات الاجتماعية، الازدواج في إطار اللغة الواحدة، التكون التاريخي للغة، النظام المعياري للغة، حيوية اللغة، النظام اللغوي. هناك منظومة مصطلحات لوصف اللغة وتصنيفها: لغة معيارية، لغة قديمة، لغة محلية، كريول، لغة هجين، لغة مصنوعة، لغة هامشية، لغة رسمية، لغة التواصل الأكبر، لغة التعليم، لغة الأدب، لغة الدين، لغة العلم والتقنية.

تتوعد القضايا التي تناولتها دراسات علم اللغة الاجتماعي في عدة بيئات علمية، ومن هذه القضايا: الوصف الإثنوي للتواصل، الاستخدام اللغوي، اللغة والنوع، الأحداث التواصلية، ممارسة المحادثة، الفعل الكلامي، الكلام والمجتمع، اللغة والتنشئة الاجتماعية، اكتساب اللغة، اللغة المعيارية واللغة غير المعيارية، اللهجة، الأمة، الجماعة الكلامية، القضايا اللغوية بوصفها قضايا مجتمعية، دراسة اللغة في السياق الاجتماعي، نتائج تعلم الكتابة، التحول اللغوي، الصدامات اللغوية والجماعة السياسية، الثنائية اللغوية والتعدد اللغوي، المجتمعات المتعددة اللغات، انتشار لغة، استمرار لغة، انكماش لغة، الاختبار اللغوي، قواعد المخاطبة، الكفاءة التواصلية.

أهم الإضافات التي قدّمها اللغوي البريطاني Bernstein دراسات عن الاستخدام اللغوي الواقعي. فرّق بين منظومة الرموز الضيقة أو المحدودة من جانب آخر. تكونت لديه الفكرة بالخبرة والبحث، أما الخبرة فكانت في سنوات تكوّن فيها في بريطانيا وعي جديد بالعامل

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

اللغوي في بناء المجتمع وبأهمية تكافؤ الفرص التعليمية للجميع بقطع النظر عن الأصل الاجتماعي. الفكرة الأساسية عند برنستين في بحوثه ومحاضراته المنشورة أنه توجد علاقة نظامية بين الطبقة الاجتماعية والاستخدام اللغوي. الطبقة الوسطى تميل إلى استخدام منظومة الرموز الرسمية أو الموسعة من اللغة، في حين الطبقة العاملة تميل إلى استخدام منظومة الرموز المحدودة أو الضيقة.

المنظومة الموسعة	المنظومة المحدودة
متنوعة ومرنة	عبارات جاهزة
أكثر وضوحاً	معتمدة على السياق
استخدام رسمي نسبياً	استخدام غير رسمي
جملة واضحة البناء	جمل مبتورة
أبنية لغوية كثيرة	أبنية لغوية محدودة
المعاني متنوعة	المعاني محدودة وضمنية
الصفات كثيرة	الصفات محدودة

أهمية هذه الفكرة كانت في إطار التربية وتعليم أطفال الطبقة العاملة الدنيا في بريطانيا ولكن تنمية الاستخدام اللغوي في الحياة العامة في بلدان أخرى يتطلب النظر فيها عند عمل بحوث لغوية اجتماعية.

وفي الوقت نفسه كانت في ألمانيا عدة بحوث تناولت: مشكلة الحواجز اللغوية وبداية التعلم في المدرسة. الفكرة الأساسية هنا أن وجود حواجز لغوية عند الطفل من بيئات متواضعة أو وافدة تعوق تقدمه الدراسي. وكانت آراء برنستين معروفة ومقدرة. كتب Oevermann عن اللغة والأصل الاجتماعي (1970م). انطلق من فكر برنستين، ولكنه أضاف متغيرات أخرى. اعتمد بحث أوفيران على مادة مكتوبة قوامها: 246 موضوعاً كتبه تلاميذ من أربعة فصول

التعريب العدد الثالث والأربعون . المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

في مدرستين في فرانكفورت. لقد تجنب فكرة الحوار الجماعي، وتجنب فكرة أنواع المدارس. وكانت نتائجه متفقة مع برنستين في جوانب محدودة، ومختلفة عنها في جوانب كثيرة، وترجع الفروق إلى اختيار العينة.

كتب الأنثروبولوجي اللغوي D.Hymes تقريراً علمياً عن "اثنوجرافيات التواصل" (1964م)، كما كتب عدة بحوث سابقة ولاحقة في اثنوجرافية التواصل، وكذلك في الرؤية الاجتماعية للواقع اللغوي. أهم الجوانب المنهجية للبحث:

1. مكونات الأحداث الاتصالية.
2. العلاقات بين هذه المكونات.
3. قدرة هذه المكونات وتكاملها.

وفي هذا الصدد فإن المنطلق الأساسي أن التحليل الإثنوجرافي للعادات الاتصالية عند الجماعة يتضمن في مجموعة تحديد ما يُعد أحداثاً اتصالية ومكوناتها، ولا سلوك اتصالياً يكون مستقلاً عن المنظومة. ومن ناحية اللغة فإن منظومة الرموز (Code) يكون فيها "الفعل الكلامي" مركز الاهتمام.

وفي تحليل ذلك يكون الاهتمام في ضوء نظرية الاتصال بثلاثة مكونات، يمثل المشاركون المكون الأول والمكون الثالث، أما المكون الثاني فهو الرسالة. المكون الأول هو المرسل (اسم فاعل) أو المرسلون، والمكون الثالث هو المستقبل (اسم فاعل). أما المكون الثاني فيكون بحثه بالنظر في القنوات المتاحة وطرق الإفادة منها: الكلام، الكتابة، الطباعة، الطبل، الغناء، الحركة وجهاً لوجه.

وهنا ملامح لغوية وغير لغوية وموسيقية. ويتضمن البحث هذه المنظومة في تكاملها، كما يتناول الواقع. أما أشكال الرسالة فإنها تتضمن الأنواع التي تتدرج من مقطع واحد إلى جملة إلى عبارة...إلخ.

يتضمن بحث الرسالة ما يأتي:

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

آ. منظومة الرموز أو منظومات الرموز التي تجعل الرسالة مفهومة.

ب. الأطراف المشاركة، وعلى المتحدث والمتلقي.

ج. الحدث الذي يدور حوله النقل.

د. القناة أو القنوات التي نُقل من خلالها.

هـ. السياق الذي تم فيه.

و. الشكل المحدد للرسالة.

ز. الموضوع أو الخبر.

إن كل هذه الجوانب مهمة في بحث الاستخدام اللغوي، وتتكامل فيها أركانها: المرسل والمستقبل والقناة ومنظومة الرموز والسياق والشكل والموضوع.

تختلف دراسة علم اللغة الاجتماعي للواقع اللغوي عن دراسة اللهجات بالمعنى الذي كان معروفاً في إطار المدرسة اللغوية التاريخية، التي كانت تصف بحثاً عن القديم والرواسب والتأثيرات والتغيرات التاريخية. ومن أهم الدراسات الدالة على التوجه الجديد في علم اللغة الاجتماعي بحث Labov عن التصنيف الطبقي الاجتماعي للغة الإنجليزية في نيويورك (1966م)، وله بعد ذلك دراسات كثيرة أخرى عن دراسة اللغة في السياق الاجتماعي وعن التغير الصوتي في السياق الاجتماعي. وأهم ما في بحوثه دراسة اللغة في السياق الاجتماعي يدور حول المفاهيم الآتية: الجماعة الكلامية، ماذا تقول للآخرين، تحديد العينة، الحوار الحر، طبيعة الخطاب، وظائف اللغة، الجمع والتسجيل، تحليل لغوي لحوار طبيعي، تغيير الأسلوب، الانتباه، المستوى اللغوي، السياق الرسمي، جلسات جماعية، الملاحظة. كان السؤال الأساسي يتركز في بحث كيف يتحدث الناس في السياق الاجتماعي والمواقف المتعددة في الظروف العادية، وهو كلام قد يكون مختلفاً عما نسمعه في وسائل الإعلام حيث تتعرض المادة للحذف والاختصار وعدم وضوح سياق التسجيل في حالات كثيرة. ومن المنطلقات التي نجدها عند لابوف: الكلام العفوي، الكلام المعتنى به، القراءة، قوائم المفردات، ثنائيات التقابل، اختبارات

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

التلقي، اختبارات رد الفعل، اختبارات التقييم الذاتي، اختبارات التصويب، البنية اللغوية الاجتماعية، الطبقة الدنيا، الطبقة العاملة، الطبقة الوسطى، والشرائح الدنيا، الرجال والنساء، علاقة المعيار بالسلوك، دور العوامل الاجتماعية في التطور اللغوي. وهذه المعايير متعددة، ويجري تطبيقها في تحليل المادة الميدانية بهدف بيان معلومات عن الاستخدام اللغوي في السياق الاجتماعي. أي ليست معلومات عن بنية اللغة بوصفها كياناً وليست عن المجتمع والناس والفئات الاجتماعية.

تتعدد منظومة الرموز في بعض المجتمعات، تبديل منظومة الرموز Code-Switching من الظواهر المألوفة، سواء أكان ذلك بين لغة وأخرى، أو بين مستوى لغوي أو أكثر من لهجة أو أكثر من مستوى لغوي في أثناء المحادثة. ويعتمد ذلك على عدة عوامل، منها طبيعة المتلقين والموضوع الذي تدور حوله المحادثة والموقف. وتختلف ظروف تبديل المنظومة طبقاً لمكانة اللغتين أو المستويين في السياق الاجتماعي، ففي المجتمعات التي توجد بها لغة ثانية إلى جانب اللغة الوطنية يختلف الموقف عن المجتمعات التي لا تستخدم فيها اللغة الأجنبية إلا في تعليم بعض التخصصات والتعامل الخارجي. ويختلف تبديل منظومة الرموز بالمعنى السابق عن ظاهرة خلط منظومة الرموز Code mixing الذي يقتصر على نقل عناصر لغوية من لغة إلى لغة أخرى، ومن ذلك كلمات محددة أو تراكيب.

مفهوم "الازدواج" Diglossia، أي وجود مستويين لغويين في إطار اللغة الواحدة، طوره وطبقه عالم اللغة الأمريكي فيرجوسون (1959م) واتخذ أمثله من العربية واليونانية والألمانية السويسرية، ومن سمات الازدواج ما يأتي:

أ. موقف لغوي ثابت نسبياً.

ب. لغة عليا، ومستوى لغوي محلي.

ج. لكل مستوى لغوي وظائفه المجتمعية.

د. تختلف مكانة كل مستوى لغوي.

هـ. التراث الأدبي يؤثر في المكانة.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ويختلف المستويان في درجة التقنيين في الاستقرار والنحو والمفردات والأصوات. وقد اتضح من دراسات وكتب متعددة أن هذا التصور لا يطابق الواقع، ولابد من تعديله لأن المستويات متعددة في تلك المناطق التي اتخذها أمثلة لإثبات المفهوم. وقد تغير مفهوم الازدواج بعد ذلك عند فيشمان، ليصبح شاملاً لوجود مستويين لغويين، سواء أكان من لغة واحدة أم من لغتين اثنتين.

كانت دراسة فيرجوسون عن دور اللغة العربية في أثيوبيا (1970م) مسبوقة بمحاولة وضع صيغة لتحديد الملامح اللغوية الاجتماعية على مستوى الدولة. وتتضمن هذه الصيغة بيان اللغات الأساسية واللغات الفرعية واللغات ذات الوضع الخاص. وتستخدم في الصيغة أيضاً مصطلحات دالة على اللغة من حيث كونها: لغة رسمية، لغة مقننة، لغة تعامل في البلاد، لغة تعليم، لغة تواصل مع بلدان أخرى. أما اللغات ذات الوضع الثقافي الخاص فهناك مصطلحات دالة على دورها. أما مصطلح لغة قديمة (ذات معيار من الماضي) فيعني أنها تستخدم في المقام الأول لأغراض دينية أو أدبية. وفي ضوء هذا التصنيف وبهذه المصطلحات قام الباحث برسم ملامح الموقف اللغوي في أثيوبيا، ثم خصص أكثر بحثه لمستويات اللغة العربية ومجالات استخدامها في تلك البلاد.

دراسة المواقف المجتمعية من اللغة من أهم الموضوعات المهمة لتعرّف أبعاد الواقع. هذه المواقف قد تكون شاملة لكل الفئات والأقاليم، وقد تكون لها حدودها الاجتماعية. وهذه المواقف تدرس من حيث الرؤية المجتمعية نحو لغة محددة أو لغتين أو لغة أجنبية أو مستويات اللغة الواحدة. معرفة أبعاد الواقع اللغوي موضوع بحث أساسي وله تطبيقاته عند عمل سياسة لغوية أو اختيار لغوي أو خطة لتنمية الاستخدام. تتضمن دراسة المواقف ما يأتي:

أ. علاقة المواقف والآراء بالسلوك اللغوي في الواقع.

ب. موقف الجماعات اللغوية الصغيرة.

ج. موقف الجماعات اللغوية الكبيرة.

د. المواقف في الدول ذات الثنائية اللغوية أو التعدد اللغوي.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- هـ. المواقف في المناطق اللغوية ذات الازدواج اللغوي (فصحى/عامية).
- و. علاقة المواقف بأحكام القيمة.
- ز. التصورات الذهنية السائدة عن لغة من اللغات، ومدى ارتباطها بالماضي أو الحاضر.
- ح. التصورات الذهنية السائدة عن صلاحية لغة ما للتعامل العلمي والتقني.
- ط. التصورات السائدة عن قداسة بعض اللغات وإمكان تطويرها، أو التمسك بأنها تنتمي للماضي، وبعدم إمكان تطويرها لكونها كاملة وجامدة ولا تمس، وبذلك تترك الحياة للغات الأخرى.
- ي. المواقف من المؤسسات المعنوية بالتنمية اللغوية، مثل المجامع اللغوية.
- ك. المواقف الاجتماعية والفئوية من الألفاظ الجديدة، والنظر إليها على أنها عالمية مقبولة أو دخيلة غير مقبولة.
- ل. النظرة إلى المجالات المفضلة لاستخدام لغة محددة في الإدارة والأدب والعلم والإعلام والحياة العامة.
- م. الموقف من مدى أهمية الوحدة اللغوية للدول التي تنتمي إلى منطقة لغوية واحدة. وهل يراد استمرار هذه الوحدة اللغوية أم الاتجاه إلى الانقسام والمحلية.
- ن. الموقف من مدى أهمية التخطيط اللغوي واحترام الأهداف في بناء المستقبل والإجراءات العملية والمراحل.
- وفي هذا كله، هناك ثلاثة منطلقات: المنطلق الاجتماعي بمفاهيم العلوم الاجتماعية، والمنطلق النفسي السلوكي بمفاهيم علم النفس، والمنطلق الأيديولوجي التخطيطي بمفاهيم السياسة اللغوية.

ثالثاً: تعليم الاستخدام اللغوي

إن اتجاهات التطور في طرائق تدريس اللغة الوطنية واللغة الثانية واللغة الأجنبية اهتمت على نحو متزايد بالاستخدام اللغوي. تطورت طرائق تدريس اللغات منذ النصف الثاني من

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

القرن التاسع عشر وحتى نهاية القرن العشرين في أوروبا وأمريكا والهند وبلدان كثيرة أخرى إلى الاهتمام بالاستخدام اللغوي لأغراض الحياة المعاصرة.

وفي هذا الإطار تنوعت طرائق التدريس وتكونت أفكار جديدة نسبياً، منها:
أ. تعليم اللغات الحية لا يقتصر على تعلم النحو النظري وقراءة النصوص وتحليلها أو ترجمتها.

ب. تعليم اللغة عملية مهاريّة مختلفة عن الكلام النظري عن اللغة.

ج. الجانب الصوتي مهم في تعليم اللغات.

د. لابد من تحديد الأهداف المهارية والمعرفية من تعليم اللغة بدقة ولا يكون ذلك بعبارة عامة.

هـ. اختيار المادة اللغوية في العملية التعليمية يكون على أساس المناسبة ثم التدرج.

و. اللغة عادةً، يجري ترسيخها بالتدريب.

ز. العناية بالطلاقة إلى جانب الدقة في الاستخدام اللغوي.

ح. الاهتمام بدراسة الأعمال الأدبية (الرواية - المسرح - الشعر)، وعلى وجه الخصوص في تعلم اللغة الأولى.

وفي هذا الإطار تكوّنت مفاهيم جديدة ومهمة في تعليم اللغات: الممارسة اللغوية منذ بداية التعلم، المنهج الشفوي في تعليم اللغات، اختيار المادة، التدرج، التدريب، اختيار الألفاظ الشائعة، اللغة الأساسية، أهمية علم اللغة، ظهور علم اللغة التطبيقي، إعداد متخصصين في علم اللغة التطبيقي، أهمية الوسائل السمعية والبصرية، علم النفس وتعليم اللغات، علم اللغة الاجتماعي. ومن أهم المفاهيم التي تكونت في إطار تعليم اللغات: المهارات اللغوية، وهي الاستماع والتحدث، والقراءة والكتابة. وتطورت أيضاً تقنيات الاختبارات لتقيس مدى تقدم الدارس في هذه المهارات. أما الاختبارات في النحو النظري ومصطلحاته والتحليل النحوي فلها أهداف مختلفة، وكذلك اختبارات الأدب والثقافة.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

لا شك أن ثمة فروقاً بين تعلم اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية أو تعلم اللغة الأجنبية من حيث الأهداف والمحتوى والمواد التعليمية والاختبارات. وفي كل الحالات لا يجوز أن يكون الطموح إلى تعلم اللغة الأم وإيقانها لأغراض الحياة أدنى من أهداف تعليم لغة أخرى من حيث كفاءة الدارس في الأداء اللغوي، إلى جانب التحليل الأدبي والتاريخ الثقافي.

إن تنمية المهارات اللغوية في تعليم اللغة الوطنية في مدارس الدول الأوروبية كان بأشكال متعددة. ولكن التوجه الجديد منذ نحو سنة 1969م في عدة دول منها ألمانيا الاتحادية كان إلى مراعاة جوانب من علم اللغة الاجتماعي، ويظهر ذلك في مناهج التعليم الوطنية للغة البلاد:

أ. الاهتمام بالكفاءة التواصلية للتلاميذ منذ بداية عهد المدرسة وعلى امتداد سنوات الدراسة، مع توجيه عناية خاصة للتلاميذ الذين لهم في الطفولة المبكرة لغات محلية.

ب. التوازن في الاهتمام بالميراث الثقافي من جانب والكفاءة التواصلية الشفوية الإيجابية اللازمة للمشاركة في الحياة من جانب آخر.

ج. إن دراسة اللغة والسلوك اللغوي ينبغي أن يكون من وجهة نظر تواصلية. ويتطلب ذلك مناقشة نصوص من وجهات نظر لغوية اجتماعية لاستخراج العلاقة بين السلوك اللغوي والتفاعل الاجتماعي.

د. يكون بحث المستويات اللغوية مثل اللهجات المحلية والعامية ولغة التخصص على أساس نوعيات نصوص متعددة.

هـ. جزء من التدريب يكون بتحليل نصوص لغوية ألفها الطلاب أنفسهم وحوارات دالة على خصائص لفئات من مستخدمي اللغة (طبقات، مهنة، أطفال...الخ).

و. ملاحظة وتحليل السلوك اللغوي في مواقف كلامية يكون اعتماداً على الحياة اليومية والأدب وعلى فهم السلوك اللغوي المرتبط بأدوار اجتماعية، مع التحليل النحوي والدلالي للمسار وللتغير في اللغة المنطوقة وملاحظة التنوع اللغوي في السياق الاجتماعي (البنية، الموقف، المكانة الاجتماعية، المعيار اللغوي).

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

من أهم خطط البحث التي نفذت في السياق الأوربي مشروع المستوى الأول لتعليم اللغة للكبار. وهذه الخطة بدأ بحثها بهدف تيسير تعليم اللغة الإنجليزية للكبار على المستوى الأوربي بوصفها لغة ثانية. كان الوعي بالاتجاه المتزايد نحو الوحدة الأوربية واضحاً في أهمية تجاوز العقبة اللغوية أمام عمل المؤسسات الاقتصادية والثقافية والسياسية والسياحية والتصدير والاستيراد وغير ذلك، مع عدم التقليل من شأن الدراسة الثقافية والأدبية والثقافية لما لها من أهمية فنية وفكرية.

إن أهداف تعلم لغة تحدد بكلمات دالة على السلوك، أي ما ينبغي أن يقوم به الدارس بعد التعلم. تحديد المحتوى يقوم على معرفة المواقف والأدوار والمواقع والموضوعات التي يحتاجها متعلم اللغة. هناك مكونات لتحديد أهداف مقرر تعليم اللغة، منها: المواقف التي تستخدم فيها اللغة والموضوعات. والأنشطة اللغوية التي سيقوم بها الدارس. والوظائف اللغوية، وما سيقوم به والأنشطة اللغوية التي سيقوم بها الدارس. والوظائف اللغوية، وما سيقوم به الدارس في كل مجال، والتوجهات الأساسية التي سيعبر عنها، والتوجهات الخاصة المرتبطة بموضوع محدد، والأشكال اللغوية، ودرجة الإتقان في المهارة.

إن الوظائف المجتمعية والمواقف الاتصالية للاستخدام اللغوي لهذا المستوى الأساسي متعددة، وكلها مهمة، وتمثل منطلقاً لتنمية الأداء اللغوي في الحياة العامة. وبيان ذلك ما يأتي:
أ. الأدوار في الحياة العامة، منها أدوار اجتماعية، مثل الحديث بين غربيين أو بين صديقين أو الحديث الودي أو الرسمي أو الحديث مع طبيب أو الاستفسار أو الرد. وهناك أدوار نفسية مثل التعبير عن الحياء أو المساواة أو التعاطف أو الرفض.

ب. المواقع في الحياة العامة منها أماكن في خارج المسكن مثل الشوارع والبيادر والأسواق وساحات الانتظار، ومنها المسكن بما في داخله، ومنها المتاجر بأنواعها، ومنها المطاعم والمقاصف والمقاهي، ومنها الفنادق والمعسكرات، ومنها وسائل المواصلات مثل المحطات والقطارات والمطارات والطائرات والموانئ والبحار، ومنها دور العبادة، ومنها دور الرعاية الصحية، والمؤسسات التعليمية، والمؤسسات الثقافية والترفيهية، والاتصالات،

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والمؤسسات المالية، وأماكن العمل، والمحيط الإنساني مثل الأسرة والأصدقاء والمعارف والغرباء. وكل موقع له متطلباته اللغوية التي تعد جوانب من الاستخدام في السياق الاجتماعي.

ج. الموضوعات الخاصة بالاستخدام اللغوي في الحياة العامة تتضمن: البيانات الشخصية، بيانات المسكن، التجارة والمهن، أوقات الفراغ والهوايات، السفر والرحلات، العلاقات بالآخرين، الصحة والرعاية الصحية، التعليم، التسوق، الطعام والشراب، المرافق، الجو. والاستخدام اللغوي في الحياة العامة يتطلب التعبير المناسب في هذه الموضوعات.

د. الوظائف اللغوية للتعبير في الحياة العامة، يتضمن: المشاركة والبحث عن المعلومات: التعريف، الوصف، التصحيح، الاستفسار، وكذلك التعبير عن المواقف: الموافقة والرفض والاستفسار والإنكار وقبول الدعوة أو عدم قبولها والاستفسار عن ذلك، والتعبير عن الإمكان وعدم الإمكان، وعن اليقين والشك، وعن الاستئذان، وكذلك التعبير عن المواقف الانفعالية: السعادة، وعدم التفضيل، الشكر، التعاطف، النية، الرغبة، الموافقة، الرفض، الندم، اللامبالاة، والنصح، وكذلك المشاركة الاجتماعية: التحية، الاستئذان، إثارة الانتباه، تحية الطعام.

المعايير التي تضعها مؤسسات أمريكية لإجادة اللغات لها أهميتها في بيان أهمية الاستخدام اللغوي. تتضمن هذه المعايير الأهداف والمجالات وتخطيط المقررات، بعض هذه الوثائق تنص على الرؤية المستقبلية، إنها للقرن الحادي والعشرين. وفيها نجد - على سبيل المثال - مفاهيم أساسية: محادثة، تقديم معلومات، التعبير عن المشاعر، تبادل الرأي، التواصل بين الأفراد، التواصل الشفوي والتحريري، التخاطب بطريقة مناسبة ثقافياً، الحوار عن الأسرة، الأمور الشخصية. وهناك برامج تعليمية تضعها مؤسسات روسية بهدف تنمية مهارات التواصل اللغوي.

في السنوات الماضية استقر المدخل التواصل في تعليم اللغات، وهناك عدة مصطلحات

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

دالة على هذا التوجه الجديد، منها: الكفاءة الاتصالية، الخطاب، البنية العميقة للخطاب، مكانة النحو التربوي، مفردات المنهج في النحو والمواقف، الوحدات/الساعات المعتمدة في تعليم اللغات الحديثة للكبار، تعليم اللغة بوصفها اتصالاً، تعليم الاستخدام الاتصالي للغة، تعلم اللغة من خلال التواصل.

منطلق المدخل التواصل يقيم على المفاهيم التي تكونت من قبل، ويفيد على وجه الخصوص من نظرية اللغة وعلم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي، ومن الرؤية الاجتماعية لوظائف اللغة. مفهوم الكفاءة التواصلية" وضعه عالم الأنثروبولوجية واللغة ديل هايمز. وهو محرر كتاب مرجعي مهم عن اللغة في الثقافة والمجتمع. إن الفرق الأساسي بين تشومسكي وهايمز، أن تشومسكي كان ينص على أن هدفه بحث البنية اللغوية المستخدمة في "جماعة كلامية متجانسة" ولكن الرؤية الاجتماعية بينت عدم التجانس في داخل الجماعة الكلامية. ولهذا طور هايمز مفهوم الأداء ومفهوم الكفاءة عند تشومسكي إلى مفهوم الكفاءة الاتصالية أو الكفاءة التواصلية.

إن تحديد المواقف يمهّد لتعرّف المتطلبات اللغوية. قدم Halliday تصنيفات للمواقف في إطار شبكة دلالية، يتضمن: التهديد (الشروط، الظروف)، عدم المناسبة (المباشرة، وغير المباشرة)، الطلب (الادعاء، الابتزاز)، الحكم (التقرير العام، الخاص)، الكلام عن شيء، الكلام عن شخص (طفل، كبير)، كما تتضمن أيضاً التقييد الزمني (الصباح، بعد الظهر، المساء).

ونجد عن Widsowson مفاهيم أخرى: التهديد، العقوبة، الإهانة، التحفظ السلوكي، التحذير، الوصف، التكرار، الاستمرار، الشرط، العطف، الأمر، التخيير، الشرط الضمني.

أما عند Wilkens فنجد التحديد الزمني والتحديد المكاني والتحديد الكمي والتحديد الكيفي، والتعبير عن الحركة، التعبير عن الموقف النفسي، التقرير والنفي، وعلاقات الانفعالية، والتحيات، وأسلوب اللياقة.

السلوك اللغوي المرتبط بالأهداف التواصلية نصت عليه عدة مناهج، ويتضمن ما يأتي:

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- التكوين اللغوي السليم يجري باستعمال اللغة نفسها وليس باستعمال لهجة محلية أو لغة أخرى.
- تكوين حساسية لغوية باحترام اللغة.
- التفكير في اللغة في إطارها الاجتماعي.
- معرفة إمكانيات الاستخدام اللغوي.
- الاهتمام بالاستخدام المنطوق والاستخدام المكتوب.
- تنمية الكفاءة التواصلية للمشاركة الإيجابية.
- إزالة الحواجز اللغوية عند الأفراد من الفئات المهمشة.
- تنمية الاختيار المعجمي والأسلوبي السليم.

اتضح في دراسات كثيرة تربط بين علم اللغة الاجتماعي والتربية أهمية الرؤية الاجتماعية في تنمية الاستخدام اللغوي، وعلى وجه الخصوص:

أ. التوازي بين التربية اللغوية بهدف تواصل والتفكير والتحليل بهدف معرفي. ويكون التركيز في السنوات الأولى على الجانب الأول، ويزيد الاهتمام بالجانب الثاني شيئاً فشيئاً، ويكون الجانب النظري واضحاً في المرحلة الثانوية.

ب. تعليم اللغة يصمّم على أنه يعرف تعرف الأحداث الكلامية في مواقف حقيقية. ولهذا هناك أهمية للبحوث اللغوية التداولية.

ج. أهمية توجيه النظر إلى المواقف والسياقات والمستويات من جانب، والاهتمام بتنمية مهارات الاتصال المناسبة من الجانب الآخر.

د. لا يقتصر تناول المادة اللغوية على النصوص الأدبية، التي تمثل جانباً مهماً دون شك، ولكن الواقع اللغوي به نصوص سياسية واقتصادية واجتماعية فكرية ووظيفية وغير ذلك.

ومن هنا تحليل نصوص متنوعة من حيث خصائصها المختلفة (التواصلية، المعجمية، النحوية، الأسلوبية... الخ)، ومنها نصوص علمية ونصوص سياسية ونصوص معرفية

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ونصوص وظيفية.

أدت الرؤية الاجتماعية للاستخدام اللغوي إلى اهتمام كبير باللغة بحثاً وتخطيطاً وتطبيقاً في الكليات والمراكز البحثية المهمة بالتربية وبعلم اللغة التطبيقي في عدة بلدان. واتضحت في هذا الصدد ثلاث قضايا:

أ. تعليم اللغة له ثلاثة جوانب: التربية اللغوية، الأدب، التفكير عن اللغة. أكثر المناهج تركز بطريقة أو بأخرى على الجانبين الثاني والثالث. أما الجانب الأول فيتطلب اهتماماً كبيراً، حتى إن بعض الدراسات الألمانية المعاصرة وصفت تعليم اللغة بأنها: مادة تواصلية.

ب. المدخل التواصلية له أهميته في تعليم اللغات، سواء أكانت اللغة الوطنية أو اللغة الرسمية أو اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية. تعليم اللغة الحية والمعاصرة تكون له أهداف تواصلية أو مهارية إلى جانب الأهداف الأدبية والثقافية الأخرى، أما تعليم النصوص التراثية واللغات القديمة فلها أهدافها وقضاياها وطرائقها.

ج. اتضح في ضوء الخبرة الألمانية أهمية عمل الدراسات الميدانية برؤية لغوية تطبيقية وتربوية متكاملة في كل هذه الموضوعات، ومنها:

- اللهجة بوصفها حاجزاً لغوياً.
- اللغة عند أطفال المرحلة الابتدائية.
- الأداء الصوتي والفئات الاجتماعية.
- لغة العمال.
- الفروق المعجمية والدلالية بين بلدان اللغة.
- الاستخدام اللغوي والطبقات عند التلاميذ.
- تنمية القراءة والكتابة والإملاء عن طريق الألعاب اللغوية.
- التنشئة الاجتماعية واللغة.
- المحددات المعرفية والاجتماعية لاكتساب اللغة.
- الأسرة واللغة.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- التنشئة وبحوث التواصل.
- علاقة بنية ونظم التواصل.
- أسماء الأماكن.
- الاستخدام اللغوي في المدينة.
- التواصل اللغوي والعملية التعليمية في التعليم الابتدائي والأساسي.

رابعاً: ألفاظ الحياة الحديثة والمتطلبات المعجمية

كانت بداية الإنتاج الطباعي العربي من المعاجم نشرًا لمعاجم تراثية كاملة أو مختصرة أو معدلة. وكان لمجمع اللغة العربية بالقاهرة دور كبير في صناعة معاجم جديدة، منها: "المعجم الوسيط"، "المعجم الوجيز". وفي هذا السياق الجديد، الذي يتعامل مع العربية بوصفها لغة حديثة ومستمرة، إلى جانب كونها لغة ذات تاريخ طويل، كان الاهتمام بالجديد في الحياة المعاصرة. ألفاظ الحياة المعاصرة موضع اهتمام رسمي، وإن كان الطموح أكبر من الواقع. لابد أن نذكر هنا جهد مجمع اللغة العربية في إدخال عدد من ألفاظ الحياة المعاصرة في المعجم الوسيط والمعجم الوجيز، إلى جانب ما تبخّثه اللجان.

نص تصدير المعجم الوجيز على أنه "فتح باباً لألفاظ الحضارة والحياة العامة مما أقره المجمع وارتضاه الكتّاب والأدباء". يضم المعجم الوجيز عدة آلاف من الكلمات العربية والمعربة المستخدمة في الحياة العامة، وتنظم هذه الكلمات في مجالات دلالية كثيرة:

1. أسماء القارات والدول والمدن (أمريكا، آسيا، أنتاركتيا).

2. أسماء النباتات المتداولة في الحياة العامة (الينسون، جافة).

3. مذاهب فكرية وفلسفية وسياسية ودينية أرثوذكسية.

4. أسماء العلوم الحديثة (جيولوجيا، ديناميكا).

5. ألفاظ دالة على مواقع تجارية متخصصة (أجزاخانة).

6. أسماء عناصر (أكسجين، أرجون).

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

7. أسماء طبقات (أرستقراطية، برجوازية).
8. أسماء آلات موسيقية (أرغول، بيان ، أرغن).
9. أثاث البيت (أريكة، دُش، سيفون).
10. ألقاب الحكام وألقاب دينية (بطرك، أسقف).

وهناك مجالات كثيرة تغلب فيها الكلمات الجديدة:

1. أسماء أسماك (رنجة، أنشوجة، تونة).
2. أسماء أمراض (اسقربوط).
3. أسماء مواد (أسفلت، أنسولين، جرانيت).
4. أسماء شعوب (أسكيمو).
5. أسماء نباتات (أناناس، برتقال، شاي، كاكاو).
6. أسماء أمراض (أنفلونزا، روماتيزم).
7. أسماء فنون (بالية، دراما، سينما).
8. مصطلحات مالية (بورصة، بنكنوت، شيك).
9. مصطلحات هندسية (تربيب، خرسانة، درفلة).
10. منتجات حديثة (ترمُس، تلفزيون، ثلاجة).
11. آلات علمية (تليسكوب، ميكروسكوب).
12. فنون عسكرية (تكتيك، شيش، مناورة).
13. نظم حكم (دكتاتورية، ديمقراطية، جمهورية).
14. وحدات قياسية (جرام، ميل، ياردة).
15. أسماء الشهادات (دبلوم).
16. مؤسسات حديثة (قنصلية).

كان مشروع "الرصد اللغوي الأساسي" الذي نفذته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

في الدول العربية، وكان قد بدأ في دول المغرب العربي، هادفاً إلى النهوض بتعليم اللغة العربية في التعليم الابتدائي. كان جمع الكلمات وتصنيفها طبقاً لمجموعات دلالية، وكل مجموعة مقسمة داخلياً إلى عدة مجموعات جزئية. تضمنت المجموعات الدلالية عدة مجموعات دالة على الحياة العامة. وقد نشرت حصيلة مفردات الرصيد اللغوي في مجلد يضم نحو سبعة آلاف كلمة. إن من يقرأ اليوم قوائم المفردات الأساسية للحياة اليومية التي أعدت منذ ثلاثين أو أربعين عاماً يجد فيها ما تقادم كما يجد فيها قصوراً، ولهذا فإن تجديد البحوث في هذا المجال أمر مهم.

هناك جهود تمت في لغات أخرى وكانت أمام هذا المشروع. ركز مشروع الفرنسية الأساسية على جمع الكلمات في المجالات الآتية: جسم الإنسان، السكن، الطعام والشراب، المائدة، المدرسة والفصل، الريف، الزراعة والبساتين، الألعاب، الملابس، الأثاث، المطبخ، التدفئة والإضاءة، المدينة، النقل، الحيوان، المهن. وهناك خبرات أوروبية متعددة، تهدف إلى تعرف متطلبات التعبير في مجالات محددة في الحياة اليومية.

دلت المقارنة بين المعجم الوجيز والرصيد اللغوي الأساسي على أن القارئ العربي المعاصر يحتاج إلى معجم صغير لألفاظ الحياة العامة، يجمع الجوانب الإيجابية فيهما ويفيد أيضاً من جهود مجمع اللغة العربية الأردني المتصلة بهذا الموضوع، ومن جهود تربية عربية. كان مشروع الرصيد يهدف إلى عمل معجم عربي ولكنه لم يتم اعتماداً على تلك القائمة. وظل المعجم الوجيز بمكوناته التي تم اختيارها بدقة وكفاءة وعلم كما هو منذ أكثر من ثلث قرن. وما أحوالنا اليوم إلى تجديد هذه الجهود وأن تكون لها مشروعات دائمة فتصبح كل طبعة وافية بمتطلبات متجددة للحياة المتغيرة.

المعاجم المصوّرة من أهم أنواع المعاجم التي تقيد المثقف الحديث في التعبير عن الجوانب المادية من الحياة المعاصرة. كان معجم دودن Duden المصور بداية قوية لهذا النوع من المعاجم، وبعده صدرت معاجم مماثلة أحادية اللغة وثنائية اللغة، ومعاجم مصورة للأطفال

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والناشئة. الفكرة الأساسية في المعاجم المصورة تقديم صورة بها أشياء مادية كثيرة وفيها اسم كل شيء مادي. لا يمكن مطالبة المتقف أن يستخدم اللغة في الحياة اليومية بطريقة راقية لأنه لا يعرف أسماء الأشياء المادية حوله إلا بعامية محلية أو بلغة أجنبية، ومن المهم عمل مصوّر له مكانته ويكون مرجعاً لأسماء هذه الأشياء المادية، سواء أكانت هذه الأسماء موروثاً أو محلية أم دخيلة أم عالمية. ومن هنا أهمية إعداد المؤسسة اللغوية للمعاجم المصورة التي تفيد مثلاً في تعرف الأسماء المقبولة لغوياً لأجزاء السيارة وأنواع الزهور وأصناف النبات والأشجار وأسماء الآلات وغير ذلك.

يتصل بهذا كله ما أثبتت تجارب كثيرة أهميته من إعداد معجم إملائي، على نحو ما نجد على سبيل المثال في المعجم الألماني للكتابة الصحيحة، والمعجم الهجائي أو الإملائي الروسي. إن المعجم الألماني للكتابة الصحيحة معجم إملائي في المقام الأول، أعدته مؤسسة دودن التي أصدرت حتى الآن عشرات المعاجم ومئات الطبعات، وله احترامه في الدول الناطقة بالألمانية لأنه صدر عن مؤسسة دودن ولأنه صدر بموافقة من المجالس النيابية بشكل رسمي في ألمانيا والنمسا ومطبق أيضاً في سويسرا، الطبعة الأخيرة وافقت عليها تلك الدول رسمياً في يوليو 1996م، وأصبحت نافذة المفعول اعتباراً من 1999/8/1م. إن الكلمة المستخدمة في المطبوعات باللغة الألمانية لها صيغة تدوين واحدة، سواء أكانت من أصل جرمانى أو من أصل في لغة أخرى. أما المعجم الإملائي الروسي فقد صدر أيضاً عن مؤسسة معجمية لها احترامها، وله أهميته في روسيا الاتحادية وعند من يستخدمون الروسية في بلدان أخرى، منها دول آسيا الوسطى. ولا يكفي في هذا الصدد أن يُقال بأن قواعد الإملاء العربي يكفي بشأنها ما يقدم في التعليم قبل الجامعي.

خامساً: آفاق المستقبل

توجد في عدد من دول العالم وثائق رسمية للسياسة اللغوية. إن التشريعات اللغوية في الدول المتقدمة هي قضية الدولة والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية والتنظيمات المجتمعية،

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وليست قضية فرد يثاب أو يعاقب. وفي ديباجية قانون اللغات لجمهورية كازاخستان (1997/7/11م) أنه "يرتب الأسس القانونية للغات المستخدمة ومسئولية الدولة في تكوين الظروف المناسبة لتعلمها وتنميتها". وفي ديباجية ميثاق اللغة الفرنسية لإقليم كوبيك في كندا (1983/4/1م) يوجد نص على استخدام اللغة في العمل وفي التعليم وفي الإعلام وفي التجارة وفي الأعمال. وهذه مجالات عامة تتطلب تشريعات لغوية وليست موضوعات فردية.

إن كل ما يتصل بدور الدولة هنا لا صلة له بالاستخدام اللغوي على المستوى الخاص في المراسلات الودية أو الحوارات وما يماثل ذلك، ولا تتدخل تشريعات لغوية معاصرة في لغة الشعائر الدينية، التي هي بالعربية لكل المسلمين وبالعبرية لكل اليهود، بقطع النظر عن الدولة ونظمها، ولا تتدخل التشريعات في الاحتفالات المحلية أو في المناسبات الخاصة بجماعات محددة.

التشريعات اللغوية لها دور كبير في تشكيل متدرج للاستخدام اللغوي للغة الرسمية أو للغة اللغة الوطنية في مجالات محددة وفي ظروف ومجالات معلنة. أما اللغة الأجنبية أو اللغات الأجنبية فلها موقعها أو مواقعها في الحياة. والخلط الحالي في بعض البلدان يجعل الاختيار اللغوي مشتبكاً وخاضعاً لظروف ومصادفات ولمعايير جزئية، دون المستوى الوطني أو المستوى العربي. ومن أهم المجالات التي تتناولها التشريعات اللغوية: لغة الإدارة، لغة التشريعات، لغة القضاء، لغة المؤسسات العامة، لغة التنظيمات الاجتماعية، لغة التعاقد، لغة التعليم والإعلام، ووثائق التعريف، لغة العمل، لغة الإنتاج، لغة الوثائق الحكومية، لغة المراسلات مع الجهات الحكومية، لغة الإعلانات واللافتات، المصطلحات وألفاظ الحضارة. وبطبيعة الحال فإن التشريعات مهمة، وتطبيقها يتطلب إجراءات ومتابعة وحلولاً للمشكلات، كما تحدد التشريعات اللغوية أيضاً السلطة أو السلطات المعنية بتنفيذ السياسة اللغوية ومتابعة ذلك والتدريب وحل المشكلات.

الدول التي وضعت خطاً لغوية على المستوى الوطني جعلت من مهامها نشر التعليم

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

نشرًا شاملاً ومستوعباً لأبناء البلاد، ووضعت لذلك الإجراءات المناسبة لاستيعاب الأطفال في المدارس. وبمضي الوقت أصبحت الأمية فيها محدودة ثم محدودة جداً، وانتهت الأمية من دول كثيرة، وأصبح الاستخدام اللغوي في الحياة العامة ذا ملامح جديدة. وفي هذا الصدد اتضحت أهمية التعليم الشامل بوصفه أساساً عند عمل خطة لتنمية الاستخدام اللغوي في الحياة العامة. وتعليم الكتابة والقراءة لكل أبناء البلاد يُعد في بلدان كثيرة من ملامح الخطة اللغوية والتربوية، وكان محور الأمية من أهداف ومجالات عمل اليونسكو في دول كثيرة. وتحقق تعليم الكتابة والقراءة تحقّقاً أقوى في الدول التي استوعبت كل الأطفال في المدارس.

أسماء الأماكن جزء مهم من المناخ الثقافي العام، وهي من أهم مكونات اللغة في السياق الاجتماعي، وإطلاق السلطات المعنية في الدولة أسماء الأعلام في الفكر والعلوم والثقافة والحياة العامة جزء من احترام الأمة لذاتها. الأسماء الموروثة عن عصور سابقة لها أهميتها في التاريخ، وأكثر دول العالم تحافظ عليها وتفتخر بها، ولا تعدلها إلا في حالات نادرة لأسباب تراها قوية. ودور الدولة هنا يكون في التدوين بشكل منظم وثابت يساعد في الترقية البريدي وبيانات الرقم القومي وعمل الإحصائيات وغير ذلك. إن الدولة تتدخل أحياناً في أسماء الأماكن في المدن. وبعض الدول تجعل من سلطتها المطلقة تسمية الشوارع والميادين والأحياء والمناطق السكنية والصناعية والسياحية. وهنا تكون هذه الأسماء ذات دلالة في السياق المجتمعي. إن البلدان العربية لها تاريخ طويل في عهود قديمة ووسيلة وحديثة، وفيها آلاف الشخصيات المهمة على المستوى العالمي والإقليمي وآلاف الشخصيات المهمة على المستوى الوطني. لا يقتصر ذلك على الشخصيات السياسية والقواد، بل هناك عدد كبير من المؤلفين والفنانين والعلماء والمفكرين ورجال الدولة والأطباء ينبغي أن نجد أسماءهم في أسماء الأماكن عندنا. وفي هذا الصدد ينبغي أن تكون لجان أسماء الأماكن لدى السلطات المحلية من المتخصصين في هذه المجالات، وأن ينظم ذلك بشكل بسيط وحضاري ولغوي سليم. نص ميثاق اللغة الفرنسية لإقليم كوبيك، في القسم الثالث على لجنة أسماء المواضع، وعلى أعضائها غير الدائمين وأمانتها ورئيسها، ومن مهامها: وضع قواعد اختيار أسماء المواضع وتدوينها

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وتعديلها، وجعلها رسمية ونشرها وإبلاغ الحكومة والجهات المعنية بها. وتنتشر هذه الأسماء في الصحيفة الرسمية، وبذلك يصبح استخدامها ملزماً في الوثائق الرسمية (المواد 122-128). الاهتمام بأسماء الأشخاص جانب من الاستخدام اللغوي في المجتمع. وتنظم دول كثيرة في العالم نظام التسمية بقوانين ملزمة لكل الوزارات، ولا يكون من إحدى الوزارات ولا تنفذه أو تعدله وزارات أخرى. وأهم ما يمكن عمله في هذا الصدد الاهتمام بالتوعية بأسماء الأشخاص من حيث كتابتها الدقيقة بلغة سليمة والقضاء على عشوائية التدوين، وكذلك التوعية بدلالة الاسم سواء أكان من الموروث اللغوي أم من الدخيل. وكل هذا جزء من احترام اللغة والإنسان.

النقل الصوتي، أي كتابة الأسماء بشكل منظم باللغة الوطنية، وتنظيم ذلك أيضاً عند التدوين بحروف أخرى قضية عملية مهمة، مثلاً في كتابة أسماء المدن والشوارع وفي تدوين جوازات السفر والشهادات التي تصدر للتداول في الخارج. ولها أهميتها أيضاً عند ما نكتب بالحروف العربية الأسماء الأجنبية للدول أو للمدن أو للشعوب أو للأعلام في المترجمات أو في الصحافة أو في الكتب التعليمية. وعدم وجود توحيد إملائي يؤدي إلى عدم الاحترام واللامبالاة وعدم الاعتماد على العربية وحروفها والرجوع إلى معجم أجنبي أو مصدر أجنبي، مع تعليق جارح يخل بالانتماء. ونسمع هذه التعليقات أيضاً من قارئ عربي من قطر عربي ينظر في ترجمات أو في صحف من خارج بلده، ويعجب لكيفية تدوين تلك الأسماء هناك. ومن يقارن نظم تدوين أسماء الدول والمدن والشعوب والأعلام في مطبوعات لبنان ومصر وتونس والمغرب يجد ما يتطلب الاتفاق العربي على النقل الصوتي، احتراماً للوحدة اللغوية العربية.

هناك أهمية كبيرة عند عمل خطة لتنمية الاستخدام اللغوي في دولة ما أو منطقة لغوية كاملة أن تكون هناك دراسة واقعية للجماعة أو الجماعات اللغوية من حيث الآراء التي تسود في الجماعة من اللغة أو اللغات أو المستويات اللغوية. والمقصود هنا بالآراء الاستجابة الذهنية

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أو العاطفية لأعضاء المجتمع أو الجماعة عن اللغة وتنوعها. وهذه الآراء تكون لها جذورها التاريخية أو الدينية أو الحضارية ولها وجودها في الحياة المعاصرة، ولكنها أيضاً تخضع للبحث والنظر. في هذه الآراء مشاعر وأنماط جاهزة وأحكام سابقة عن الشعوب واللغات والتجمعات الفئوية والأثنية والدينية والتوجهات السياسية. وهذه الآراء تتطلب بحثاً لأنها قد تكون معوقاً عند تنفيذ خطة لغوية عامة أو محدودة. ومن هذه الدراسات ما تتناول الأنماط الجاهزة عن اللغة، والأحكام القبلية عن اللغة، وردود فعل الطلاب من جماعة لغوية عن تنوعات لغوية معينة، وموقف أبناء جماعة لغوية من لغتهم المحلية، وظاهرة "الثقاف" والتغير اللغوي عند أبناء الجماعة الصغيرة.

البحوث الميدانية بمفاهيم علم اللغة الاجتماعي تكشف عن الواقع، ولكن تنمية الاستخدام اللغوي جزء من التخطيط اللغوي، وليست مجرد وصف للواقع لأغراض الدراسة المحايدة وللمعرفة المجردة. ويكون التخطيط اللغوي بهدف إيجاد موقف جديد، إنه جهود منظمة لإيجاد حلول للقضايا اللغوية في مجتمع ما، وليس مجرد التعبير عن أمل أو وجهة نظر. إنه تطبيق للمفاهيم اللغوية الاجتماعية في اتخاذ قرارات السياسة اللغوية. وبعد ذلك تكون عدة مراحل في الاختيار وفي التطوير والتطبيق والمتابعة والتقييم... الخ.

تهتم المشروعات اللغوية في عدة دول بالاستخدام المعاصر المنطوق والمكتوب، ولا تقتصر على الاستخدام الأدبي المكتوب، بل تتناول اللغة الحية في كل مظاهر استخدامها المنطوق والمكتوب. وهناك على سبيل المثال عدة مشروعات للغة الإنجليزية تستوعب مجالات الاستخدام المختلفة، ومنها مجالات الاستخدام المنطوق إلى جانب الاستخدام المكتوب: أ. الحوار، مثل: المحادثة، المناقشة وجهاً لوجه، التواصل الهاتفي، الكلام العفوي.

ب. النصوص المعدة للأداء المنطوق، مثل: الأخبار، الخطب، المسلسلات.

ج. النصوص المطبوعة، مثل: النصوص الصحفية، الكتب المدرسية، كتب الأطفال، التعليمات، النصوص الإبداعية، الاستثمارات.

د. النصوص غير المطبوعة، مثل: اليوميات، المراسلات، مضابط الجلسات.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

إن كل مشروع للجمع اللغوي أو للدراسة اللغوية تكون له أهدافه وفي ضوء ذلك الهدف تكون المادة اللغوية.

إن الاستخدام اللغوي في الحياة العامة موضوع مهم في السياسة اللغوية وتنفيذها في المجتمع: وهذا واضح على سبيل المثال في تشكيل مجلس اللغة الفرنسية في إقليم كوبيك في كندا (1977م) الذي يختص بكل مسائل التفسير والتطبيق لقانون اللغة. يتكون المجلس من رئيس المجلس، وأمينه، وعشرة أعضاء، منهما اثنان يمثلان التنظيمات الاجتماعية الثقافية، واثنان للنقابات المهنية، واثنان لتنظيمات الرعاية، واثنان من الدوائر الجامعية، واثنان يمثلان الجماعات الأثنية. ومعنى هذا التشكيل أن الفئات الاجتماعية لها قرارها في المجلس الذي يُعطي الرأي ويتابع الموقف ويتلقى الملاحظات (المواد 185-204).

اتضح أن أسس تنمية الاستخدام اللغوي في الحياة العامة تتركز بصفة عامة في عدة جوانب:

- أ. أن تكون السياسة اللغوية للدولة أو لمجموعة دول اللغة هادفة إلى تشكيل المستقبل اللغوي على نحو يحقق متطلبات الحياة المعاصرة باللغة الوطنية.
- ب. أن تكون هناك مؤسسة رسمية مكلفة بالخطّة اللغوية وتنفيذها ومتابعتها.
- ج. تحديد المجالات ومراحل التنفيذ وعمل الترتيبات اللازمة لذلك.
- د. الاهتمام بالجوانب التواصلية في تعليم اللغة.
- هـ. سد منابع الأميّة بالاستيعاب الكامل للتلاميذ في المدارس.
- و. التدريب اللغوي وتكوين رأي عام بأهمية إتقان التعامل الراقي باللغة الوطنية للمتطلبات المعاصرة على المستوى الوطني.
- ز. إصدار المعاجم المناسبة والكتب والدوريات لتحقيق هذه الأهداف.
- ح. المتابعة وحل المشكلات بطريقة واعية والرد على الاستفسارات اللغوية.
- ط. دعم البحث اللغوي الأساسي والتطبيقي في هذه المجالات ومعرفة تجارب الدول في ذلك.
- ي. تنسيق جهود المؤسسات المعنية وتبادل الخبرة في هذه المجالات.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

مراجع مختارة

عن اللغة والمجتمع (تعريف اللغة، أهمية الجانب الاجتماعي):

- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1953-1957م.
- الفارابي، الألفاظ والحروف، تحقيق محسن مهدي، بيروت 1970م، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق: محسن مهدي، بيروت 1968م.
- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد الوافي، القاهرة 1960م.
- J. R. Firth, **Papers in Linguistics**, London, Oxford University Press, 1957.
- P.P Giglioli, **Language**, London, 1972.
- E. Sapir, **Language**, Harcourt, Brace, 1921.
- F. de Saussure, **Cours de Linguistique générale**, Paris, 1916.

وله ترجمات إلى لغات أوربية كثيرة وترجمات عربية متعددة.

- عن انتقال البنيوية من علم اللغة إلى الدراسات الاثنولوجية، انظر: محمود فهمي حجازي، أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الاثنولوجية، عالم الفكر، الكويت، مارس 1972م.

كتب أساسية عن اللغة في السياق المجتمعي:

- D. Hymes (ed), **Language in Culture and Society**, A Reader in Linguistics and Anthropology, Harper Row 1964.
- J. Fishman (ed), **Reading in the Sociology of Language**, Den Haag, 1964.
- A. H. Omar, **Language and Society in Malaysia**, Kuala Lumpur, 1982.
- H. Haarmann, **Soziologie und Politik der Sprachen Europas**, München 1975.
- J. B. Pride (ed), **Sociolinguistics**, Penguin Books, 1979.
- S. Romaine, **Language in Society, An Introduction to Sociolinguistics**, Oxford University Press, 1994.
- B. Schlieben – Lange, **Soziolinguistik, eine Einführung**, Urban – Taschenbücher, Kohlhammer, Stuttgart, 1973.
- B. Schlieben – Lange **Linguistische Pragmatik**, Stuttgart 1975

اتجاهات البحث

- B. Bernstein, **Social Class, Language and Socialisation**, in: Giglioli 157-178.
- H. Bühler, **Sprachbarrieren und Schulanfang**, Weinheim, 1972.
- C. A. Ferguson, **Diglossia**, in: **Word** 15, (1959) PP. 325-340, in: Hymes 1964, PP. 429-439.
- —, The Role of Arabic in Ethiopia, **A Sociopragmatics Perspective**, in Pride 112-124.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- D. Hymes, **Toward Ethnographies of Communication: The Analysis of Communication events**, in Giglioli, PP. 21-44.
- W. Labov, **The Social Stratification of English in New York City**, Washington, 1966.
- —, **The Study of Language in its Social Context**, *Studiun Generale*, vol. 23, 1970, PP. 30-87.
- U. Oevermann, **Sprache und Soziale Herkunft**, Berlin – Frankfurt, 1972.
- V. Traverso, **L'Analyse des Conversation**, Paris 1999.

تعليم الاستخدام اللغوي

عن تعليم اللغة، انظر

- Crumfit, **Communicative Methodology in Language Teaching**, Cambridge University Press 1994.
- —, and K. Johnson, **The Communicative Approach to Language Teaching**, Oxford University Press, 1994.
- J. A. Coleman and J. Klapper (ed), **Effective Learning and Teaching in Modern Languages**, Routledge, London, 2005.
- The Council of Europe, **The Threshold Level in a European Unit / Gredit System for Modern Language for Adults**, Strassburg, 1975.
- M. A. K. Halliday, **The Liguistic Science and Language Teaching**, Longman, London 1965.
- H. H. Stern, **Fundament al Concepts of Language Taeching**, Oxford University Press, 1984.
- D. A. Wilkens, **Linguistics in Language Teaching**, London 1973.

انظر حول المعايير التي تصدرها جهات أمريكية لبيان مستويات الإجابة في اللغة الإنكليزية:

- TESOL, **English Language Proficiency Standards in The Core Content Areas** (2005).
- **Colorado Model Content Standards for Foreign Language** (1997).

عن بعض أنواع المعاجم المهمة في الاستخدام اللغوي في الحياة العامة في تجارب أجنبية:

- أصدرت مؤسسة دودن Duden في مدينة مانهايم في ألمانيا سلسلة متكاملة من المعاجم للقارئ المثقف، كل منها في مجلد واحد، منها المعجم المصور Bildwörterbuch ومعجم التدوين الصحيح Rechtschreibung.
- أصدرت مؤسسة Ast-Press ومعهد فينوجرادوف في موسكو في روسيا الاتحادية سلسلة معاجم القرن الحادي والعشرين للقارئ المثقف بالروسية، معجم الثقافة اللغوية الروسية، المعجم الروسي الكبير، المعجم النحوي للكلمات والتصرفات، معجم الأفعال، مع الأسماء، معجم التعبيرات، معجم المترادفات، المعجم الإملائي

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

(التدوين الصحيح)، معجم الاختصارات ذات الأصول الأجنبية، معجم أسماء الأشخاص، معجم المكونات اللاتينية، المعجم التأصيلي للغة الروسية للصفوف (7-11).

ألفاظ الحياة المعاصرة:

- الرصيد اللغوي الأساسي، أصدرته في كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس .
- المعجم الوجيز، أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى، وطبعته وزارة التربية بالقاهرة عدة طبعات من سنة 1987م.
- Gougenheim, Michéa, Rivenc et Sauvageot, **L'Élaboration du Français élémentaire**, Paris 1956.
- G. Gougenheim, **Dictionnaire Fondamental**, Paris 1957-1958

حول القضايا المعاصرة وآفاق المستقبل:

- F. Coulmas, **Sprache und Staat, Studien zur Sprachplanung**, Berlin 1985.
- J. Das Gupta, **Language Conflict and National Development**, University of California Press, 1970.
- C. Mar-Molinero and Patrick Steuenson, **Language Ideologies**, Palgrave-Macmillan, 2006.
- R. B. Le Page, **The National Language Question**, Oxford University Press 1976

ومن جهود علم اللغة الاجتماعي المؤلفة بشكل جماعي في إطار الندوة العلمية بجامعة بوخوم/ألمانيا

بمشاركة ثلاث مجموعات تمثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم اللغة:

- Sprachbarrieren, Beiträge zum Thema: "**Sprache und Schichten**", verfasst und herausgegeben von Mitgliedern des Seminars: "Soziolinguistik" (Bochum). Hamburg 1971.1

اللغة العربية وعصر المعلومات التحديات والفرص

أ.د. نبيل علي
مصر

أولاً: أهمية اللغة في مجتمع المعلومات

العالم يزخر بآلاف اللغات، واللغة تحمل العالم في جوفها، هذه واحدة عن تنوع اللغة وشموليتها، وتلك أخرى نستعيرها من أهل النسبية اللغوية: "لغتي هي عالمي وحدود لغتي هي حدود عالمي"، وهو نفسه ذاك العالم الذي انتزعه محمود درويش ممن أرادوا أن يسلبوه إياه فارضين عليه أن يفارقه حاملاً معه "لغته" تحمل معها "عالمه"، لقد قرر شاعر الأرض السلبية أن يكون "وطنه هو حقيقة سفره" وليس هناك خير من اللغة زاداً لسفره هذا؛ فاللغة هي الذات وهي الهوية، وهي أدانتنا لكي نصنع من المجتمع واقعاً كما يقول بيتر بيرجر. ولسنا بحاجة هنا كي نؤكد أهمية اللغة من حيث دورها في ربط أواصر الكيان المجتمعي، وتشكيل وعي الجماعة الناطقة بها، وكذلك بصفتها مرآة لمعرفة ذاتنا وأهم ما يميز طبيعتنا البشرية، وأكثر الوسائل حسماً في فهم هذه الطبيعة وسبر أغوارها. وإن ضاق البعض بتلك النغمة الرومانسية - وكيف لحديث عن اللغة أن يخلو منها - فهل يرضيه حديث السياسة والاقتصاد، ندعوه ليرى معنا كيف أصبحت اللغة، ولغة الإعلام بوجه خاص، من أمضى الأسلحة الأيديولوجية، وكيف ينظر إلى اللغة على أنها مورد اقتصادي من أهم المقومات الأساسية لصناعة الثقافة.

أحسب أن هذا يكفي تأكيداً لما للغة من أهمية في عالم اليوم؛ ولتسمه ما شئت: معلوماتياً أو

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

إعلامياً، إلكترونياً أو شبكياً، عولمياً أو كوكبياً أو كونياً، ومع هذه الأهمية ما زال شق اللغة في خطابنا الراهن عن عصر المعلومات والعولمة يتقلّب ما بين الضحالة والميلودراما، ما بين ملاحظات عابرة أو مقولات مطاطة غامضة يوردها البعض عادة في مقام سرد الإجراءات الوقائية والاتقائية من أعاصير الغزو الثقافي، وهكذا زاغت القضية في متهاتات التعميم، وذابت تحت لهيب الحديث المنفعل الذي ينذر بفقدان الهوية وضمور الفكر وانكماش الفعل وردوده.

مع نشأة الصناعة وتزايد حركة النزوح إلى المدن التي صاحبت تلك النشأة، برزت اللغة عاملاً اقتصادياً حيث ظهرت الحاجة إلى وضع الضوابط والقياسات لتقنين عمليات التواصل اللغوي داخل المجتمع، هذا بعض من شأنها في اقتصاد الأمس. أما اليوم فقد احتلت اللغة مركز القلب في منظومة المجتمع الحديث الذي أصبحت الثقافة هي محور تنميته وأهم صناعته وأمضى أسلحته، وفي رأي كثيرين أن أداء المجتمع ككل هو التفاعل بين الخطابات المختلفة التي تسري بداخله، تلك الخطابات التي يصوغها لتعيد هي صياغته في دورة لا تنتهي يصعب التكهّن بقادماها استناداً إلى سابقها، فالمجتمع - شأنه في ذلك شأن لغته - قادر دوماً على إحداث المفاجأة، وكم هي كثيرة مفاجآت مجتمع المعلومات الذي حل بنا بالفعل والذي لا يفوق قدرته على حل المشاكل إلا قدرته على استحداث مشاكل أخرى، وستظل اللغة كعهدنا بها مصدراً للمشاكل وأداة لحلها في نفس الوقت.

ثانياً: علاقة الحاسوب (الكمبيوتر) باللغة

في الأجيال الأولى كانت إمكانات الحاسوب ونظم المعلومات محدودة نسبياً، وكان استخدامه قاصراً على التطبيقات العلمية والتجارية التي تتعامل عادة مع الأرقام دون النصوص، وخلال نصف قرن، عبّرَ رحلة مثيرة من التطور العلمي - التقني (التكنولوجي) الذي لم يسبق له مثيل حقق الحاسوب درجة عالية من النضوج مكنته من اقتحام مجال العلوم الإنسانية وعلى رأسها اللغة، لقد أصبح الحاسوب قنطرة الوصل لسد الفجوة بين ثقافة العلوم الطبيعية وثقافة علوم الإنسانيات. وكمؤشر على هذه النقلة النوعية، نورد مقارنة هنا بين

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

النصوص والأرقام في البيانات التي تتعامل معها نظم الحاسوب والمعلومات وذلك ما بين بداية عقد الثمانينيات المنصرم ونهايته:

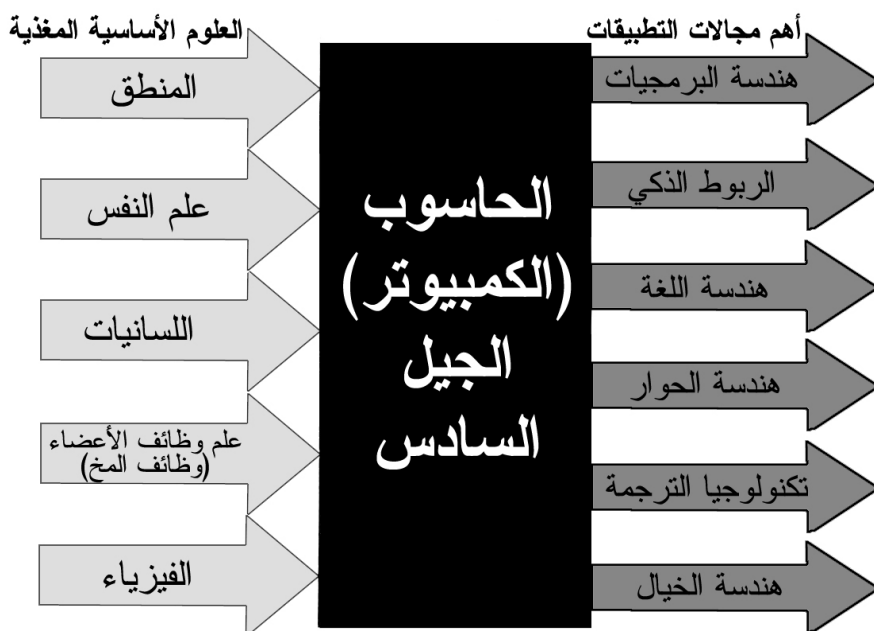
سنة 1990	سنة 1980	
35%	64%	أرقام
65%	36%	نصوص

توضح هذه المقارنة البسيطة كيف انزوت الأرقام وسادت النصوص لتبرز أهمية اللغة التي تصاغ بها هذه النصوص.

وكدليل آخر على تعاضد الدور الذي تؤديه اللغة في تقانة المعلومات نشير هنا إلى العلوم الأساسية الأربعة التي قامت عليها تكنولوجيا الجيل السادس من الحواسيب الإلكترونية الذي يمثل ذروة التقدم العلمي لتكنولوجيا المعلومات حالياً (الشكل 1)، وهي العلوم ذات الصلة الوثيقة بعلم اللغة وتحديداً:

- علم وظائف الأعضاء (وظائف المخ وجهازى النطق والسمع)
- علم النفس
- اللسانيات (اللغويات)
- المنطق

فاللغة أهم وظائف المخ البشري، فهي النشاط الذهني الوحيد الذي يمكن تتبعه دخلاً وخرجاً، كتابة وقراءة، نطقاً وسمعاً، تعبيراً وفهماً، ويتضح مغزى ذلك إذا ما قورن النشاط الذهني اللغوي بالعمليات الذهنية الخاصة بحاسة الإبصار مثلاً، واكتساب اللغة هي عملية نفسية في المقام الأول، فكما يقول لاكان، عالم النفس الفرنسي لا ينمو الطفل نفسياً من طريق ثدي أمه فقط كما خلص فرويد، بل من خلال لغته الأم أيضاً واللغة تتعامل مع النيات وتثير الأحاسيس والمشاعر، وعلاقة اللغة باللسانيات (اللغويات) لا تحتاج - بالطبع - إلى دليل، أما علاقتها بالمنطق فيكفي الإشارة هنا إلى ما خلفه السلف في علاقة اللغة العربية بالمنطق.



الشكل 1: تقانة الجيل السادس من الحواسيب الالكترونية

وكما تبرز أهمية اللغة على مستوى العلوم الأساسية المغذية للجيل السادس، تبرز كذلك كما يوضح الشكل (1) في مجالات التطبيق الأساسية للجيل السادس، خاصة فيما يتعلق بالربوط الذكي ذي القدرة على التحوّل لغوياً بفضل هندسة الحوار، وهندسة اللغة التي تتعامل مع الفروع اللغوية المختلفة: حرفاً وصوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة وتكنولوجيا الترجمة.

ولكن أين تكمن العلاقة بين اللغة وتقانة (تكنولوجيا) المعلومات؟ للإجابة عن هذا السؤال علينا أن ننظر إلى تكنولوجيا المعلومات بصفقتها وسيلة لاستيعاب العالم من حولنا، وذلك بعد أن عجزت الوسائل التقليدية في التصدي لتعدد هذا العالم بتشابكاته العديدة ودينامياته الهادرة، فلم تعد المواجهة مع العالم وظواهره - سواء المادية أو الذهنية - قادرة على الاحتكاك المباشر معها، بل أصبحت هذه المواجهة في أغلبها من خلال البيانات والأرقام والمؤشرات

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والإحصاءات والرسوم البيانية، وبالإستفادة من التجريد والمحاكاة وبناء النماذج وإعادة الصياغة والتمثيل الرمزي، وكلها أمور تؤدي فيها تقانة المعلومات دوراً رئيساً، وفي نفس الوقت نحن ندرك هذا العالم من منظور لغتنا الأم، فنحن أسرى ما تنتجه لنا لغتنا من وسائل التعبير المختلفة، وتسري تيارات المعرفة إلى أذهاننا بفضل ما توفّره لنا من معان ومصطلحات ومفاهيم، ومدى تفاعل أذهاننا مع المعرفة الوافدة رهن بعُدتنا المعرفية التي هي بدورها وليدة اللغة صانعة العقل وصنيعته، وبتعبير موجز فإن التحالف الوثيق بين اللغة وتكنولوجيا المعلومات هو الوسيلة التي يتعذر بدونها استيعاب العالم من حولنا، وهنا تقبه همزة الوصل بين اللغة والمعلومات، لقد تلاحمت اللغة مع تكنولوجيا المعلومات تلاحماً شديداً يزداد يوماً بعد يوم ولذا فإن قدرة مجتمعاتنا العربية للحاق بركب هذه الثورة المعرفية - التكنولوجيا يتوقف توقفاً أساسياً على نجاحنا في تأهيل لغتنا العربية، هذه اللغة العظيمة لهذه المواجهة الحضارية الحاسمة. فإن سَلِسَتْ لنا لغتنا أصبحت عاملاً مؤزراً لفاعليتنا وإبداعنا وتحسين دفاعاتنا المضادة لتيارات الغزو الثقافي الكاسحة، وإن جمدت أصبحت حاجزاً معتماً يفصل بيننا وبين العالم، وهو وضع - إن حدث - سيدفع بالعرب جميعاً إلى موقع متردّد على أرصفة الطرق السريعة للمعلومات Information highways، في عصر الشبكة (الإنترنت)، عصر التعليم عن بُعد، وعقد الاجتماعات عن بُعد، والتحاوّر والتسامر بواسطة المقاهي الإلكترونية، عصر التلفاز التجاوبي Interactive TV، والترجمة الآلية والمعاجم الآلية والوسائط المتعددة multi-media والكتب الدينامية dynamic books والمناهج المبرمجة course ware والمكتبات الرقمية digital libraries، وجميعها أمور ذات صلة وثيقة باللغة.

ثالثاً: الأبعاد اللغوية لتحديات عصر المعلومات

1.3 قائمة التحديات

لقد أثبتت العربية جدارتها على مر العصور، حقها في أن تصبح لغة عالمية، وشهد تاريخ الفتح الإسلامي على سرعة انتشارها واندماجها في بيئات لغوية متباينة. لقد نجحت العربية في

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

عصور الازدهار أن تكون أداة فعالة لنقل المعرفة، حتى قال القائل: عجبت لمن يدعي العلم، ويجهل العربية.

ومن منظور فقه اللغة، تنتم اللغة العربية بالعديد من الخصائص الجوهرية التي تؤكد عالميتها، ومن أهمها، التزامها بالقاعدة الذهبية فيا يخص التوسط والتوازن اللغوي. فاللغة العربية تجمع بين كثير من خصائص اللغات الأخرى، على مستوى جميع فروعها اللغوية: كتابة وأصواتاً وصرفاً ونحواً ومعجماً.¹ وتنتم منظومة اللغة العربية بتوازن دقيق، وتأخ محسوب بين فروع اللغة المختلفة.

ومن منظور معالجة اللغات الإنسانية آلياً بالحاسوب، أثبتت العربية - أيضاً - جدارتها عالمياً، فبفضل توسطها اللغوي، الذي أشرنا إليه آنفاً، يسهل تطويع النماذج البرمجية المصممة للغة العربية لتحقيق مطالب اللغات الأخرى وعلى رأسها الإنجليزية.² بقول آخر، فإن العربية، لغوياً وحاسوبياً، يمكن النظر إليها - بلغة الرياضيات الحديثة - على أنها فئة عليا superset تتدرج في إطارها كثير من اللغات الأخرى، كحالة خاصة من هذه الفئة العليا.

في ظل العولمة وثورة المعلومات، تتعرض العربية لحركة تهميش نشطة، وتشارك العربية - في ذلك - معظم لغات العالم، إلا أنها تواجه تحديات إضافية نتيجة للحملة الضارية التي تشنها العولمة على الإسلام، ومن ثم على العربية، نظراً إلى شدة الارتباط بينهما. ينطوي مجتمع المعلومات (الشكل 2) على العديد من التحديات السياسية والاقتصادية

¹ فاللغة العربية - على سبيل المثل - تجمع بين الجمل الاسمية والفعلية، وتكتفي بمطابقة جنس الفعل مع جنس الفاعل (ذهب فلان، وذهبت فلانة). وهو ما لا تلتزم به الإنجليزية، في حين تنتطرف بعض اللغات في مطابقة الفعل مع الفاعل والمفعول معاً، وتصل العربية المعرفة، ولا تصل النكرة (الرجل الذي كيف... ورجل كيف...)، في حين تصل الإنجليزية النكرة والمعرفة (...the man who wrote..., a man who wrote...) ولا تصل الصينية أيّاً منهما.

² أثبتت بحوث الكاتب بما لا يدع مجالاً للشك إمكان استخدام نظم الإعراب والصرف الآلية المصممة للغة العربية، في مجال اللغة الإنجليزية.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والتقافية نُجْمَلُها في أبعاد اللغوية التي سنتناولها بإيجاز فيما يلي:



الشكل 2: تحديات عصر المعلومات

2.3 الأبعاد اللغوية للتحديات التربوية

التربية سواء بصفقتها متغيراً تابعاً للتحول المجتمعي أو محركاً أولياً له هي بحكم دورها وطبيعتها أكثر جوانب المجتمع عرضة للتغيير، بناءً على ذلك فالمتغيرات الحادة التي ينطوي عليها عصر المعلومات ستحدث بالضرورة هزات عنيفة في منظومة التربية: فلسفتها وسياساتها ودورها ومؤسساتها ومناهجها وأساليبها. يمكن تفريع التحدي التربوي الشامل إلى مجموعات من التحديات أقل شمولاً وهي:

أ. تضخم المادة التعليمية

ب. تنمية القدرة الإبداعية

ج. زيادة القدرة على التواصل

د. سرعة إنضاج الصغار

هـ. مداومة التعلم مدة الحياة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحْرَم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

سنستعرض هنا كلا من هذه التحديات والبعد اللغوي لكل منهما.

أ. **البعد اللغوي لتضخم المادة التعليمية:** تزداد أهمية تعريب العلوم مع تضخم المادة العلمية حيث تساعد اللغة الأم على زيادة معدل الاستيعاب ورسوخ المفاهيم في ذهن المتعلم، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن اكتساب المتخصصين لمعارفهم بلغات أجنبية دون رابط من اللغة الأم يجعل من الصعوبة بمكان إقامة حوار بينهم وهو الوضع الذي يتناقض في جوهره مع ما نلاحظه حالياً من تزايد النزعة نحو تداخل مجالات المعرفة وتبادل النهج العلمية وتلاقحها. ويفرض ذلك ضرورة اللجوء إلى الوسائل الآلية التي تمدنا بها تقانة (تكنولوجيا) المعلومات لكي يمكن لنا احتواء المادة التعليمية الدائمة التضخم والتعقد، وتشمل هذه الوسائل:

- البرمجيات التعليمية
- نظم الترجمة الآلية
- نظم استرجاع النصوص
- نظم الفهرسة الآلية والاستخلاص الآلي
- بنوك المصطلحات
- القواميس الإلكترونية

وجميع هذه الوسائل كما هو واضح يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة.

ب. **البعد اللغوي لتنمية القدرة الإبداعية:** تحمل اللغة في جوفها برعم الإبداع، فاللغة كما عرفها البعض "هي استخدام لا محدود لوسائل محدودة"، ولا يتوقف الناطقون باللغة عن ابتداع الصيغ المبتكرة وسكّ الألفاظ الجديدة وتوسيع معاني تلك القائمة بالفعل، إن عملية الإبداع اللغوي تلك هي بمثابة التدريب الذهني المستمر الذي يجعل الذهن متأهباً للإبداع في مجالات خارج نطاق اللغة، ما يهمننا هنا هو تأكيد ضرورة تنمية القدرة الإبداعية لدى أطفالنا. لا بد أن ينطلق ذلك من استيعاب هؤلاء الأطفال للمعارف والمفاهيم بلغتهم الأم حتى ترسخ هذه المعارف والمفاهيم، فرسوخها شرط أساسي لتوظيفها بقصد توليد معارف جديدة، بناء على

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ذلك يمكن القول إن تعريب العلوم وإشاعة الثقافة العلمية باللغة العربية مقومان أساسيان في تنمية القدرة الإبداعية، وذلك فضلاً على ضرورة إدخال أساليب التعليم الحديثة في تعليم اللغة كالتعلم بالاكْتِشاف، ومن خلال التجربة والخطأ، وإقامة المشاريع اللغوية والمناظرات والنماذج وما شابه، فلم يعد ملائماً تعليم اللغة من خلال الأمثلة النمطية وسرد حالات الاطراد والشذوذ.

ج. البعد اللغوي لزيادة القدرة على التواصل: لكي يتميز الفرد عليه أن يحيل اللغة المشاعة إلى لغة خاصة به، شريطة أن تظل هذه اللغة الخاصة قادرة على التواصل مع الغير، إن ثنائية الذاتية والموضوعية تلك، وهي سمة أساسية للنشاط اللغوي، ستبرز بروزاً أكثر وضوحاً وستجعل من اللغة مجالاً خصباً لكثير من القضايا النفسية والاجتماعية، ولا شك أنها ستعيد صياغة العلاقة التي تربط بين المؤسسات اللغوية، وعلى رأسها مجامع اللغة، والجماعات الناطقة بها، وعلى ما يبدو لقد حان الوقت - إن جاز التعبير - لـ "دمقراطية" اللغة التي هي ملك للجميع. وفضلاً على ما سبق فإن تواصل عصر المعلومات عن بعد يتطلب مهارات لغوية جديدة: قراءة وكتابة، وتحدثاً واستماعاً، ويتوقع البعض في المعلومات أن نكتب ونتحدث أقل ونقرأ ونسمع أكثر.

د. البعد اللغوي لسرعة إنضاج الصغار: لكي نسرع في إنضاج الصغار علينا أن نسرع في إكسابهم لغتهم الأم، ويتطلب ذلك فهماً دقيقاً لآليات اكتسابها سواء على المستوى النفسي أو الاجتماعي. في نفس الوقت علينا أن نزود صغارنا بـعِدَّة لغوية أصيلة لتكون عوناً لهم في التصدي لسلطة الكبار الذين تمرسوا بحكم خبرتهم في استخدام أسلحة اللغة.

هـ. البعد اللغوي لمداومة عملية التعلم: لمداومة عملية التعلم المستمر سوف يلجأ المتعلم إلى البرامج التعليمية باستخدام الحاسوب وما شابه من وسائل، وفي غياب المدرس أو عنصر التواصل الشفهي المباشر يحتاج الإنسان إلى لغة أكثر نفاذاً وإثارة، لغة تستطيع أن تخرج بأنساق الرموز الأخرى من أشكال وأصوات لكي تثير المتعلم في خلوته مع آلة تعليمه وتعلمه الجديدة، ولابد كذلك أن تتوفر الوسائل اللغوية التي تتيح للمتعلم أن يتحاور مع هذه الآلة بلغة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

يسيرة ودقيقة، ولاشك أن عملية التواصل الآلي - الحيوي symbiotic تلك بين الإنسان والآلة ستفجر كثيراً من القضايا اللغوية على المستويين النفسي والفني.

3.3 الأبعاد اللغوية للتحدي الثقافي

لم تعد الثقافة في مجتمع المعلومات نوعاً من الكماليات الاجتماعية بل باتت ضرورة أساسية في عصر يتطلب عقلاً أكثر قدرة ووعياً أكثر نضوجاً ووجداناً أشد صلابة، ولن تستطيع نظم التعليم الرسمي مهما بلغت فاعليتها أن تقوم بهذه المهمة الصعبة دون سند من وسائل التعليم غير الرسمي ونقصد بها الوسائل الثقافية من إعلام جماهيري وخلافه.

يمكن تفريع التحدي الثقافي الشامل إلى تحديات أقل شمولاً هي:

أ. الغزو الثقافي

ب. الاحتكاك الثقافي

ج. تنوع الثقافة العلمية

د. زيادة أهمية وحدة المجتمع وتماسكه الداخلي

هـ. ضرورة استرداد ثقة الإنسان العربي في ذاته ومؤسساته

ز. تسارع حركة التغير الاجتماعي

و. التصدي لفكر الإرهاب والثقافات المضادة

أ. **البعد اللغوي للغزو الثقافي:** لاشك أن لغتنا العربية هي الدرع الواقي أمام جحافل الغزو الثقافي في عصر المعلومات فكيف لنا أن نواجه فيض المعلومات التي نتلقاها - أو تلقى علينا - دون مرشح من لغتنا القومية، يستخلص من هذا الكم الهائل جوهره، ويكشف فيه مواضع الزيف والتضليل misinformation ويتجنب التافه والمضر، وجميعها أمور تتطلب درجة عالية من الإدراك والوعي لا يتولدان إلا من خلال اللغة.

ب. **البعد اللغوي للاحتكاك الثقافي:** يعد الاحتكاك اللغوي من أهم جوانب الاحتكاك الثقافي وهو بلا شك أكثرها مباشرة، يشمل الاحتكاك اللغوي أموراً عديدة من قبيل الترجمة والقواميس

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الثنائية والمتعددة اللغات، واقتراض الألفاظ والرموز اللغوية الأخرى وتعلم اللغات الأجنبية ودراسة أثر الترجمة في اللغات المترجم إليها، ويشمل كذلك الدراسات اللغوية المقارنة والتقابلية بين اللغات والبحوث المتعلقة بوضع نظرية لغوية عامة تدرج في إطارها جميع اللغات.

ج. البعد اللغوي لتنوع الثقافة العلمية: يحتاج نشر الثقافة العلمية في عصر المعلومات إلى بذل جهد أكبر على صعيد اللغة، فكيف لنا دون لغة طيعة وبمبسطة ومصطلحات متوفرة ومستساغة أن ننقل لعقول صغارنا وكبارنا ثقافة العصر العلمية وما تنتطوي عليه من ظواهر ومشاكل نفسية واجتماعية، من جانب آخر لقد أصبحت الثقافة اللغوية ذاتها أحد الجوانب الهامة للثقافة العلمية في عصر المعلومات حيث أصبحت اللغة - كما أسلفنا - من أهم العلوم الأساسية المغذية لتكنولوجيا المعلومات.

د. البعد اللغوي لزيادة أهمية وحدة المجتمع وتماسكه الداخلي: لسنا بحاجة هنا إلى تأكيد الدور الذي تؤديه اللغة في ربط أواصر المجتمع وتجميع فئاته في كيان متماسك صلب، وفي ظل أوضاعنا الراهنة يتطلب ذلك بذل جهد مضاعف للتصدي لظواهر "التشرذم اللغوي"، وازدواجية العامية والفصحى، وظهور نوع من الطبقة اللغوية يفصل بين فئات المجتمع المختلفة، ولاشك أن أجهزة الإعلام الحديث يمكن أن تؤدي دوراً رئيسياً في توحيد المجتمع لغوياً بوسائل عديدة مثل الارتقاء اللغوي والتصدي بقوة للظواهر المخزية لابتذال العربية وامتهانها.

هـ. البعد اللغوي لاسترداد ثقة المواطن العربي في ذاته ومؤسساته: في رأي الكاتب أن استرداد ثقة الإنسان العربي في لغته هي نقطة البداية في استرداد ثقته في ذاته ومؤسساته، فلا بد له أن يؤمن بقدرة لغته الأم على تحقيق مطالب العصر، وفي قدرتها على المواجهة الساخنة في ساحة الاحتكاك اللغوي الذي تضطرب فيه آراء مجتمع المعلومات. ولن يأتي ذلك من فراغ بل لابد أن يتحقق بإثبات جدارة العربية في اقتحام المجالات الحديثة للمعرفة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والتعامل مع تقانة (تكنولوجيا) المعلومات وذلك بتعريب نظم الحاسوب والمعلومات، واستخدام اللغة العربية في البرمجيات المتقدمة مثل تلك الخاصة بالذكاء الاصطناعي وتوليد الكلام وفهمه آلياً.

و. **البعد اللغوي لتسارع التغير الاجتماعي وتشعبه:** يتبين لنا دور اللغة في رصد حركة التغير الاجتماعي وعلينا أن ننظر إلى هذا التغير بصفته وليد التفاعل بين الخطابات discourses المختلفة: الخطاب السياسي، الخطاب الديني، الخطاب التربوي، الخطاب الاقتصادي، وهلم جرا، واللغة هي رابطة العقد بين هذه الخطابات.

لكي يمكننا تتبّع مظاهر التفاعل بين الخطابات المختلفة لابد من توفر أدوات لغوية قادرة على إبراز علاقات "التناص بين هذه الخطابات inter-textuality"، ودمجها، والربط بينها في "نصوص فوقية hyper-textuality". زيادةً على ذلك لابد من رصد آثار التغير المجتمعي المتسارع الخطى في الاستخدام الفعلي للغة، ولتحقيق هذا الهدف لابد من الاستعانة بتكنولوجيا المعلومات لبناء ما يعرف بقواعد ذخيرة النصوص textual corpus التي يخزن بها كم هائل من النصوص المكتوبة والمنطوقة تُختار على أسس إحصائية بحيث تمثل واقع الاستخدام اللغوي الفعلي تمثيلاً دقيقاً.

ز. **البعد اللغوي للتصدي لفكر الإرهاب والثقافات المضادة:** لابد من التصدي لظاهرة التضليل الإعلامي وما يشيعه أنصاف العارفين وأشباه الموجهين وقد أمدتهم تكنولوجيا المعلومات بأسلحة كثيرة من وسائل الإيهاب والاستقطاب وأقنعة الجهل، ولا يتأتى لنا ذلك دون لغة دقيقة وفعالة نواجه بها حملات التضليل الإعلامي، لقد برع الإرهاب في استغلال ألاعيب اللغة لطمس الحقائق وإكساب الزيف منطق الصواب، واستغلوا أسوأ استغلال الصلة الحميمة التي تربط بين الكتاب الشريف واللغة العربية، ولا بديل لمواجهة التضليل المعلوماتي إلا بتوفير أفضل المعلومات وأصدقها، وبثّها بلغة مستساغة ومؤثرة تستطيع أن تتنفذ إلى عقول البسطاء وغير البسطاء.

4.3 الأبعاد اللغوية للتحدي الاقتصادي

تحظى صناعة الثقافة بموقع متميز في اقتصاد ما بعد الصناعة التي تسوده تكنولوجيا المعلومات، حتى أصبحت من أهم مصادر الدخل القومي في الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى سعياً حقيقياً للسيطرة التامة على هذه الصناعة ذات الطابع اللامادي، يمثل ذلك تحدياً اقتصادياً قاسياً للدول المتقدمة والنامية على حد سواء، إن اللغة تؤدي دوراً أساسياً في صناعة الثقافة إعلاماً وتعليماً وإبداعاً وتؤدي أيضاً دوراً حيويّاً في صناعة البرمجيات حيث أصبحت معالجة اللغات الطبيعية بواسطة الحاسوب من أهم مقومات هذه الصناعة:

أ. احتكار السلعة الثقافية وصناعة البرمجيات

ب. تضخم ميزانية التعليم

5.3 الأبعاد اللغوية للتحدي السياسي

كان لابد أن يكتشف الساسة عاجلاً أو آجلاً ما للمعلومات من سطوة سواء في أمور السياسة الداخلية أو الخارجية، فالمعرفة قد أصبحت قوة أكثر من أي وقت مضى، والمعلومات عامل فعال يضاعف من سلطات هذه القوة، وأصبح التفوق المعلوماتي قادراً على تحييد أو هزيمة القوة العسكرية بتكلفة أقل. لقد تضامنت القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والقوة المعلوماتية في مزيج يتحدد على أساسه مدى النقل السياسي لكل أمة على الخريطة الجيوبولوتيكية.

من أبرز الملامح السياسية - اللغوية لعصر المعلومات هي تلك الخاصة بالتكتلات السياسية التي تقام حالياً على أساس لغوي نذكر منها:

• تكتل اللغة الإنكليزية الذي يضم الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا الناطقة بالإنكليزية ودول الكومنولث.

• تكتل اللغة الفرنسية الذي يضم فرنسا وكندا الناطقة بالفرنسية وسويسرا الناطقة بالفرنسية ومجموعة دول الفرنكفونية.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- تكتل اللغة الألمانية ويضم ألمانيا والنمسا وسويسرا الناطقة بالألمانية.

6.3 الأبعاد اللغوية للتحدي العلمي التقني (التكنولوجي)

تقانة المعلومات هي وليدة التقدم العلمي في العديد من مجالات المعرفة الإنسانية، وفي نفس الوقت وفرت هذه التكنولوجيا للبحث العلمي وسائل عديدة ودفعت بمعظم مجالات المعرفة إلى مشارف علمية متقدمة جداً، بل واستحدثت فروعاً جديدة من العلوم لتضيف تعديلات جوهرية على طوبوغرافية الخريطة العلمية.

يمكن تفريع التحدي العلمي - التكنولوجي الشامل إلى تحديات أقل شمولاً هي:
أ. توظيف المعرفة لا مجرد اقتنائها، وتؤدي اللغة دوراً أساسياً في توصيف المشاكل تمهيداً لتوظيف المعرفة لحلها.

ب. تضخم المعارف وتشعب العلوم وتداخلها، واللغة هي رابطة العقد بين الفروع المعرفية المختلفة، فهي صانعة الفكر وصنيعته.

ج. تنوع التطبيقات التكنولوجية اللغوية، وتشمل على سبيل المثال لا الحصر الترجمة الآلية، نظم الفهرسة والاستخلاص الآلي، توليد الكلام وفهمه آلياً.

وفي ختام تناولنا الأبعاد، لابد أن نؤكد أن هناك فرصة نادرة لتعويض تخلفنا اللغوي إذا ما نجحنا في استغلال الإمكانيات الهائلة التي تتيحها تكنولوجيا المعلومات في المجال اللغوي سواء على المستوى النظري أو العملي، وقبل أن يتسرع أحد في اتهامنا بأننا نتهم لغتنا العربية العظيمة بالتخلف والعجز عن الاستجابة لمطالب العصر، دعنا نؤكد أن ما نعنيه هنا هو إخضاع تكنولوجيا المعلومات لخدمة اللغة العربية وليس العكس، بأن نخضع هذه اللغة قسراً لضغوط هذه التكنولوجيا الساحقة، وهو ما يذكرنا بنظرة البعض الضيقة عندما طالبوا في الماضي بتغيير كتابة العربية تحقيقاً لمطالب تكنولوجيا الطباعة.

رابعاً: الشَّابكة (الإنترنت): مقبرة اللغة أو بستانها

في إطار خطاب العولمة، وما تبعه من خطابات التنوع الثقافي والخلق العالمي وحوار الثقافات وصراع الحضارات وما شابه، كثر الحديث عن اللغة، خاصة بعد أن أبرزت الشَّابكة (الإنترنت) بصورة غير مسبقة أهميتها السياسية والثقافية والاقتصادية. وقد سادت هذا الحديث نبرة التشاؤم، وتوالى ظهور المصطلحات التي تُبرز مدى القلق على مصير اللغة في عصر المعلومات، من قبيل الهوة اللغوية والفواصل اللغوية وانقراض اللغات، والعنصرية اللغوية والتوحد اللغوي والتحالف اللغوي والحروب اللغوية، وتمادى البعض في تشاؤمه ليدرج اللغة ضمن قائمة موتى عصر المعلومات¹ كضحية جديدة تضاف إلى ضحاياه الأخرى ذات الصلة اللغوية، ونقصد بها الخصوصية الثقافية والقيم المحلية والسيادة الدولية. في ظل هذه الرؤية التشاؤمية وصفت الشَّابكة (الإنترنت) بأنها مقبرة اللغات، وأنها أمضى أسلحة التجنيس الثقافي. على الطرف النقيض، هناك من يؤكد أن عصر المعلومات هو عصر ازدهار اللغات، وكسر الحواجز اللغوية، ويصف الشَّابكة بأنها بستان للغات يتمتع فيه الجميع بـ "هيتروطوبيا" من صنع التعددية اللغوية والتنوع الثقافي والاختلاف العقائدي، فالشَّابكة - في رأي هؤلاء - تختلف عن وسائل الإعلام التقليدية في قدرتها على خلق بيئة مواتية لإحياء اللغات وإثراء التواصل الثقافي بين الشعوب والجماعات. لقد بات واضحاً أن العالم يواجه على جبهة اللغة موقفاً مصيرياً: إما أن يتمسك بتعدد لغاته، وما ينطوي عليه ذلك من صعوبة التواصل وإعاقة تبادل المعلومات والمعارف، وإما أن تتوحد لغات العالم في لغة قياسية واحدة، الإنكليزية في أغلب الظن، وساعتئذ تكون قد حلت بالبشرية الطامة الكبرى على حد تعبير مدير منظمة اليونسكو في لقاء دافوس الأخير.

يواجه الكثير من دول العالم، المتقدمة والمتخلفة على حد سواء، مشكلة لغوية من نوع ما، ففي حين تعاني كندا من الآثار السياسية والاقتصادية للثنائية اللغوية (الإنكليزية والفرنسية)،

¹ صدر أخيراً كتاب بعنوان "موت اللغة".

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

تسعى الولايات المتحدة بكل طاقتها لاحتواء لغات الأقليات بها دون المساس بسياسة التوحيد اللغوي التي ترسخت في كيان المجتمع الأمريكي. أما روسيا ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي فتواجه مشكلة لغوية حادة في كيفية تحقيق المساواة اللغوية ما بين الـ 120 لغة تتكلمها الكيانات المندرجة في اتحادها الفيدرالي، في حين تبدي الدول الاسكندنافية اهتماماً متزايداً بتعزيز موقف لغاتها القومي المضاداً للهجرة اللغوية الشرسة التي تتعرض لها من قبل اللغة الإنكليزية. أما بالنسبة للهند، ولغاتها الثمانية عشرة ولهجاتها المتعددة، فهي تعاني من مشكلة لغوية مزمنة ذات أبعاد سياسية واقتصادية وعرقية ودينية. وعلى حدة هذه المشاكل التي تواجهها هذه الدول فإنها لا تقارن بالتحديات الجسام التي تواجهها إفريقيا في كيفية الحفاظ على مخزونها اللغوي (1800 لغة) المهدد معظمه بالاندثار، ولا جدال في أن إفريقيا وحدها تعجز عن القيام بهذه المهمة الحضارية الباهظة التكلفة ذات الجوانب المتعددة؛ فهي - أي إفريقيا - واقعة تحت ضغوط سياسية واقتصادية قاسية، وتعاني من ظروف بيئية ومعيشية متدنية جداً تجعل من وباء الإيدز أمراً يفوق في خطورته اندثار التنوع اللغوي والتراث الثقافي. أضف إلى ذلك أن كثيراً من شباب الدول الإفريقية عازفون عن تعلم لغتهم الأم ويفضلون عليها الإنكليزية أو الفرنسية حرصاً على زيادة فرص العمل المتاحة لهم، سواء داخل ديارهم أو خارجها.

كما هو معروف، كادت التقنية الصناعية أن تؤدي بالتنوع البيولوجي بعد أن تسببت آثارها البيئية في انقراض أعداد هائلة من الكائنات الحية: حيوانات برية وبحرية وزهور ونباتات وطيور وحشرات. يتنامى قلق مشابه حالياً من أن تكنولوجيا المعلومات بصفة عامة، والإنترنت بصفة خاصة، ستؤدي بالتنوع الثقافي. لقد تفاقمَت ظاهرة الانقراض اللغوي كوابئ ثقافي يجتاح العالم بأسره، ومن أهم أسبابه حالياً: طغيان اللغة الإنكليزية على ساحة المعلوماتية سواء من حيث معدل إنتاج الوثائق الإلكترونية وحجم تبادلها، أو اللغة التي تتعامل معها البرمجيات وآلات البحث على الإنترنت، فضلاً عن المطبوعات المتعلقة بالجوانب المختلفة لتكنولوجيا المعلومات من أدلة تشغيل ومكانز ومعاجم ومسارد ومواصفات فنية وثقافة

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

علمية، وكتب مدرسية وغير مدرسية من مستوى الأطفال حتى أعلى مستويات التخصص الفني، وهاهي ذي إحصائيات اليونسكو تصدمننا بحقائق مفرعة عن الوضع العالمي للغات البشرية، فنصف لغات العالم (6000 لغة) مهددة بالانقراض، ومعدل انقراضها في تسارع متزايد، حتى وصل هذا المعدل حالياً إلى انقراض لغة إنسانية كل أسبوعين.

تُظهر الشبكة صورة قائمة للتنوع اللغوي؛ فمن ضمن الستة آلاف لغة، هناك 500 لغة ممثلة على الشبكة، معظمها ذو وجود ضعيف جداً، وهو وضع ينذر بـ "هوة لغوية linguistic divide" تحت الصنع تفصل بين لغات دول العالم المتقدم ولغات دول العالم النامي غير القادرة على مساندة لغاتها في المعركة اللغوية الطاحنة على الإنترنت.

إن المحافظة على التنوع اللغوي ليست بدافع أخلاقي فقط، بل أيضاً لكون كل لغة من لغات العالم يمكن أن تسهم في عملية التقدم البشري، فكل منها أسلوبها الخاص في تكويد المعرفة، وتسجيل الخبرات وتوظيف اللغة في مسالك الحياة المختلفة وممارسة فنون الإبداع اللغوي المتنوعة. وعلى هذا من الضروري أن ننظر إلى اللغات الإنسانية بصفتها أسرة متكافلة يكمل بعضها بعضها الآخر، وتنمو بعمليات الاقتراض والانصهار والترجمة والدراسات المقارنة.

من أخطر مظاهر طغيان اللغة الإنكليزية على ساحة المعلوماتية هي تلك المتعلقة بالبرمجيات، حيث يُوضع معظمها باللغة الإنكليزية، وغالباً ما يكون ذلك بهدف تحقيق مطالب المتعاملين بهذه اللغة أصلاً، وكما هو معروف يقوم بتطوير هذه البرمجيات عادة شركات أمريكية تركز استراتيجيتها على ربط الأسواق العالمية بالسوق الأمريكية. لهذا السبب، وبُغية فتح أسواقها على المناطق غير الناطقة بالإنجليزية، تقوم هذه الشركات بتطوير منتجاتها إلى اللغات الأخرى بواسطة ما يعرف بعملية "التفصيل المحلي localization" التي لا تخرج في أغلب الأحوال عن ترجمة سطحية للرسائل التي تتعامل معها البرامج دخلاً وخرجاً دون النفاذ إلى محتوى المادة التي تحتويها، وهو الأمر الذي تزداد أهميته للبرامج الثقافية عموماً، والتعليمية والترفيهية خاصة.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

استناداً إلى شواهد عديدة، يمكن القول بوجهٍ عام إن قوى السوق تعمل مضادةً للتنوع الثقافي، وهي - بحكم طبيعتها - تنحاز إلى التوحيد القياسي اللغوي؛ فهو يعمل لمصلحة هذه القوى وذلك بتوسيع نطاق تسويق المنتج المعلوماتي: طباعياً كان أم إلكترونياً، إعلامياً كان أو تعليمياً، وثائقياً كان أم برمجياً. على الجانب المقابل، يعمل سلاح التوحيد القياسي - عادة - مضاداً لمصلحة الصغار، إذ تسيطر على منظمات التوحيد القياسي الشركات الضخمة القادرة على أن تفرض مواصفات منتجاتها كقياسات الأمر الواقع *de-facto standards* ولا تستطيع الدول الصغيرة الدخول في هذا المضمار، إذ لا تتوفر لديها صناعات قومية تساند موقفها في ساحة التنافس القياسي، فضلاً على أن تناول القضايا الخاصة بالتوحيد القياسي يتطلب معرفة نظرية وخبرة عملية لا تتوفر عادة لدى الدول النامية.

على النقيض من هذه الصورة القائمة لمصير لغات العالم بفعل تكنولوجيا المعلومات عموماً، والشابكة خاصة، يرى أصحاب النظرة المتفائلة في الإنترنت وسيلة لإحياء اللغة وحماية لغات الأقليات، وأداة نافذة للتواصل اللغوي من خلال الثقافات، والحفاظ على تراث فنون الإبداع اللغوي من رواية وشعر مسرح وأغان وما شابه. ويرى البعض أن طغيان اللغة الإنكليزية الحالي في انحسار، فعلى حين مثلت الإنكليزية في بداية ظهور الإنترنت ما يزيد على 95% من حجم البيانات المتبادلة، تراجعت هذه النسبة إلى ما يقرب من 80% حالياً، وهناك من يتوقع أن تفقد اللغة الإنكليزية وضعها المعلوماتي المتميز بحلول عام 2015. مما لا شك فيه أن الحفاظ على التنوع اللغوي مسؤولية مشتركة يجب أن تساهم فيها الحكومات، وأفراد الجماعة الناطقة بها، والجمعيات الأهلية، ووسائل الإعلام وجهات التمويل، والمنظمات الدولية وعلى رأسها منظمة اليونسكو التي تبدي هذه الأيام اهتماماً متزايداً بتعدد اللغات وتنوعها في وسائل الإعلام وشبكات نقل البيانات. من أبرز جهود اليونسكو في هذا الشأن ما أطلق عليه "مبادرة بابل" التي تهدف إلى:

أ. حث الحكومات والمنظمات عن طريق الحكومات على سنّ السياسات التي تضمن التنوع الثقافي وحماية لغات الأقليات.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ب. المشاركة في مشاريع متنوعة توازر التنوع اللغوي، كتطوير نظم ترجمة آلية ما بين عدة لغات، وبناء معاجم ومكانز وبنوك مصطلحات متعددة اللغات، والقيام بدراسات عن علاقة التنوع اللغوي بالتنوع الثقافي وعملية التنمية البشرية بوجه عام.

ج. نشر المعلومات الخاصة بوضع اللغات عالمياً، وتبادل الحلول المبتكرة في صيانة اللغات وتوثيقها وتعليمها وتعلمها.

يسود الاعتقاد حالياً أن مشكلة الانقراض اللغوي، صنعة تكنولوجيا المعلومات، لا يمكن حلها دون اللجوء إلى هذه التكنولوجيا ذاتها التي يمكن أن تستغل كأداة فعالة في إثراء التنوع اللغوي بواسطة:

- الترجمة الآلية
 - برامج تعليم اللغات وتعلمها
 - نظم البحث المتعدد اللغات في بنوك المعلومات
 - دعم الدراسات التقابلية بين اللغات
 - استكمال البنى الأساسية للغات.
- وسنتناول كلاً من هذه الوسائل فيما يلي باختصار.

الترجمة الآلية: تمثل نظم الترجمة الآلية أمضى الأسلحة التكنولوجية للحفاظ على التنوع اللغوي، إذ تعمل هذه النظم كحلقة ربط ما بين مرسل المعلومات ومتلقيها، وكذلك بين الباحث عن المعلومات ومراكز خدماتها، وبين ناشر المعلومات والجهات التي تبث إليها.

تعلم اللغات: تتيح الإنترنت فرصاً عديدة لاكتساب المهارات اللغوية بفضل المواقع المتعددة لتعليم اللغات وتعلمها عن بُعد، ومن الطبيعي أن تحظى الإنكليزية بالقسط الأعظم من هذه المواقع، إلا أن المنهجيات المتقدمة المستخدمة في اكتساب الإنكليزية سواء كلغة أولى أو لغة ثانية يمكن أن تستخدم نموذجاً يحتذى به في باقي اللغات. وفي هذا الصدد، علينا أن نلاحظ أوجه الاختلاف بين تعلم اللغات باستعمال الشبكة (الإنترنت) وتعلم اللغات بمساعدة الحاسوب

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بالاستفادة من البرامج المسجلة على الأقراص. إن تعلم اللغات عن طريق الإنترنت أكثر واقعية بلا شك وهو يركز عادة على مهارات التواصل اللغوية المختلفة. إلا أن الإنترنت ستنزل وسيطاً غير ملائم لنقل المحتوى، وهو ما يميز تعلم اللغات بمساعدة البرامج المسجلة على الأقراص. بناء على ذلك لابد أن تُطوّر منهجيات تعليم اللغات وتعلمها بحيث يمكن استغلال هذه الثنائية في الوسيط التعليمي. من جانب آخر فإن الترجمة الآلية من وإلى اللغة الأم تعد مقوماً أساسياً في تعليم اللغة كلغة ثانية، وذلك بعد أن استقرت الآراء على أن المزج بين اللغة الأم واللغة الثانية المراد اكتسابها يساعد على زيادة سرعة التعلم وتعميقه.

البحث والنشر بلغات متعددة: إن حق الاتصال يجب أن يكفل لكل فرد حرية التعامل مع شبكات المعلومات أخذاً وعطاءً، ويقصد بذلك حق القراءة (البحث عن المعلومات) والكتابة (النشر) أيضاً. يتطلب ذلك توفير أدوات بحث وإبحار متعددة اللغات بحيث تمكن الباحث من تقديم طلبات بحثه بلغته الأصلية، وأن تأتي له نتائج البحث بنفس اللغة أيضاً. هذا فيما يخص استقبال المعلومات. أما بخصوص إرسالها فيجب أن يتاح للناشر وضع رسالته، أو وثيقته، بلغته الأصلية وأن يستقبلها متلقيها باللغة التي يفضلها. مرة أخرى، يمكن أن تؤدي نظم الترجمة الآلية دور الوسيط التكنولوجي بين الباحث ومصادر معلوماته، وبين الناشر ومن يستقبلون رسائله. بجانب الترجمة الآلية، يحتاج توفير حق الاتصال إلى أدلة بحث directories وبنوك مصطلحات متعددة اللغات، وكذلك لغات استفهام query languages (التي تصاغ بها طلبات البحث عن المعلومات) يمكن تطويعها بسهولة لمطالب لغة المستخدم.

دعم الدراسات التقابلية: يتوقف نجاحنا في إحياء التنوع اللغوي على مدى إدراكنا للقواسم المشتركة بين اللغات، وكذلك الفروق النحوية والمعجمية والدلالية والبرجماتية في استخدامها. ركزت معظم الدراسات اللغوية التقابلية فيما مضى على نشأة اللغات وتطورها والأنماط السائدة لتراكيب الجمل، والإطار العام لبنية معاجمها، وآليات توليد الكلمات بها. بقول آخر، كان التركيز على اللغة المفترضة لا اللغة الواقعية المستخدمة بالفعل، وهو ما تسعى إليه حالياً اللغويات التقابلية؛ وذلك باستنادها إلى كمٍّ هائل من النصوص المترجمة بين اللغات المختلفة.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

لقد وفرت تكنولوجيا المعلومات الوسائط الإلكترونية وأدوات استرجاع المعلومات المناسبة للسيطرة على هذا الكم الهائل من ذخائر النصوص اللازمة لمثل هذه الدراسات المقارنة. إن هذه الدراسات، ثنائية كانت أم متعددة اللغات، هي الكفيلة بإبراز المشاكل التي تواجه الترجمة ما بين اللغات، وتسجيل خبرة المترجمين البشريين في التعامل مع هذه المشاكل وهي أمور لا غنى عنها لتصميم نظم ترجمة آلية أكثر قدرة وواقعية. إضافةً إلى ذلك، توفر اللغويات النقابلية معطيات عديدة لتدعيم النظرية العامة للغة التي تتدرج في إطارها جميع اللغات، ومعرفة الفروق ما بين اللغات المختلفة فيما يخص رؤيتها للعالم وتمثيل المعارف وتوظيفها في مسالك الحياة اليومية.

استكمال البنى الأساسية: يفتقر كثير من اللغات الإنسانية، ولغات الأقليات خاصة، إلى عناصر عديدة من بنائها الأساسية إلى حد أن بعضها ليس له نظام كتابة أصلاً. يمكن لتكنولوجيا المعلومات أن تسهم في استكمال هذه العناصر؛ وذلك باستخدامها في توثيق اللغة واستخداماتها، ودفع جهود التنظير اللغوي، وكذلك بناء المعاجم وإرساء منهجيات تعليم اللغة وتدريب معلمها.

خامساً: العولمة وفاق أم صراع: من منظور لغوي

اللغة - بحكم طبيعتها - تنزع إلى العموم والشيوع؛ لذا فقد كانت أسبق من غيرها في اجتياز الحدود ونشوء العولمة. فمنذ نشأته انشغل علم اللغة الحديث بالبحث عن نحو عام universal grammar تتدرج في إطاره جميع لغات البشر، وها هو نظام المعجم يفتني أثر توعية لينقل المعجمية من حرفية الصنعة Lexicography إلى مستوى علم المعاجم الدقيق Lexicology الذي يتناول إشكالية المعجم في جميع اللغات. وسيظل يراود البشرية حلمها القديم بعالم واحد يتكلم لغة واحدة حتى بعد أن أثبت الواقع مدى صعوبة تحقيقه إن لم يكن استحالة، وتلوح في الأفق حالياً صورة مستحدثة لهذا الحلم البعيد المنال يوحى بها عصر المعلومات ذو العلاقة الحميمة باللغة، ويصادفنا في أدبيات اللغة والحاسوب حالياً نَزَرٌ من قول

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

قديم غاية في القدم عن لغة ما قبل أهل بابل، تلك اللغة الواحدة التي كان ينطق بها كل البشر، كما توحى لنا التوراة، إن تَشَوَّفَ البشرية لوحدة اللغة إنما يدل على حنينها الجارف للتواصل، وعليه فالعولمة الحقّة من منظور اللغة هي شفافية التواصل بإسقاط الحواجز اللغوية لفتح الطريق أمام حوار الثقافات. وكدليل على محورية اللغة في مجال العولمة. نشير هنا إلى تزايد مساهمة أهل اللغة من فلاسفة وعلماء وإعلاميين في التنظير الثقافي الحديث نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: رومان جاكبسون، نعموشومسكي، جاك دريدا، جوليا كريستيفا، إدوارد سعيد، فردريك جيمسون.

وعلى كثرة ما كتب عن العولمة وما أثير حولها من قضايا، تظل أبعد ما تكون عن التحديد سواء من حيث ماهيتها أو مآلها، فما زال خطاب العولمة رهناً بالمبادرات الأكاديمية والمجازفات الفكرية، وما زال نطاق الجدل يتسع حتى كاد يشمل جميع أمور الحياة: من السياسة إلى العقيدة، ومن الثقافة إلى التقنية، ومن البيئة إلى التنمية، ومن صناعة الإعلام إلى صناعة البرمجيات، ومن أمور السيادة والهوية إلى حقوق الأقليات والملكية الفكرية. لكل من هذه الأمور المركبة عنصره اللغوي الذي يغري بالكشف عنه وعن شبكة العلاقات الكثيفة التي تربط بين هذه العناصر والتي يتعذر بدونها محاصرة إشكالية: "العولمة - اللغة"، وهي المحاولة - أو المغامرة إن شئت - التي يقوم الكاتب بها حالياً لاستكشاف منطقة التداخل بهدف بلورتها في تقابل ثنائي يطرح العولمة من منظور اللغة تارة، واللغة من منظور العولمة تارة أخرى. سيقنصر حديثنا عنها على المقولة الأساسية التي يتمحور حولها خطاب العولمة حالياً ونقصد بها تلك التي تتراوح فيها العولمة ما بين بشير الوفاق ونذير الصراع، وهل ستعيد العولمة إنتاج رأسمالية أيامنا في صياغة معلوماتية مبتكرة تؤدي إلى هيمنة القطب الأمريكي اقتصادياً وثقافياً وسياسياً، هيمنة تفرض على العالم بأسره نمطاً واحداً من التنمية الاجتماعية والثقافية في ظل "لا بديل" للحتمية الاقتصادية، أم أنها - أي العولمة - ستفتح أمام البشرية آفاقاً جديدة جاعلة من الثقافة محوراً للتنمية، ومن الاقتصاد تابعاً للعولمة لا موجهاً لها، في ظل "هيتروطوبيا" من تعدد بدائل التنمية وتنوع الثقافات وامتزاجها.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

لن نستطرد في حديث العولمة ما لها وما عليها، ونحيل من يريد المزيد على الحصاد الهائل لجدل الحداثة وما بعدها، والعولمة والعولمة المضادة، وصراع الحضارات، وحوار الثقافات وما شابه، وما يهمنها هنا أن نشق من أطروحة الوفاق والصراع تلك جانبها اللغوي، نستله بما أورده "محمود أمين العالم" في صدد دفاعه عن الخصوصية اللغوية، يقول العالم: "أخذت العولمة السائدة تفضي بالضرورة إلى سيادة لغة من لغات هذه الدول المهيمنة في العلاقات التجارية والاقتصادية، وما يستتبع ذلك من سيادة ثقافتها وقيمها الخاصة. إن معنى ذلك هو تهميش اللغات والثقافات القومية واحتواؤها واستتباعها كمدخل لاستتباعها سياسياً واقتصادياً وثقافياً". يؤكد المشهد اللغوي العالمي صحة ما خلص إليه أمين العالم ولا سيما في مجالي الإعلام والمعلومات، وجاءت الشبكة لتفتح بوابات الفيضان مثيرة الفرع لجميع الأمم غير الناطقة بالإنكليزية وقد انتابها قلق شديد على مصير لغاتها القومية وهي لعلها: تتجرف أمام تيار المعلومات الهادر ولغته الإنكليزية السائدة، بل الطاغية.

وكان يسهل على الكاتب أن يطلق على هذه الظاهرة مصطلح "الإمبريالية اللغوية" كتخصص لمصطلح "الإمبريالية الثقافية" الذي شاع استخدامه هذه الأيام، ولكنه فضل أن يصف تلك الظاهرة بـ "الداروينية اللغوية" وذلك لسببين: أولهما أن مصطلح الإمبريالية قد ارتبط في الأذهان على أنه أمر يخص الدول النامية المستضعفة دون الدول المتقدمة، وهو الأمر الذي يتنافى مع كون هيمنة اللغة الإنكليزية أمراً يشغل العالم أجمع متقدمة ونامية، فهو يهم فرنسا كما يهم الجزائر والمغرب، وبهم الدول الاسكندنافية كما بهم شعوب أمريكا اللاتينية. وكما يهدد اليابان، فهو يهدد بنغلاديش وقبائل إفريقيا وأستراليا. السبب الثاني هو أن في مفهوم "الداروينية اللغوية" نوعاً من التجارب مع إحصائيات اليونسكو التي تشير إلى أن نصف لغات العالم ولهجاته مهدد بالانقراض حالياً، ولا شك أن هناك علاقة بين اقتراحنا هذا ذي الطابع البيولوجي والصلة الوثيقة التي تربط حالياً بين علم اللغة الحديث والنظرية الحديثة للوراثة التي اتخذت من اللغة أساساً لها.

في ظل "مبدأ البقاء للأقوى" تضيق الإنكليزية الخناق على ما عداها من اللغات، وهي

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

توشك أن تخرج منفردة كلغة عالمية أو "إسبرانتو الأمر الواقع" كما يقولون، ويمكن لنا اقتفاء أثر ذلك على المستوى الاقتصادي والسياسي والثقافي بل العلمي أيضاً.

على صعيد السياسة والاقتصاد لا يخرج موقف الولايات المتحدة، القطب اللغوي الأوحـد بلا منازع، على كونه صدى لمصالحها الاستراتيجية سواء أكانت داخلياً أم خارجياً، فعلى المستوى الداخلي تنتزع الولايات المتحدة حملة عالمية لفرض صيغتها الخاصة والقاصرة المتعلقة بحقوق الإنسان بصورة أقرب إلى الشكلية والدعائية منها إلى الجوهر، وفي حين تفعل ذلك نراها تتكر على أقلّياتها حقها في استخدام لغاتهم الأم، وكأنهم قد نسوا تاريخهم وما فعله فرانكلين في صراعه لأنصار اللاتينية من أجل فرض اللغة المحلية، ولا يخفى على أحد كيف تعمل اللغة الإنجليزية داخل المجتمع الأمريكي كمصفاة للترشيح الاجتماعي، وكيف أصبح مستوى إجادتها عائقاً منيعاً يحد من حركة الصعود الاجتماعي لهذه الفئات المضطهدة لغوياً، كما يحد مجال الفرص المتاحة أمامها سواء للتمية الفردية أم الجماعية، ولا يجد النظام الأمريكية وسيلة أفضل لتبرير سياسة القمع اللغوي تلك إلا نموذج الجار الكندي، وما أدت إليه الثنائية اللغوية من صراعات بين الناطقين بالإنكليزية والناطقين بالفرنسية، ويعتقد كثير من ساسة الولايات المتحدة ومنظريها في صدق الفكرة القائلة بأن ليس هناك من تنوع لغوي إلا وله ضريبة اجتماعية باهظة!! واللغة بلا شك براء من هذا الافتراء الظالم، الذي لا يصمد أمام التحليل الدقيق والشامل لكوامن الصراع الاجتماعي، التي تنصدر قائمتها الأسباب الاقتصادية والعنصرية. وكم من الجرائم ترتكب باسمك أيتها اللغة!!! وكم من الضحايا قد سقطت في الهند وإسبانيا ومناطق أخرى من العالم في ظل ما بدا في ظاهره صراعاً لغوياً ومرجعه في الحقيقة إلى أسباب عديدة سياسية واقتصادية في المقام الأول، وليس بمنأى عن ذلك حقيقة أن أغنياء العالم قد تمرسوا في فض نزاعاتهم بتصديرها إلى دول الفقراء.

وعلى ما يبدو فإن التنوع اللغوي العالمي يثير حفيظة النظام الأمريكي بقدر كبير ومنذ وقت طويل، ولنتذكر هنا ما قام به القائد الأمريكي فور توقيع اليابان وثيقة الاستسلام بنهاية الحرب العالمية الثانية، عندما أمر باستخدام الحروف اللاتينية في كتابة اللغة اليابانية ظناً منه

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أن انعزالية اللغة اليابانية هي وراء ما خال أنه عدوانية متأصلة في طبيعة الشعب الياباني، مازجاً بين وجهين بشعين من أوجه الحتمية، ونقصد بهما: الحتمية اللغوية والحتمية البيولوجية.

ما إن أدركت القوى الاقتصادية الأمريكية الأهمية البالغة لموارد المعلومات في اقتصاد ما بعد الصناعة حتى أخذت تشحذ من أسلحتها اللغوية تهيئة لصراع دولي متوقع على ساحة الثقافة، وليس من قبيل الافتعال أن نربط بين هذا التوجه الاستراتيجي وما شهدته الساحة الأمريكية من تقدم هائل في علوم اللغويات وهندسة اللغة منذ منتصف الخمسينيات. لقد مكنت تكنولوجيا المعلومات، الكثيفة لغوياً، الولايات المتحدة من أن تجعل من شيوع اللغة الإنكليزية على رأس قائمة مزاياها التنافسية التي تقهر بها باقي الأمم، بفضل الشبكة، ذراعها الطويل، تلك الشبكة الكوكبية التي تطفو على طبقات من اللغة نافذة ومترجمة، واستعادت الولايات المتحدة حلمها الذي كادت تفقده بأن يصبح القرن القادم هو الآخر قرناً أمريكياً لكونه في الحقيقة قرناً "رمزياً" حيث سيكون للرمز فيه سلطة تفوق جميع السلطات.

تمارس الولايات المتحدة حالياً بتسخير مؤسساتها الإعلامية والاقتصادية والتكنولوجية أساليب عديدة ومبتكرة من الضغط اللغوي لا ترحم أحداً: عدواً أو حليفاً، كبيراً أم صغيراً. فعلى صعيد الثقافة هاهي فرنسا، منارة العالم الثقافية، تترنح أمام الإعصار الثقافي الذي يهب عليها عبرَ الأطلسي، وعلى صعيد التقنية تكاد اليابان، قطب صناعة الإلكترونيات عالمياً، أن تعلن انسحابها من صناعات البرمجيات تحت وابل البرامج ونظم المعلومات الإنكليزية الذي يرد إليها عبر الأطلسي، وهو الأمر الذي حدا باليابان أن تولي اهتماماً شديداً بأمور الترجمة الآلية أملاً في كسر عزلتها اللغوية التي فرضتها عليها لغتها الفريدة، ولا يختلف موقف ألمانيا كثيراً عن فرنسا واليابان سواء على جبهة الثقافة أو التقنية. هذا عن شأن الكبار إزاء ظاهرة الداروينية اللغوية، أما لغات صغار عصر المعلومات، ومنها العربية بالطبع، فيكتفى بتهميشها في شبه غيبة من أهلها، ويحدث ذلك عادة بإلحاقها كتوابع في إطار نظم إعلامية ومعلوماتية يزعمون أنها متعددة اللغات، وما هي في جوهرها إلا محور إنكليزي يدور في فلكه باقي

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

اللغات كأعضاء من الدرجة الثانية أو الثالثة، فيما أطلقوا عليه "نادي اللغات العالمي" وفي الحقيقة وبالنسبة لصغار عصر المعلومات هؤلاء فإن همهم اللغوي هَمَّان لا همَّ واحد، فعلى مستوى التواصل الدولي في إطار المنظمات والاتفاقيات الدولية غالباً ما يقتصر التعامل على لغات الكبار، فعلى سبيل المثال لم تدرج اللغة العربية ضمن اللغات المعتمدة في اتفاقية لغات بكل ما يترتب على ذلك من أعباء إضافية على صعيد الأنشطة الاقتصادية والتجارية وتقليل فرص العمل أمام من هم خارج النخبة اللغوية العالمية.

أما على الصعيد الثقافي، فلندع صراحة الأرقام تكشف لنا عن مدى سطوة اللغة الإنكليزية في مجال الإعلام.

- 65% من برامج الإذاعة باللغة الإنكليزية

- 70% من الأفلام ناطقة بالإنكليزية

- 90% من الوثائق المخزنة في الشبكة بالإنكليزية

- 85% من المكالمات الهاتفية الدولية تجري بالإنكليزية.

ولسنا بحاجة إلى أن نضيف هنا تلك المؤسسات الخاصة بشركات الإعلام الدولية المتعددة الجنسيات ووكالات الأنباء وتوزيع الصحف وخلافه.

وفي مجال التعليم، تنصدر اللغة الإنكليزية بفارق كبير قائمة اللغات التي يجري تعلمها كلغة ثانية (50 مليون صيني يتعلمون الإنكليزية حالياً)، حتى قيل إن اللغة "الإنكليزية المكسرة broken English" هي ثاني لغات العالم بعد الإنكليزية بالطبع، ولا يمكننا الفصل بين هذه الظاهرة والمقاومة الشديدة التي تلقاها جهود تعريب العلوم في الكليات العلمية والردّة إلى التدريس بالإنكليزية في كليات التجارة، وعما قريب كليات الحقوق خاصة بعد أن سقطت "اللغة العربية" من قائمة لغات اتفاقية الغات.

على الطرف النقيض من هذا الموقف المناهض للتنوع اللغوي هناك من يحتفي به بوصفه مصدراً للثراء الثقافي بل للتنمية الاقتصادية أيضاً في عصر باتت فيه اللغة، كما قلنا، من أهم

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

موارد المعلومات، وخير دليل على ذلك استراتيجية السوق الأوروبية المشتركة التي تولي اهتماماً كبيراً للمسألة اللغوية من جميع جوانبها، وليس هذا لاتقاء شرور الصراعات الثقافية داخل الكيان الأوروبي فحسب، بل من أجل التقليل من حدة الميزة التنافسية لشيوع اللغة الإنكليزية والعمل على قلب الوضع بحيث تكون هذه الميزة في صف التنوع اللغوي وليس ضده. إسرائيل هي الأخرى التي كانت تسعى في بداية نشأتها لصهر كل الكيانات الثقافية التي يشملها المجتمع الإسرائيلي في قالب واحد، نراها حالياً تسعى جاهدة لتقديم نفسها في دنيا العولمة كموزاييك من الثقافات الكونية وتخطط لاستغلال "الكوكتيل اللغوي" الذي تحظى به لإقامة صناعة معلومات متعددة اللغات على رأسها اللغة العربية بالطبع، وليس سراً أن إسرائيل تقحم نفسها حالياً في أمور تعريب نظم الإنترنت والترجمة الآلية من وإلى العربية.

وينظر مؤيدو التنوع اللغوي بعين الريبة لمصطلح اللغة الرسمية الذي يرد في كثير من دساتير الأمم، ويعتبرون ذلك نوعاً من الإجحاف بحقوق الأقليات، ولكن كيف لهذه المثالية اللغوية أن تتحقق في ظل المناخ العالمي السائد دون تصافر الجهود سياسياً وثقافياً وعلمياً وترجمتها إلى سلسلة من الإجراءات العلمية نذكر منها على سبيل المثال:

أ. إصدار التشريعات الدولية التي تمنع التمييز اللغوي وتضمن حقوق الأقليات اللغوية.
ب. تنقية المناخ الثقافي من الآثار السلبية التي خلفتها مفاهيم الطبقة اللغوية التي تصنف اللغات البشرية كفصائل الكائنات الحية ما بين لغات عليا ولغات دنيا، وكذلك من الحتمية اللغوية (الشقيقة الأثيرة للطبقية) التي تربط بصورة شبه ميكانيكية ودون سند علمي أو عملي بين فكر البشر وبعض خصائص لغتهم الأم، من قبيل أن العرب لا يقدرون عامل الوقت نظراً لضمور خاصية الأزمنة في اللغة العربية مقارنة بالفرنسية مثلاً التي يُوغل نحوها في التركيبات الزمنية.

ج. الاهتمام بالدراسات المقارنة والتقابلية في مجال اللغة ولا شك أن الشائكة نتيج كثيراً من الفرص لتحقيق ذلك.

د. دفع جهود البحث والتطوير في الترجمة عموماً والترجمة الآلية خاصة.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

هـ. نشر الثقافة اللغوية كفرع من فروع الثقافة العلمية بدءاً بالنبذة و انتهاء برجل الشارع. وأخيراً: فيما يخصنا نحن العرب علينا أن ندرك مدى خطورة اتساع الفجوة اللغوية التي تفصل حالياً بين العربية ولغات العالم المتقدمة، تنظيراً وتعليماً واستخداماً وتوثيقاً، وعلينا أن نتصدر للهجمة الشرسة على التنوع اللغوي العالمي، فما أسهل أن يصبح ذلك مدخلاً للهجوم على التنوع العقائدي ذاته، خاصة أن عقيدتنا ترتبط باللغة ارتباطاً وثيقاً، أضف إلى ذلك الحملة الشنعاء التي توجه على الإسلام ولغته، في خطاب صراع الحضارات ونهاية التاريخ وما إلى ذلك، في نفس الوقت علينا أن نعد العدة لمعركة حاسمة مع إسرائيل على ساحة الثقافة عامة واللغة خاصة، وقد ظهرت بوادر هذا الصراع على شبكة الشبابة بالفعل ففي حين تسعى إسرائيل إلى جمع شتاتها اللغوي، يحاول البعض شردمة اللغة العربية فيقسمونها إلى عربية مغربية وعربية مصرية وعربية لبنانية وعربية خليجية وهلم جرا.

المعجم التاريخي في ضوء المعجمية الحديثة

د. محمد حسن عبد العزيز

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مصر

هذا البحث ثمرة عمل أكاديمي متواصل - تدريساً وبحثاً وإشرافاً منذ ثلاثة عقود، وزيدة تجربة ثرية في العمل بلجنة المعجم التاريخي باتحاد المجامع العربية في الثلاث السنوات الأخيرة منذ انضمامي إلى عضوية هذه اللجنة عام 2004م.

وقد لاحظت في أثناء تلك المدة أن عدداً كبيراً من المجمعين وغيرهم من اللغويين كتبوا بحوثاً أو ألقوا محاضرات عن المعجم التاريخي، ولكنهم جميعاً اکتفوا بالحديث عن الجوانب التعريفية بالمعجم ومنهجه دون أن يتطرقوا إلى أمرين بالغين الأهمية:

- عرض نماذج توضيحية لما يمكن أن تكون عليه مواد هذا المعجم ومداخله لبيان مفهومه وتأسيس منهجه.

- بيان دور الوسائل الآلية (الحاسوبية) في صناعة المعجم، لاسيما إذا وضعنا في الاعتبار التقدم في استخدامها في صناعة المعاجم بكل مراحلها: جمعاً وتحريراً ونشراً، واقتصار المعنيين من العرب على جمع المادة دون معالجتها آلياً.

ولست أدعي لنفسي - فيما يتصل بهذين الأمرين - إلا السعي الحثيث من أجل النهوض بهذين الأمرين. وسوف أعرض عليكم تجربتي بخصوصهما.

البحث من عنصرين، أولهما تحت عنوان (نماذج توضيحية لمواد من المعجم التاريخي)، والثاني (صناعة المعجم التاريخي آلياً).

العنصر الأول يتناول في مستهله تعريفاً بالتغير اللغوي، وطبيعته ومظاهره. والتغير

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

اللغوي هو الهدف الأكبر الذي يسعى المعجم التاريخي إلى بيانه، ويقدم في صلبه عرضاً موجزاً جداً للغاية عن دراسة موسعة لثمانية ألفاظ متنوعة هي: قطار، وذرة، وسياسة، ورنار، وترجمان، ووزير، وحاجب، وحكومة، قائمة على نصوص لغوية موثقة من الشعر والنثر تنتمي إلى عصور اللغة العربية من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وكاشفة عما حدث لمبانيها من تغير، وعما اتخذ في علاجها من إجراءات.

أما العنصر الثاني فيتناول تعريفاً بدور الوسائل الآلية في صناعة المعجم، وبما أنجز في هذا المجال من نجاحات باهرة وبخاصة تجربة معجم (مولينز كوبيلد)، وسوف أبين فيه كيف استفدت من (المدونات العربية) المتوفرة في جمع مادة هذه النماذج، وأشير إلى ما في هذه المدونات من قصور أو أخطاء، وكيف عالجتها.

نماذج توضيحية لمواد من المعجم التاريخي

التغير اللغوي

التغير اللغوي هو انتقال شكل لغوي ما من حالة إلى حالة أخرى في مبناه أو في معناه. والمعجم التاريخي يختص بتسجيل ما يحدث للأشكال اللغوية من تغير، وتحديد الزمن والمكان الذي وقع فيه، وغير ذلك مما يُعدّ تغييراً (كالمستوى الاجتماعي للكلمات والأساليب) بدقة ووضوح.

وقد كان الاهتمام بتاريخ اللغات والمقارنة بينها، والذي بلغ غايته في القرن التاسع عشر مظهرًا الكثير من التغيرات التي أصابت عدداً من لغات العالم وبخاصة اللغات الهندو - أوروبية واللغات السامية. وكان ذلك ممهداً لظهور المعجم التاريخي في إنجلترا وفرنسا.

وقد شغل اللغويون بتحديد مفهوم التغير اللغوي بعمامة والدلالي بخاصة، وبيان مظاهره وأسبابه. وثمة تقسيمات عديدة تتضمنها بحوثهم كالتقسيم النفسي القائم على وجود أربعة مظاهر: المشابهة بين المدلولين، والعلاقة بين المدلولين، والمشابهة بين اللفظين والعلاقة بين

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

اللفظين، والتقسيم المنطقي القائم على وجود خمسة مظاهر: تعميم الدلالة وتخصيصها، ورقفيها وانحطاطها وتغير مجال الاستعمال.

ولا يتسع المقام للحديث عن هذين التقسيمين وعما يتضمنانه من مظاهر، وعما يقدمانه من أمثلة، ولكني أشير إلى أن العمل بالمعجم التاريخي يتطلب معرفة واسعة بكل ما قيل عن التغير؛ ولأن العمل فيه لم يبدأ بعد فلا مجال لترجيح تقسيم على آخر أو الجمع بينهما، وسوف تحدد اللجنة العلمية المسؤولة عن إنجازه ما تراه مناسباً لتحقيق الهدف منه.

بيد أن لي ملاحظة ناتجة عن التعامل مع النماذج الثمانية التي أقدمها، وعما دار حول حديثي عن بعضها من نقاش في مؤتمر الشارقة، وفي مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة. طلب إليَّ أحد الحاضرين أن أحدد طبيعة التغير الدلالي، ومدى وضوحه، لأنه يرى أن التغير في الأمثلة المطروحة (زنا) و(ترجمان) غير واضح.

وأقول فيما طلبه السائل ورآه: اجتمع اللغويون القدماء والمحدثون على مثال قديم للتغير الدلالي، وهو الكلمة (صلاة). قال ابن فارس: كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخرى... فمما جاء في الإسلام الصلاة، وأصله في لغتهم الدعاء... والوجه في لفظ الصلاة... أن يقال في الصلاة اسمان لغوي وشرعي، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء به الإسلام. (الصاحبي ص 86-78).

وقد كان للعرب في الجاهلية حياة دينية بها آثار مسيحية ويهودية ووثنية. ومن العبادات التي تقربوا بها إلى المعبود الأعظم: الصلاة والصوم والحج والعمرة. وقد وردت كلمة صلاة بمعنى الدعاء في شعر للأعشى. (ت 7 هـ).

لها حارس ما يبرح الدهر بيتها إذا ذبحت صلى عليها وزمما
صلى عليها: باركها وأثنى عليها. (ديوانه 4/55)

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ووردت كذلك كشعيرة دينية مقرونة بشعيرة أخرى هي الحج في شعر لأبي قيس بن الأُسَلْت. (ت 1 هـ).

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب

(اللسان صلى)

ووردت كذلك كشعيرة معروفة بين رهبان النصارى في بيت منسوب لامرئ القيس مقرونة بشعيرة أخرى هي الصوم:

لها مقلة لو أنها نظرت بها إلى راهب قد صام لله وأبتهل
لأصبح مفتوناً معنى بحبها كأن لم يصم لله يوماً ولم يصل

(ديوانه 467)

واتفق القدماء والمحدثون على أن الكلمة قد تغير معناها أو انتقل بظهور الإسلام وفرض الصلاة. وقد جاءت الكلمة في القرآن بمعنى الرحمة والدعاء والتعظيم. وحدد الحديث الشريف هيئاتها وأوقاتها.

الجديد إذن أن الصلاة أصبحت عبادة مفروضة بهيئات مخصوصة من قيام وركوع وسجود وتشهد... في أوقات محددة وبشروط مخصوصة.

فالتغير هنا ليس انتقالاً من معنى إلى معنى آخر يختلف عنه تماماً بل تغير في مكون أو أكثر من مكونات معنى اللفظ، فالمعنيان بينهما مكونات مشتركة، فالصلاة عند الجاهليين وعند المسلمين عبادة ودعاء وتقرُّب إلى المعبود، ويتميز اللفظ في الإسلام بما حددناه من مكونات. وهكذا الحال في كل ما وجدناه من أمثلة التغير.

ولنأخذ مثلاً مما درسناه: (الترجمان) كلمة آرامية تعني من يفسر الكلام من لغة إلى لغة أخرى. وقد استعملته العرب في جاهليتها بهذا المعنى، وكذا في عصور اللغة الأخرى حتى العصر الحديث، وتصرفت العرب في الكلمة فاشتقوا منها أفعالاً فقالوا: ترجم ويترجم وصفات: مترجم ومترجم ومصدر: ترجمة.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وقد جرى الاستعمال - عبر الزمن - بمعان جديدة، فأصبحت تعني من يكتب سيرة شخص أو أشخاص، ومن يكتب كتاباً ويقسمه إلى أبواب وفصول... إلخ ما فصلناه في موضعه من البحث فالتغير هنا نوعان:

الأول: لفظي، لأنه مقترض من لغة أخرى، وللتصرف فيه بالاشتقاق، ومعاملته معاملة الكلمة العربية.

الثاني: دلالي، يتمثل فيما أضيف إلى معناه من معان.

هذا إضافةً إلى استعماله استعمالاً مجازياً، وإلى تفنن الشعراء والأدباء في تضمينه إichاءات وظلالاً دلالية طريفة.

وثمة تغيرات سجلتها فيما قدمته من النماذج، أشير هنا فحسب إلى أن من التغير اللغوي استعماله كلمة كانت مهجورة، أو هجران كلمة كانت مستعملة، ومنه تغيرٌ في نظرة المجتمع إلى مدلول الكلمة والحكم عليه بالركي أو الانحطاط.

ونقدم الآن ملخصاً وافياً يكشف عما حدث للكلمات الثمانية التي أرَّخنا لاستعمالها في هذا البحث.

مظاهر التغير اللغوي في النماذج الثمانية

فالكلمة (قطار) تعني الآن مجموعة من مركبات السكة الحديدية تجرها آلة جر (قاطرة)، وكانت تعني في أقدم استعمال لها (في شعر الممزق العبدى ت 35 ق هـ) قطرات من مطر السماء، أو جماعة من الإبل أو غيرها من الدواب والحشرات (قطار من إبل) (قطار من نمل) ... إلخ.

وظل هذان المعنيان مستعملين حتى العصر الحديث؛ بيد أن الكلمة في رحلتها عبر هذا الزمن قد استعملت استعمالاً مجازية عديدة، ومن تلك الاستعمالات: قطار من النبيت (الأنباط) قطار من المحبوسين، قطار أبناء السبيل، قطار المتجهدين، قطار نقلة الحديث... ومنها قطار المنايا، وقطار النصر، وقطار الجود... إلخ.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وظهرت السكة الحديدية بمصر من عام 1852-1856 وظهرت معها كلمة (الوابور) و(القطار) و(قطار النار) واستقر الأمر في النهاية لكلمة (قطار)، وتبارى الشعراء والأدباء في الحديث عن هذه الآلة العصرية، واستعملوها على الحقيقة وعلى المجاز، ومن استعملها في المجاز: قطار السعادة، قطار الرحمة، قطار التنمية، قطار العمر... وقالوا أيضاً فاتة القطار، وفاتها قطار الزواج... الخ.

والكلمة (ذرة) تعني الآن مفهوماً علمياً حديثاً في مجال الفيزياء والكيمياء (أصغر جزء من عنصر ما يمكن أن يدخل في تفاعلات كيميائية).

وكانت تعني في أقدم استعمال لها النملة أو جزءاً صغيراً من مادة، جاء هذا في شعر لامرئ القيس (ت 80 ق هـ). واستعملها القرآن للدلالة على شئ بلغ الغاية في الصغر، وفي خفة الوزن، وقلة الرجحان.

واستمر استعمالها في معناها الحسي (النملة، الهبأة، وجزء صغير من مادة: ذرة ملح أو دقيق)، وفي معناها المجازي (الغاية في الصغر وفي خفة الوزن وقلة الرجحان) - حتى العصر الحديث.

وتسابق الشعراء - عبر تاريخها - في استعمالاتها المجازية، ومن ذلك: ذرة حب، ذرة حلم، ذرة متعة، ذرة جمال للنفس، ذرة ظلمة (في مقابل النور عند بعض الصوفية) ذرة عقل... إلخ وفي عصر ازدهار العلوم، عصر بني عباس ظهر مصطلح (ذرة) عند الفلاسفة المسلمين يعنون بها: الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ، وقد انتقل إليهم هذا المعنى من الفلاسفة اليونان. وقد ظهرت الكلمة بمفهومها العلمي الحديث في عام 1871م، فقد استعملها إلياس بقطر في معجمه ترجمة للكلمة atome، بيد أن المستشرق الفرنسي ماسينيون استعملها في محاضراته في جامعة القاهرة التي ألقاها 1912-1913، وتحدث عن مفهومها العلمي الحديث وعن مفهومها عند الفلاسفة المسلمين.

وتبارى الشعراء المحدثون في استعمال كلمة (ذرة) استعمالاً شعرياً فريداً. فالإنسان ذرة

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

في الكون، وهو مع ذلك مركزه، والإنسان ذرة تدور في فضاء الله، والذرة عوالم لها نظامها، والأرض ذرة بين النجوم، والشمس - لو ضوعت ألف مرة - ذرة في الأثير... إلخ.

والكلمة (سياسة) تعني الآن مفهوماً اجتماعياً حديثاً له عدة معانٍ عامة وخاصة تتصل بالسلوك ونظم الحكم والإدارة. وكانت تعني في أقدم استعمال لها: تربية الدواب وترويضها، والقيام على أمور الناس وحكمهم.

وبالمعنيين جاء استعمالها في الحديث النبوي الشريف، وننبيّن الاستعمالات الآتية في رحلة الكلمة من عصر بني أمية حتى العصر الحديث:

فالممدوح يسوس الناس سياسة العدل واللفظ والحكم والحلم والحزم والتدبير والترغيب والترهيب... وسياسة (الحاني الشفيق، والوالد للأبناء، والراعي الصالح... إلخ) وتشبّه سياسة الممدوح بسياسة الأنبياء والملوك المشهورين والخلفاء الراشدين، فهي تشبه سياسة موسى في قومه، وسياسة كسرى والإسكندر... بل سياسة المهدي (في شعر الشيعة)... إلخ.

بيد أن جانباً آخر طرقه الشعراء وهو الجانب السلبي فالساسة يسوسون الأمور بغير عقل، ومنهم من يفرط فيما أعطي من ملك ولا يحسن القيام به فينزِع عنه... إلخ ونجد الجانب الإيجابي للسياسة والسياسيين خافتاً، على حين نجد السلبي للسياسة صارخاً في الشعر الحديث: ساسة قلوبهم وَغَرَة، سياسة بغال تحكم الأسود، السياسة خدعة، سياسة التفريق، سياسة القهر، سياسة الحقد... إلخ.

وعند البحث في أصل كلمة سياسة كشفت لنا مصادرنا عن قصة طريفة، فالكلمة عربية صليّبة - ما في ذلك شك - من جذر عربي (س و س) بيد أنها في العصر المملوكي اختلطت بها كلمة تشبهها شكلاً وترادفها في المعنى على نحو من أنحائه.

فعندما ظهر جنكيز خان (ت 624 هـ - 1227م) واجتاحت جيوشه جزءاً كبيراً من بلاد المسلمين، قسم ممالكه بين أولاده الثلاثة، وأوصاهم بوصايا ألا يخرجوا عنها، فجعلوها قانوناً وسموها (ياسة) ثم غيروها فقالوا (سياسة) وقال المقرئ أن الكلمة مغولية أصلها (ياسة)

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

حرَّفها أهل مصر وزادوا بأولها سينا وقالوا سياسة.

وانتشرت الكلمة بمدلولها الذي حدده جنكيزخان في مجموعة قوانين لا علاقة لها بالشرعية الإسلامية، وبكل أسف حكم بها بعض حكام مصر وحجابها فكانت نكالا على الناس جميعاً. وكلمة (سياسة) مصطلح فقهي شهير، تعني السياسة الشرعية أي ما على الراعي والرعية من حقوق وواجبات وفقاً لما في القرآن والسنة، يستوي في ذلك مصالح العباد دنيوية وأخروية.

وهي أيضاً مصطلح فلسفي شاع بين فلاسفة العرب ومتكلميهم حين عرفوا فلسفة أرسطو وفلسفة أفلاطون وهي تعني في مجملها: تدبير الرجل نفسه، وتدبير الخاصة أو المنزل، وتدبير العامة وهو سياسة المدينة والأمة والملك.

والكلمة (زَنَار) ما يلبسه الذمي يشده على وسطه كلمة يونانية الأصل زوناريون، انتقلت إلى الآرامية (زونرا) أو (زنرا) ومنها انتقلت إلى العربية (زنار) وكانت تطلق على قطعة من الملابس يرتديها الكهنة قبل الإسلام وانتقلت الكلمة إلى القبطية، وعدّها الأقباط من ملابس الكهنوت.

وأقدم استعمال للكلمة ورد في شعر عدي بن زيد العبادي (ت 35 ق هـ) يصف فتاة تعقد على خصرها زناراً.

واستعملت في عصور اللغة العربية حتى نهاية العصر العثماني بهذا المعنى ما تلبسه الفتيات أو الغلمان يشددن به خصورهن النحيلة - إضافةً إلى الإرشاد إلى الرهبان، والرمز به لمن يدين بالنصرانية، وإذا كان لبس الزنار رمزاً لمن يتدين بالنصرانية فإن قطعه رمز للخروج منها.

وللزنار تاريخ طويل، فقد عرفه الأقباط ربما قبل القرن الثامن الميلادي - وعده العرب منذ الفتح الإسلامي أداة للتمييز بين المسلمين وأهل الذمة منذ عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فقد ورد في عهده أن يجعلوا في أوساطهم الزنارات.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

واستمر استعماله لهذا الغرض في عهد بني العباس، بيد أن الحكام ما كانوا يتشددون في وجوبه إلا في أوقات الحروب والفتن. وكان آخر العهد به ما حدث من وقائع فتنة في نهاية القرن الثامن عشر، وبعدها اختفت الكلمة من المصادر التاريخية التي رجعنا إليها، ومن ثم لم نجدها لا في شعر ولا في نثر منذ بداية العصر الحديث حتى اليوم.

والكلمة (الترجمان) سامية الأصل، عرفت في العبرية والآرامية والحشية، وأخذتها العربية من الآرامية.

وقد وردت جمعاً في شعر للأسود بن يعفر (ت 22 ق هـ) وانتشر استعمالها منذ عرفت في العربية حتى اليوم.

وتنوعت أشكالها اسماً وفعلاً ووصفاً، وتنوع معناها أيضاً، وأصبحت الترجمة - بمرور الأزمان - تعني: التفسير، وسيرة الشخص وأخلاقه ونسبه... وعنوان الفصل أو الباب من أبواب وفصول... الخ.

وفي الشعر كثير من هذه المعاني، فالناس تختلف لغاتهم ولا يفسرها إلا الترجمة، والذكريُّ ترجمان، والجود ترجمان، وترجمان الأشواق، وحال العاشق ترجمان، والعدل ترجمان، والشعر ترجمان... الخ.

وكانت وظيفة الترجمان معروفة عند العرب في العصر الجاهلي، وكان بعض العبادين يعملون بالترجمة في بلاط الفرس، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك ويقرأ على النبي كتبهم.

وأدى الترجمة من العرب وغيرهم دوراً عظيماً في زمن الفتوح، والحروب، وعقد الصلح والمعاهدات، بل كان لهم دور في الحياة الاقتصادية في البيع والشراء لا يقل أهمية عن دورهم في الحياة السياسيّة.

وبالترجمة عرف العرب علوم اليونان والفرس والهند، ولم يكن النقلة أو الترجمة مجرد ناقلين للعلوم فحسب، بل كان منهم علماء في المنطق والفلسفة والطب والفيزياء... وقد قامت

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحْرَم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

نهضة مصر في العصر الحديث على ترجمة العلوم الحديثة، وكان لرفاعة الطهطاوي وتلاميذ مدرسته أوفى نصيب فيها.

وكلمة (الوزير) كلمة عربية أصيلة جذورها (وزر) وكانت تعني في أقدم استعمال لها الجبل والملجأ والمعتمَص، ثم استعملت لمن يُعين الملك أو الزعيم على أمره.

وقد استعملها العرب في الجاهلية بهذين المعنيين، وجاء الإسلام فاستعملها على النحو نفسه، ومما ورد في الشعر قول العباس بن مرداس (ت 18 هـ) إنه وزير للنبي وتابع له، وحسان (ت 54 هـ) يقول: جبريل وزير للنبي، وحمزة أيضاً وزير له، وكعب بن مالك يقول: النبي وزير، وغسان (يعني الأنصار) وزير.

وكان للوزير في عهد بني العباس شأن عظيم ونفوذ واسع وبلغت الوزارة في عهدهم أبهى عصورها.

وتسابق الشعراء في مديح الوزراء فيحيى بن خالد البرمكي نال رتبة الوزارة، ولو كان ثمة رتبة فوقها لنالها، والبحثري يمدح عبيد الله بن خاقان بالكفاية والحزم والجلد، وأبو تمام يمدح الوزير الزيات بأنه وزير حق ووالي شرطة ورحى ديوان ومحتسب... إلخ.

وكما تسابق الشعراء في مديح الوزراء تسابقوا أيضاً في هجائهم فأحد الشعراء يقول عن أحمد بن عمار إنه كان طحاناً على بغلة بغير دكان ولا دار... والشاعر يوسف بن محمد يتهم الفضل بن الربيع بالفساد الخلفي وبالغش... إلخ.

وعلى أية حال كانت تتبلور في أشعارهم صفات الوزير إيجاباً وسلباً، وفي قصائدهم تاريخ لهذا العهد في مختلف نواحيه. وفي العصور المتتالية لعصر بني العباس لم يختلف الشعراء عما ورثوه من المدح إذا أعطوا ومن الهجاء إذا منعوا.

أما تاريخ الكلمة فطويل طريف متقلب تقلب هذه الوظيفة وموقعها من نظم الحكم التي عرفها العرب والمسلمون.

وقد كان لبعض رؤساء القبائل الكبرى مكانة في بلاط الفرس، وكانوا يُشَبَّهون بالوزراء،

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ومن الوظائف التي عرفت بين ملك الحيرة وظيفة (الرِّدَافَة) والردف هو الذي يجلس على يمين الملك... وإذا غزا قعد في موضعه، وهو خليفته على الناس حتى يعود. وقال المؤرخون إن أرداف الملوك في الجاهلية بمنزلة الوزراء في الإسلام.

وكان الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يُسمُّون أبا بكر وزيره، لأنه كان يستشيرهم في أمور الناس ويُعينه في مهماته العامة والخاصة.

والقرآن يتحدث عن دعاء موسى ربّه أن يجعل هارون أخاه وزيراً له يشد أزره ويشاركه في تدبير الأمور.

ونتبين مفهوم الوزير واضحاً في ذلك الزمان حين اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وتكلموا في الإمارة فقال أبو بكر... نحن الأمراء وأنتم الوزراء. وفسر أبو بكر مهمة الوزراء بقوله: "لا تُفْتَنُون بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور". فالإمارة إذاً حكم وتصرف وتدبير وقيادة، والوزارة رأي ومشورة ومعاونة.

وفي عهد بني أمية استعان خلفاؤهم بوزراء يستشيرونهم ويستعينون بهم في أمور القبائل والعشائر.

والوزارة لم تتمهد قواعدها إلا في عهد بني العباس... فقد صار لها قوانين وتقاليد أخذوها من الفرس، وعظمت مرتبة الوزير وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد... وصار اسم الوزير جامعاً لخطتي السيف والقلم وسائر معاني المؤازرة والمعاونة، ولما جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان... وصار الأمر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة هبط شأن الوزراء، وأصبح الوزير وليس له إلا ما يتصل بأمر الخليفة.

وفي خلافة بني أمية بالأندلس استعمل الناس لفظ (الحاجب) وربما أطلقوه على من يقوم مقام الخليفة في الأمر، وقسموا خطة الوزارة أقساماً، جعلوا وزيراً لحسبان المال ووزيراً للترسيل، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً... إلخ.

وفي عصر المماليك ابتدل أمر الوزارة وصارت مرووسة ناقصة، وصار صاحب الأحكام

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحْرَمُ/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والنظر في الجند يحكم فيما يحكم في السلطان ويسمى عندهم بالنائب، واختص الوزير بالنظر في الجباية.

وكان للخليفة في هذا العصر دور تشريفي لا غير، فالأمر كله بيد السلطان ثم من ينييه عنه، ثم الوزير.

وعادت للوزارة مكانتها في العصر العثماني، وتشير كلمة الوزير عندهم إلى أعلى موظف فيها رتبة، وله الكفاءة الإدارية والعسكرية وقد يتعدد الوزراء، ومن ثم يلقب كبيرهم بالصدر الأعظم. ويرادف كلمة (الوزير) في بعض عهودهم بمصر وغيرها من بلاد دولتهم كلمة (الناظر) وكان الوالي الذي تبعث به الدولة إلى أقاليمها يسمى وزيراً. وكان محمد علي في بداية حكمه يسمى وزيراً أو وزيراً أعظم وحين استقر الوضع لمحمد علي في مصر أصدر عديداً من القوانين تحدد وظائف الدولة واختصاص كل مصلحة من مصالحها.

وفي عهد الخديوي إسماعيل صدر أمر عال بتأسيس هيئة النظارات (الوزارة) برئاسة نوبارباشا الذي أطلق عليه ناظر النظر وحددت أسماء النظارات، بناظر الخارجية، وناظر الحقانية، وناظر الأوقاف، وناظر الجهادية... الخ.

وظلت كلمة (الناظر) و(النظارة) مستعملتين حتى عام 1914 حين صدر أمر السلطان حسين كامل بتعيين مجلس للوزراء يتألف من عدد منهم: وزير الخارجية ووزير الأوقاف... الخ.

ومنذ هذا التاريخ اختفت (النظارة) و(الناظر) لتحل محلها (الوزارة) و(الوزير).

وكلمة (الحاجب) كانت تعني في أقدم استعمال لها: العظم الذي فوق العين وشعره، ومن كل شيء جانبه، ومن الشمس قرننها، والمانع الحائل، وعَلَمًا على زعيم قبلي يدعى حاجب بن زرارة، وعلى من يتولى حجابة البيت.

وأقدم استعمال لها بمعنى المانع في شعر للمهلل بن ربيعة (ت 94 ق هـ) وبمعنى حاجب الإنسان في شعر لعنترة (ت 22 ق) يشبه حاجب حبيته بالنون. واستعملت عَلَمًا في

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

شعر لعامر بن الطفيل (ت 11 هـ).

وكان للحاجب في عهد بني العباس مكانة عالية لقربه من الخليفة والوزراء وقيامه بتنظيم الدخول عليهم، وتسابق الشعراء الذين حال الحاجب بينهم وبين ممدوحهم في هجائه أقذع الهجاء..

ومضى الشعراء في عصور الشعر التالية فيما تناوله شعراء بني العباس باستعمال (الحاجب) بمعانيه الحقيقية والمجازية حتى العصر الحديث.

وتاريخ (الحجابه) تاريخ طويل طريف، وكان لها شأن كبير عند ملوك الغساسنة الذين تطبعوا بطباع الفرس وأخذوا عنهم أبهة الحكم فاصطنعوا الحاجب ليحببهم عن الناس.

وكانت قریش تقوم بخدمة الحجيح في مطعمهم ومشربهم وإقامتهم، وعقد قُصي لعبد الدار الحجابه واللواء والندوة والسقاية والرفادة. والحجابه: هي سدانة الكعبة وتولي حفظها والإمساك بمفاتيحها.

ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم حاجب يحجب الناس عنه، وكان يوجب على من يرغب في لقائه أن يستأذن.

ووظيفة الحاجب قديمة الوضع كانت لابتداء الخلافة، فكان لكل خليفة من الراشدين حاجب يبلغه الأخبار عن الرعية، ويأخذ لهم الإذن منه.

ولما انقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه... بُدئ بالباب وسدّه دون الجمهور بما كانوا يخشونه على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم... وما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم عن المهمات، فاتخذوا من يقوم بذلك وسموه (الحاجب).

وكان للحجابه شأن عظيم عند بني العباس، واحتجب الخلفاء والوزراء والأمراء بل وسراة الناس ووظفوا حجاباً يقومون على أبوابهم.

وبلغت وظيفة الحاجب غاية رفعتها عند بني أمية في الأندلس ومعناها عندهم: الاستقلال

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بالدولة بين السلطان وأهل دولته، وكان للمنصور بن عامر الحاجب مكانة تعدل مكانة الخليفة، بل إنه محا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام المؤيد الذي تولى 366 هـ من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء له على المنابر وكتب اسمه على السكة.

وفي عصر المماليك كان الحاجب حاكماً من أهل الشوكة من الترك ينفذ الأحكام بين الناس في المدينة، وهم متعددون، وهذه الوظيفة تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة على الإطلاق، وللحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع إليهم، وإجبار من أبى الانقياد للحكم.

وفي العصر العثماني أصبح دور الحاجب القيام على باب الحكم أو سراة الناس، ويعلن حضورهم ويوسع الطريق لمحافلهم.

وفي العصر الحديث انحدر حال الحاجب إلى أدنى الدرجات الوظيفية حيث يقوم بالوقوف على أبواب كبار الموظفين أو بتنظيم دخول المتقاضين إلى قاعة المحكمة وخروجهم أو المناداة على أطراف النزاع والشهود... الخ.

والكلمة (حكومة) كلمة عربية كانت تعني الحكم أو القضاء في خصومة، وردَّ الرجل عن الظلم، وقد تطور معناها بتطور نظم الحكم والإدارة في المجتمعات العربية، فهي تعني الآن: النظام السياسي الذي يختاره شعب ما لتنظيم شئونه، ويقوم على جهاز يحتكر مشروعات استخدام السلطة في صياغة القرارات وتنفيذها، ويعني كذلك جماعة من رجال الدولة يختارهم (رئيس الدولة أو رئيس الوزراء) ليكونوا مسئولين عن سياسة الدولة وإدارتها. وأقدم استعمال لها ورد بمعنى الحكم في شعر لعوف بن الأحوص (حضر يوم جيلة 70 ق هـ).

وقد تناول الشعراء الكلمة بمعانيها السابقة في مختلف عصور اللغة العربية، حتى العصر الحديث، وفي العصر الحديث تحدث الشعراء عن الحكومة بمعنى النظام السياسي وبمعنى جماعة الحكم.

وعرف العرب في الجاهلية نظاماً من نظم الحكم، فعرفوا النظام الملكي في اليمن وتلقب

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بالمملك بعض ملوك الحيرة وغسان. أما سكان القرى والمدن في الحجاز فعرفوا نظاماً قُبلياً رئاسياً.

وترد كلمة (حكومة) كثيراً بمعنى الحكم في الخصومات في الحديث النبوي الشريف، وجاءت كذلك في قضية التحكيم التي جرت بين علي ومعاوية.

ولعل أول تطور لها حدث مع دخول الحملة الفرنسية وتردد عبارة (الحكومة الفرنسية) في المنشورات التي كانت تنشرها الحملة على المصريين.

وعندما استقل محمد علي بحكم مصر واستقرت أحوال البلاد بدأت كلمة (الحكومة) بمعناها الحديث كنظام للحكم أو كجماعة تحكم تتردد في قوانينه، عند إنشاء المجلس العالي 1824، وفي قانون السياسة التي صدر 1837 وفي غير ذلك من القوانين. وكانت ترادفها في المغرب كلمة (المخزن).

وبانتشار الصحافة، وما كتبه الطهطاوي وعلي مبارك وحسن المرصفي عن نظم الحكم في الغرب وعند المسلمين بدأت تتحدد المعاني الحديثة لكلمة (الحكومة) وأصبحت تكافي المصطلح الإنجليزي (government).

وللكلمة معنى اصطلاحى فقهي، فيطلقه الفقهاء على أرش الجراحات، وفي البيوع أيضاً على الواجب الذي يقدر في أمر ليس فيه مقدار معين من المال.

صناعة المعجم آلياً

المعجم المعاصر منظومة معقدة يتعذر فهمها وحصر ظواهرها ومتطلباتها في ظل القيود التي تفرضها الوسائل اليدوية التقليدية.

ولم تعد ميكنة المعجم باستخدام الحاسوب من قبيل الرفاهية الفنية، بل أصبح مطلباً ضرورياً تفرضه طبيعة العمل المعجمي المعاصر في مضمونه وتنظيمه، وفيما يقدمه من خدمات لمستهمليه.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحْرَم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وهذا هو الدكتور نبيل علي أحد علماء الحاسوب الكبار يقول في كتابه (اللغة العربية والحاسوب)... هدفنا هو إبراز حتمية ميكنة المعجم العربي وتحديد منطلقات تحديثه وتطويره (ص 460).

وبيين أن من أهم مراحل ميكنة المعجم وضع قاعدة بيانات أو نصوص، يُقصد بها تخزين عينات مختارة من النصوص اللغوية يجري تجميعها من مصادر مختلفة، وتُختار هذه العينات وفقاً للمبادئ الإحصائية السليمة، لتُجَيء ممثلة للكُم الهائل من النصوص المستخدمة في لغة ما... وتعد قاعدة عينات النصوص حالياً أحد المقومات الرئيسية لمؤازرة العمل المعجمي وترشيده، وهي الوسيلة العملية لتلاشي انعزال المعجم عن الجماعة اللغوية (ص 514).

ويلاحظ الدكتور نبيل ملاحظة أشرت إليها غير مرة في بحثنا هذا وهي أن ظاهرة تطور المعاني في المعجم العربي لم تحظ بما تستحقه من دراسات تحليلية وإحصائية، وهي بلا شك مسألة يصعب التصدي لها دون اللجوء إلى إمكانات الحاسوب الذي يستخدم لتخزين وتحليل الكُم الهائل من النصوص اللازمة لتحقيق هذه المهمة (ص 492).

ويقول هارتمان في الموقف المعجمي في أوروبا بخاصة: مضى وقت طويل على استعمال المعجميين للحاسبات الآلية في تجميع البيانات (المدونات) الحاسوبية النصية text corpora والتحرير (معالجة الكلمات) word processing والنشر (تنضيد الحروف الطباعية) typesetting (المعاجم عبر الثقافات ص 178). ويشير إلى ما أنجزته تقنيات الحاسوب بقوله: تحقق أهم أثر بثورة الحاسب الآلي في مجال لسانيات المدونات الحاسوبية corpus linguistics، فمن الممكن الآن (2000م) جمع كميات هائلة مهيكلة من البيانات النصية textual data، والإفادة منها إفادة طيبة في وصف اللغة وضروبها المتعددة، وبذلك حدثت ثورة حقيقية في هذا الحقل، وظهرت قواعد بيانات خاصة باللغة الإنجليزية، كما تطور استعمال المادة المعجمية في شكلها الإلكتروني (وهو ما يعرف بالمعاجم المعالجة آلياً) في الترجمة الآلية، والذكاء الصناعي، وغيرها من مبادرات معالجة اللغة الطبيعية عن طريق

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الحاسب الآلي (السابق ص 178).

ويعد معجم كولينز كوبيلد Collins Cobuild English Language Dictionary أهم وأكمل محاولة لوضع معجم لغوي إنجليزي قائم على مدونة مجموعة ومعالجة آلياً.

نجح كوبيلد - بعد تجربته المعجمية الأولى 1987 - في صنع مدونة جديدة (2000م) قائمة على مجموعة من النصوص الإنجليزية التي يمكن أن يطلق عليها (مدونة) أو (بنك) اللغة الإنكليزية. وأدخلت نصوص هذه المدونة إلى الحاسوب بطريقة تنتج الرجوع إليها والاستفادة منها. وكانت النصوص ممثلة حقاً للغة الإنجليزية منطوقة ومكتوبة، دارجة ورسمية، بريطانية وأمريكية.

وبلغت كلمات هذه المدونة ما يزيد على مئتي مليون كلمة، وكان جمع المادة المنطوقة يمثل أكبر العقبات، والسبب في ذلك أن المحادثات المسجلة والتي تعبر عن واقع الحياة اليومية كانت تبدو في كثير من الأحوال عفوية وغير منضبطة. ومع ذلك فإن عقبات الجمع قد أمكن تجاوزها، وأصبحت مادة اللغة الإنجليزية أو مدونتها متوفرة تحت سيطرة صانعي المعجم لتظهر المشكلة الكبرى في طبيعة المهام التحليلية التي يحاول كوبيلد القيام بها باختيارات سليمة ومتوازنة.

وقد نجح (كوبيلد) في تحليل مادة المدونة ومعالجتها وفقاً لمتطلبات الصناعة المعجمية وأغراض مستعملي المعجم. (راجع مقدمة سنكير للمعجم من viii إلى xxx).

فماذا عن الموقف في العالم العربي؟

كتب الدكتور أحمد الضبيب بحثاً عن (النشر الإلكتروني للنصوص العربية) يهدف إلى استكشاف المدونات الإلكترونية المتاحة في الساحة الآن (2006م) ومدى إمكان الاستفادة منها في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية. وقد حصر الدكتور الضبيب ما توفر له منها في مجموعتين، مجموعة أصدرتها مؤسسات رسمية أو غير ربحية، مثل: الموسوعة الشعرية للمجمع الثقافي في (أبو ظبي) وموقع الوراق... الخ، ومجموعة أخرى أصدرتها مؤسسات

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

تجارية، مثل مدونة اللغة العربية (علم) التي تعدها شركة ATA.

وقد عرضتُ البحث، وعلقت عليه في كتاب لي بعنوان (المعجم التاريخي: وثائق ونماذج) تعليقاً مختصراً يعرف بالمدونة، وأهميتها في الصناعة المعجمية، وعرفتُ كذلك ببعض المدونات التي أنجزتها بعض الهيئات والمراكز العلمية الأجنبية أو أنجزها بعض الباحثين لنيل درجة علمية من الجامعات البريطانية، تنميماً للفائدة المرجوة من بحث الدكتور الضبيب.

وقد استعنت - في أثناء إعدادي للنماذج الثمانية التي قدمتها في الكتاب المذكور - بنوعين من الإصدارات المتوفرة والمعالجة إلكترونياً.

الأول: تم إدخاله إلى قاعدة بيانات تخدم على برنامج تصفح يوفر مطالب متعددة للبحث في هذه القاعدة، وفق رغبة المتصفح، كالبحث باسم شاعر أو مؤلف أو علم... الخ أو بالبحث بكلمة أو جملة أو عبارة، أو البحث بالجذر في المعاجم.

ويفيد هذا البرنامج في تحديد نطاق البحث في نوع معين من الكتب كالتراجم والتفسير، وكتب الأدب والسيرة... الخ.

ويُمكن الباحث من الحصول على نسخة من النص المطلوب، وعلى ترجمة موجزة للمؤلف أو لمؤلفه، وقد يشير إلى الصفحة التي ورد فيها النص، وقد اقتصرت من هذا النوع على: المكتبة الشاملة: الإصدار الثالث، والموسوعة الشعرية: الإصدار الثالث.

الثاني: كتب تراثية: لغوية وشرعية وتاريخية وجغرافية... إلخ نسخت من مصادرها بالشكل غالباً وبغيره أحياناً، وهذا النوع منشور على الشبكة ويمكن تحميله بسهولة وبسرعة ثم فكه ببرنامج الضغط وقراءته أو نسخه، وقد رجعت أحياناً إلى موقعين منه: مكتبة المشكاة، وموقع الوراق.

وهذه الأعمال ليست إلا برامج تصفح لكتب أو مصنقات علمية أو أدبية مع إمكانات للبحث، لكنها لا تُعد مدونات بالمعنى الذي أشرنا إليه غير مرة في كتابي المذكور، لأن المدونة هي قاعدة بيانات ذات سعة تخزينية هائلة تشتمل على ملايين من الكلمات، جرى

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

إدخالها وتحليلها بعدد من برامج التحليل اللغوي، كبرامج تحليل الصوت، والكتابة الصوتية، والتقسيم المقطعي والتجذير والتكويد... إلخ والغرض من المدونة - كما أشرنا - دراسة اللغة من عدة نواح كالنواحي الصوتية والشكلية والدلالية في اللغة، كما تقدم معلومات إحصائية أو غير ذلك من المعلومات. وفي الجانب التطبيقي تستخدم في إنتاج معاجم أو مكانز، وفي الترجمة الآلية وتعليم اللغات.

خلاصة القول: المدونة نصوص محللة آلياً، أما الإصدارات السابقة فهي نصوص مقروءة آلياً.

وكيف استفدت من هذه الإصدارات، وأخص هنا - أساساً - الموسوعة الشعرية؟
كان البحث فيها بالكلمة المختارة (قطار) مثلاً للاطلاع على ورودها في أشعار الموسوعة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وعلى نسبة الأشعار إلى أصحابها، وعلى تاريخ وفياتهم.

- زودتني الموسوعة بعشرات بل مئات من الأبيات المنسوبة إلى شعرائها.
- وبعد دراسة هذا الكم الكبير من الأبيات اخترت من بينها ما يصلح أن يكون شاهداً على استعمال محدد في الشكل أو في المعنى وفقاً لخطة البحث. وأهملت ما عدا ذلك من شواهد تماثله في الصفات المطلوبة.
- رجعت إلى المصادر الورقية المتوقعة للشاهد من دواوين الشعراء أو من المجموعات الشعرية ومن كتب الطبقات. وتوثقت من صحة النص، وصحت ما أخطأت الموسوعة في روايته أو نسبته وقد اعتمدت في المراجعة على أصح المصادر وأدقها. ومن ثم سجلت المعلومات الخاصة بالتوثيق عقب الشاهد (الجزء والصفحة) وفي آخر البحث الخاص بالنموذج وضعت فهرساً للمصادر التي رجعت إليها لتوثيق النص وما يتعلق به.
- ومن المآخذ العامة التي أخذتها على الموسوعة الشعرية بأنها لا تعتمد - غالباً - على مصادر محققة تحقياً علمياً، ومن ثم قد نجد الشاهد في مصدره المتوقع (ديوانه) مثلاً

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وربما لا نجد له لاختلاف النسخ، وقد تختلف صورة الشاهد أيضاً من مصدر إلى مصدر، وفي حالة إشارة الموقع إلى رقم صفحة الشاهد في المصدر قد لا نجد له يوافق الترقيم في النسخة الورقية. وفي كل الأحوال اعتمدت المصدر الورقي المحقق تحقيقاً علمياً.

وثمة ملاحظات أخرى ظهرت في أثناء البحث ومنها:

- تكرار بعض الأبيات.
 - قد تنسب بعض الأبيات لغير شاعر واحد، وربما كان ذلك من عيوب المصادر نفسها.
 - تأتي الأبيات معزولة عن سياقها من قصيدتها، معراة عن الغرض الذي قيلت فيه. وقد كان من الضروري أن أوضح باختصار ما يُعين على وضوح معنى الشاهد ببيان غرض القصيدة، وقد أذكر البيت الذي يسبقه أو يلحقه متى كان ذلك ضرورياً، وكنت أحياناً أفسر ما ورد في البيت من غريب.
 - في أثناء البحث عن البيت من مصدره الموثق وفقاً لقايفته كنت أتصفح المصدر كله، وكنت أرجع إلى فهرسه اللغوية متى توفرت، وفي أغلب الأحوال كنت أجد قصوراً في تسجيل الشواهد التي وردت فيه الكلمة المختارة، وكنت أجد أبياتاً أخرى غير البيت الوارد في الموقع، وكنت أختار ما هو أفضل للاستشهاد.
- وهذه بضعة أمثلة من الأخطاء التي وقعت فيها، وسوف أتجاوز عن التمثيل من أخطاء الضبط، ومع ذلك فإن الأخطاء الطباعية كثيرة جداً ومن أمثلتها:

قال كعب بن مالك:

وغسانُ الحُمّةِ موازره على الأعداء وهو لهم وزير

وصحته كما في الديوان: وغسانُ الحماة موازروه

ومن أخطاء النسبة: قال قيس بن الخطيم:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا منها حاجب وضنت بحاجب

والبيت في ديوانه ص 35، ونسبته الموسوعة أيضاً إلى مجنون ليلى ولم أجده في ديوانه.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وقال البحتري:

ياحاجب الوزراء إنك عندهم سعد ولكن أنت سعد الذابح

والبيت في ديوانه ص 462، وقد نسبته الموسوعة إلى ابن بسام.

ومن الأخطاء الشائعة الناتجة عن الاشتراك في الحروف مع اختلاف الشكل والدلالة: الخلط بين (ذَرَّة) وهي من (ذُر) و(ذُرَّة) وهي من (ذرو).

وقد وردت عدة أبيات تتضمن الكلمة (ذُرَّة) بين الأبيات الخاصة بكلمة (ذَرَّة) ومن ذلك: قال أسامة الشيزري (من شعراء الدولة الأيوبية):

رُمَان مصر كأنه ذُرَّة أكله شاخص من الغُصص

الخلط بين الكلمة (وزير) والعبارة (و + زير)

وقد وردت مع الكلمة (وزير) ما لا يقل عن عشرين بيتاً تتضمن العبارة (و + زير) وهي مؤلفة من واو العطف والكلمة (زير) التي ترد بمعنيين على النحو الآتي:

قال أبو نواس:

وليس الشرب إلا بالملاهي وفي الحركات من بَمَّ وزير

وقال الصنوبري:

فما يُثني الشرابُ على أناس تعاطوها على مَثْنَى وزير

(من أوتار العود: البمُّ وهو أغلظها، والذي يليه المثلث على وزان مطلب ويليهِ المثنى على مثال مَعْنَى والرابع هو الزير وهو أدقها).

قال أبو العلاء المعري:

إذا هجرت زيرين: زير أوانس وزير غناء فهي راجية غفرا

وقال أيضاً:

مالك لا ترون طرق المعالي قد يزور الهيجاء وزير نساء

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وصحة الشطر الثاني: قد يزور الهيجاء زير نساء

(بغير الواو، والزير الذي يكثّر زيارة النساء ويحب مجالستهن ومحدثتهن).

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بحوث في المصطلحات

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

نحو مصطلح علمي عربي وجهة نظر

أ.د. ميخائيل معطي

أستاذ في كلية العلوم - جامعة دمشق

يعرّف علماء الاجتماع اللغة بأنها وسيلة للتخاطب والتفاهم البشري في المجتمع. وأن اللغة هي حاملة الميراث الأدبي والثقافي لهذا المجتمع. وهي تسهل الحياة الواحدة فيه، وتوفّر انتشار روحية واحدة تجمع آدابه وفنونه وعوامله النفسية وأهدافه ومثله العليا. واللغة ضرورية لتماسك الأمة.

لقد أدّى احتكاك الشعوب بعضها ببعض، عبر التاريخ الإنساني الطويل، إلى احتكاك حتمي للحضارات القائمة عن طريق لغاتها، وهذا الأمر أدّى بالنتيجة إلى دخول كلمات ومفردات من لغة إلى أخرى. ولا توجد لغة واحدة في العالم كله، استطاعت أن تحمي نفسها من غزو اللغات الأخرى التي احتكت بها. ولكن اللغة الحية لا تلبث أن تتمثل المفردات التي دخلت إليها، وأن تعمل على إخضاعها لقواعدها. وهذا ما حدث لمعظم اللغات في العالم كله. واللغة العربية في هذا السياق، أعطت اللغات الأخرى التي احتكت بها الكثير من مفرداتها، كما تلقت منها الكثير أيضا. وهذا أمر طبيعي معروف في مسيرة التاريخ البشري.

إن التطور العلمي الهائل في العصر الحديث، قد أدخل إلى عالم اللغة، وما يزال، مفردات ومصطلحات علمية لا حصر لها. ولقد ساعدت وسائل الاتصال الحديثة على نشر تلك المفردات والمصطلحات بسرعة البرق في أنحاء العالم كافة. وراح معظم المجامع والجامعات تعمل على نقل تلك المصطلحات إلى لغاتها، لتتيح لأبنائها مواكبة التطور العلمي الذي يتقدم

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

في سلم الرقي بسرعة مذهلة.

لقد بذلت مجامع اللغة العربية، والجامعات العربية، ومراكز التعريب، جهوداً كبيرة جداً في نقل المصطلحات العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية. وما تزال هذه المراكز العلمية جميعها تنشط حثيثاً في هذا المجال. إلا أن النتائج الحاصلة لا تبدو متناسبة مع الجهود المبذولة. ويعود السبب في كل ذلك، باعتقادنا، إلى أن القائمين على هذه المهمة الخطيرة، قد أغفلوا اعتماد قواعد ناظمة لنقل المصطلح العلمي العالمي إلى اللغة العربية، حيث لا جدوى من الجهود المبذولة، مهما كبر شأنها، دون اعتماد قواعد ناظمة لهذه الغاية. وفي كل مرة كان يعقد فيها مؤتمر عربي لتعريب المصطلحات العلمية العالمية، كان يخرج المؤتمرون في نهايته بتوصيات في منهجية التعريب والترجمة، دون تحديد لقواعد ناظمة في نقل المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية.

يعتمد في نقل المصطلح العلمي العالمي إلى اللغة العربية منحياً: الترجمة والتعريب. وترجمة المصطلح العلمي تعني إيجاد البديل المناسب لهذا المصطلح باللغة العربية. وأما تعريب المصطلح العلمي فيعني نقله كما هو من لغته الأصلية إلى اللغة العربية مع مراعاة حركة اللفظ بهذه اللغة. ولتحقيق هذه الغاية، لا بد من تحديد ما ينبغي ترجمته من المصطلحات العلمية، وما ينبغي تعريبه منها، وذلك لاعتماد نهج واحد في العمل من قبل العاملين العرب في هذا المجال.

ثمّة من يقول بترجمة ما يمكن ترجمته من المصطلحات العلمية، وتعريب ما ليس بالإمكان ترجمته. ومع أنه لا يوجد مصطلح علمي لا يمكن ترجمته بصيغة أو بأخرى إلى أية لغة من لغات العالم، فإن الأخذ بهذا النهج الشمولي يسبّب الفوضى في نقل المصطلح العلمي إلى اللغة العربية، ويترك المجال فسيحاً للاجتهادات الفردية المؤدية إلى تعدد المرادفات للمصطلح الواحد، فتتبلبل بذلك الألسن، وهذا ما قد يدفع بالبعض من العلميين العرب إلى العزوف عن العربية إلى اللغات الأجنبية.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ويتساءل البعض عن الخشية من تعريب بعض المصطلحات العلمية التي دخلت إلى لغات العالم كافة، إذا كان استخدامها يدعم تدريس العلوم باللغة العربية في الجامعات والمعاهد العلمية العربية، ويسهل من ثَم نقل العلوم والمكتشفات العلمية والتقنية (التكنولوجية) الحديثة في العالم إلى اللغة العربية، ليفيد منها العاملون العرب في حقول العلم الواسعة؟

اعتمد العرب قديماً التعريب في نقل المصطلح من اللغات الأجنبية إلى العربية، ocean مثلاً، كلمة تعني البحر الواسع بين القارات، ويعبر عنها "بالبحر المحيط"، واختُصرت حالياً إلى "المحيط"، فاختلط على القارئ مدلول هذه الكلمة بين البحر وبين محيط الدائرة أو محيط المربع، أو المستطيل...، في حين أن العرب قديماً قد عربّوها بكلمة "أقيانوس"، ومنها قارة أقيانوسيا المعروفة.

ويتتابع التساؤل : لماذا لا نفيده في هذا المجال بما يتبع حالياً في بلدان العالم كافة، فنترجم من المصطلحات العلمية ما يترجمه علماء هذه البلدان إلى لغاتهم، ونعرب ما ينقلونه إليها، على الرغم من تباين بعضها لفظاً وكتابة، أو ذات أصول لغوية متنوعة : يونانية، روسية، فارسية، لاتينية،...

ينبغي - لتوفير مصطلحات علمية عربية يفيد منها العلماء العرب في مواكبة المسيرة العلمية العالمية، لدعم تدريس العلوم باللغة العربية في الجامعات والمعاهد العلمية العربية، ونقل العلوم الحديثة التي يحتاجها العرب لمواكبة ركب الحضارة والتقدم العلمي، ينبغي اعتماد قواعد ناظمة لنقل المصطلح العلمي العالمي إلى اللغة العربية، تحدد فيها بدقة ما ينبغي ترجمته من المصطلحات العلمية وما ينبغي تعريبه.

نقترح، لنقل المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية، اعتماد القواعد التالية المطبقة في بلدان العالم كافة:

1. استخدام الأرقام العربية (وهي المستخدمة عالمياً وفي بعض البلدان العربية) بدلاً عن الأرقام الهندية غير المستخدمة حتى في الهند.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

2. استخدام الرموز العلمية العالمية مع كتابتها بلغتها الأصلية:

- الرياضياتية : (ألفا)؛ (بيتا)؛ (لانهاية)؛ (غاما)؛ (جيب)؛ (تجيب)؛ (مماس)
 $\alpha, \beta, \infty, \gamma, \sin, \cos, \tan$

- الكيميائية: هيدروجين H، أكسجين O، كلور Cl، نحاس Cu، صوديوم Na، حديد Fe

- الزمر الذرية: O, B, A

3. تعريب أسماء العلم: أسماء العناصر (أكسجين، هيدروجين..)، أسماء الفلزات (بيريت، ميكا، فلدسبات..)، أسماء الصخور (غرانيت، بيريدوتيت..)، ..

4. تعريب واحدات القياس بأنواعها كافة: المتر، اللتر، الغرام، الفولت، الأمبير.. (وهي مستعملة في البلدان العربية كافة).

5. تعريب المصطلحات العلمية ذات الأصل اليوناني، مثل:

Géologie Geology جيولوجيا ولا تستبدل بـ علم الأرض

Biologie Biology بيولوجيا ولا تستبدل بـ علم الحياة

Pétrographie Petrography بتروغرافيا ولا تستبدل بـ علم الصخور

هذه الكلمات وأمثالها ذات الأصل اليوناني، اتُفق على استخدامها كما هي في لغات العالم كافة، ولم تستبدل بها ترجماتها. مع العلم بأن ذلك يسير وسهل في هذه اللغات جميعها. وعليه، فليس ما يبرر العمل على ترجمتها إلى اللغة العربية.

6. تعريب المصطلحات العلمية المستخدمة عالمياً، مهما كانت اللغة المصدر، (رادار، فيروس، فيتامين، ..).

7. تعريب أسماء العلم في أي صيغة وردت، اسماً، صفة أو عبارة...

Georgetown - جورج تاون (مدينة) وليس مدينة جورج

Sao Paulo - سان باولو (مدينة) وليس القديس بولس

Iceland - آيسلندا، وليس أرض الجليد

Le Parisien - الباريزيان (اسم مجلة فرنسية)، وليس الباريسي

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

The Guardian – الغارديان (اسم صحيفة بريطانية)، وليس الحارس
8. كتابة الكلمات المعربة باللغة العربية حسب نطقها باللغة اللاتينية (فيروس وليس فايروس؛
هيدروجين وليس هايدروجين)

لقد اعتمدت بلدان عديدة في العالم قواعد محددة في نقل المصطلحات العلمية الحديثة إلى لغاتها: اليابان، الصين، روسيا، إيران، ألمانيا... على الرغم من تباين تلك اللغات في أصولها وفي حروفها... والباحثون العرب حريون باعتماد تلك القواعد للإفادة من نتائج تطبيقاتها في اللغة العربية.

يبدى البعض أحياناً خوفاً من إقرار قواعد متشددة في تعريب المصطلحات العلمية. ومع أنه لا مناص من تعريب بعض هذه المصطلحات العلمية، فليس هناك ما يدعو إلى الخشية على اللغة العربية من تعريبها، إنما علينا أن نميز في هذا المجال بين نوعين من المصطلحات العلمية : ما هو قابل للترجمة وما هو قابل للتعريب:

1. مصطلحات علمية قابلة للترجمة، وهي:

- مصطلحات علمية عامة، وهي مصطلحات تهم عامة الناس: الهاتف، المذراع.. وهي إحدى المهام الأساسية لمجامع اللغة العربية. ويعتمد تداول هذه المصطلحات بالدرجة الأولى على وسائل الإعلام بأشكالها كافة.
- مصطلحات علمية محلية، خاصة بكل لغة. وهي مصطلحات تهم العاملين في مجال العلم فقط، وهي إحدى المهام الأساسية للجامعات العربية بالدرجة الأولى.

2. مصطلحات علمية قابلة للتعريب: هي مصطلحات علمية عالمية، موحدة في لغات العالم كافة. وقد اعتمد علماء العالم في نقلها إلى لغاتهم مبدأ الأولوية في صدورها في اللغة الأصلية. فمصطلح "الجبر"، وهو المصطلح العربي الأصل، تمّ الأخذ به في لغات العالم كافة، لأنه كان المصطلح الأول في مجاله.

المصطلحات العلمية هي كلمات تعبر عن المدلولات التي توصل إليها إبداع العقل البشري

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الذي هو ملك للبشرية جمعاء. وليس في استخدام بعضها، معرباً لا مترجماً، عند الضرورة، وحسب القواعد المشار إليها، أيةُ خطورة على اللغة، أية لغة، لأنها وقف على ذوي الاختصاص دون سواهم، وهم قلة ضئيلة جداً نسبياً في المجتمع، أي مجتمع. وتظل هذه المصطلحات بالنسبة لسواهم، حتى للعلميين خارج الاختصاص منهم، مجرد طلاس، أكانت مترجمة أم معربة.

إن لغة المصطلحات العلمية الاختصاصية هي لغة العلماء في أنحاء العالم قاطبة، ولا يجوز أن ينفرد العلميون العرب بالعزوف عن استعمالها معربية، متذرعين بالحرص على اللغة العربية. فاللغة - أية لغة - لن تتأثر أبداً بمصطلحات علمية دخيلة، يقتصر استخدامها على ذوي الاختصاص من العلميين فقط. أما اللغة التي ينبغي الحرص على حمايتها ، فهي اللغة التي يجري التفاهم بواسطتها بين أفراد المجتمع قاطبة، والتي هي مستودع آداب المجتمع وفنونه وأهدافه ومثله العليا.

العلاقة بين علم المصطلح واللسانيات التقابلية والترجمة

أ. حفار عز الدين

جامعة عبد الحميد بن باديس

مستغانم - الجزائر

إن علم المصطلح لم يتخذ سمة العلمية إلا في أواخر القرن العشرين، فإلى وقت متأخر ظلت الترجمة هي التي تولد المصطلحات العلمية، حيث كان المترجمون للكتب العلمية يتخيرون مقابلات للمصطلحات العلمية الأجنبية، إما بتوليد المصطلحات، وإما باقتراضها وقد رسم هؤلاء المترجمون خطة ساروا عليها عند ترجمة المصطلحات، ويؤكد علي القاسمي حداثة هذا العلم بقوله: "إن علم المصطلح علم جديد النشأة، شهد القرن العشرون مولده، على الرغم من أن توليد المصطلحات ذاتها بدأ منذ أن شرع الإنسان باستعمال اللغة أداة تواصل".¹

وباستقلال هذا العلم عن الترجمة تبينت أسسه وقواعده ونظمه، وحددت مفهومه المنظمة العالمية للتقييس بأنه "دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتهي إلى ميادين مختصة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية"² ويوضح القاسمي تعريف علم المصطلح بقوله: "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها"،³ ويضيف عبد السلام أرخصيص على التعريفين قائلاً: علم المصطلح هو "الدراسة النسقية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من التجربة الإنسانية".⁴

¹ علي القاسمي، العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، ص 132.

² علي القاسمي، علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة، ص 85.

³ علي القاسمي، النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، ص 90.

⁴ عبد السلام أرخصيص، إشكالات تأسيس علم المصطلح في الثقافة العربية المعاصرة، ص 123.

وواضح مما سبق، أن علم المصطلح يحتاج إلى عدة علوم تتشابه فيما بينها لتحقيق نتائجه العلمية، ولعل قبل هذا نجد أن علم المصطلح ينقسم إلى قسمين قسم خاص بالمفاهيم، وأقرب العلوم التي تنتمي إلى هذا القسم نجد: "... علمي الوجود، والمنطق والعلوم المختصة، وتشكل الأساس في وضع المصطلحات".¹

فعلم الوجود أو ما يسمى بنظرية المفاهيم تعد من العلوم الملازمة لعلم المصطلح، لأن المفاهيم في الأصل أسبق من رسم المصطلحات، ولذا فالمفاهيم تعد قاعدة أساسية لوضع المصطلحات، وهو ما يسمى عند المناطقة بالقول الشارح، ومن هنا فـ "المصطلحات رموز للمفاهيم بحسب إدراكنا لها، الأمر الذي يعني أن المفاهيم قد وجدت وتشكلت قبل المصطلحات، فتسمية المفهوم يمكن أن تعد الخطوة الأولى في تماسكه مطلباً اجتماعياً (سوسيولوجي)، وكياناً قابلاً للاستعمال".² ولتوضيح المفهوم أكثر يقول الأخضر: هو "المعنى الذهني الذي يثيره اللفظ في الأذهان"³ فمصطلح أصول الفقه مثلاً يثير في ذهن مفهوم وهو استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

أما علم المنطق فيأتي في المرتبة الثانية، ولا يخفى أن علم المنطق هو الآلة التي تضبط المصطلح ومفهومه؛ أي "ما لا يقبل في ذهن الاشتراك، أو هو كل مفهوم ذهني ممتنع فرض صدقه على أكثر من فرد واحد بعينه"⁴ أي أن يعطي للمصطلح مفهوماً واحداً تجنباً للبس والغموض.

يعرف علم المنطق بأنه "قانون تعصم مراعاته ذهن من الخطأ في فكره، أو هو آلة قانونية تعصم مراعاتها ذهن من الخطأ في الفكر، أو هو علم يتكفل ببيان الطرق العامة

¹ علي القاسمي، العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، ص 133.

² ساجر، ج. نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، ترجمة جواد حسني سماعة، ص 188.

³ الأخضر الأخرى، مبادئ علم المنطق، ص 44.

⁴ المرجع نفسه، ص 45.

الصحيحة التي يتوصل بها الفكر إلى الحقائق المجهولة".¹

والحاصل من هذا التعريف، أن قواعد علم المنطق تجنب ذهن الوقوع في الخطأ أثناء التفكير ومن جهة ثانية تهدي ذهن إلى اكتشاف الحقائق العلمية فـ "يعلمك القواعد العامة للتفكير الصحيح حتى ينتقل ذهنك إلى الأفكار الصحيحة في جميع العلوم، فيعلمك على أية هيئة وترتيب فكري تنتقل من الصور الحاضرة في ذهنك إلى الأمور الغائبة عنك ولذا سموا هذا العلم الميزان والمعيار".²

فقواعد علم المنطق تُعلم المصطلحيّ كيف يعرف المصطلحات العلمية تعريفاً جامعاً مانعاً، أي تعريفاً صحيحاً بعيداً عن الخطأ والغموض واللبس، فقواعد علم المنطق تمحص المفاهيم الصحيحة في جميع العلوم من المفاهيم غير المنطقية.

أما العلوم المتخصصة فوجودها ضروري في وضع المصطلحات وتعريفاتها، فإذا رمنا مثلاً وضع مصطلحات في علم الكيمياء مثلاً، فنحن حريون بأن نسترفد بالعلماء المختصين في هذا المجال، لأنهم أدرى بالمفاهيم العلمية من غيرهم.

أما القسم الثاني فيتمثل في المصطلحات اللغوية، أي وضع المصطلحات وتوليدها، ولعل أقرب العلوم إلى هذا القسم نلفي "... علم المفردات، وعلم تطور دلالات الألفاظ، وهما من مجالات علم اللغة أو اللسانيات"³ ومن هذا الذي أسلفنا يتضح أن اللسانيات هي التي احتضنت القسم الثاني، لأن تلك العلوم تعد من فروعها.

فأول العلوم المختصة في المصطلحات اللغوية نجد علم المفردات أو المعجمية، وغاية هذا العلم تتمثل في "... دراسة الكلمات المفردة ومعرفة أصولها واشتقاقاتها ودلالاتها القديمة والحديثة، وكيفية استعمالها، والظواهر الدلالية المتصلة بها مثل: الترادف وتعدد معاني اللفظ

¹ المرجع نفسه، ص 13.

² المرجع نفسه، ص 13.

³ علي القاسمي، العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، ص 133.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والتضاد وغيرها وهو يعد بذلك أساساً للمشغل بعلم المعجمات".¹
يتبين مما سبق أن علم المفردات يمثل الجانب التطبيقي للمصطلحات العلمية، ومن هنا يبدو واضحاً أن المصطلحي في حاجة ماسة إلى علم المفردات حتى يقوم بعمله في وضع المصطلحات وتوليدها، أو أن يستعين بالمتخصصين في هذا العلم.

ويوضح القاسمي مهمة علم المفردات أكثر فيقول: "علم المفردات يشير إلى دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عدد من اللغات، ويهتم علم المفردات من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ، وأبنيتها، ودلالاتها المعنوية والإعرابية، والتعبير الاصطلاحية والمتراادات وتعدد المعاني".²

أما العلم الثاني وهو علم تطور دلالات الألفاظ، وهو جزء من علم كبير ألا وهو علم الدلالة، ومعلوم أنه فرع من فروع اللسانيات، يعرفه محمد علي الخولي بقوله: "فرع من علم اللغة يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، ويدرس تطور معاني الكلمات تاريخياً وتتوع المعاني والمجاز اللغوي، والعلاقات بين كلمات اللغة"³ والحاصل، أن علم الدلالة له فروع كثيرة يهتم بدراستها، ونجد في مقدمتها الكلمة ودلالاتها، أي أن يكشف الغطاء عن المعاني، ويعكف كذلك على تتبع التغيرات الدلالية التي تطرأ على الكلمات كالانتقال الدلالي، والتوسيع الدلالي والتخصيص الدلالي، والعلاقات الدلالية كالترادف، والإشراك والتضاد.

نستنتج أن علم الدلالة بهذا المفهوم يعد من أخصب العلوم التي تساعد علم المصطلح في توليد المصطلحات العلمية التي لا حدود لها، ومراعاة لهذا "... ارتفعت الأصوات مطالبة بدمج علم الدلالة في النظرية اللغوية، وهذا ما أعطى الصناعة المعجمية زخماً جديداً وقربها

¹ Sami A. Hanna and others, dictionary of motheren linguistics, english –arabic , P 81-82

² علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ط 2، 1411 هـ، 1991، ص 3.

³ الخولي محمد علي، معجم علم اللغة النظري، إنجليزي - عربي، مكتبة لبنان، 1982، ص 251.

من مركز النقل ...¹ والمقصود هنا بالصناعة المعجمية سواء كانت صناعة معاجم عامة، أم صناعة معاجم متخصصة وهو ما يعنينا في هذا المقام.

اللسانيات التقابلية وعلم المصطلح

ومن العلوم التي لها صلة وثيقة بعلم المصطلح اللسانيات التقابلية. وهي حقل من حقول اللسانيات التطبيقية، وتعرف بأنها "تقارن بين لغتين أو أكثر من طائفة لغوية واحدة أو طوائف لغوية مختلفة، بهدف تيسير المشكلات العلمية التي تنشأ عند التقاء هذه اللغات، كالترجمة، وتعليم اللغة الأجنبية".²

والحاصل مما سبق، أن اللسانيات التقابلية تقابل بين لغتين أو أكثر سواء كانت هذه اللغات قريبة التشابه، أم بعيدة، ومعلوم أن التقابل بين اللغات يكون بين المستويات اللسانية، كالمقابلة بين اللغة العربية وغيرها على المستوى الصوتي والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي".³

فالتقابل بين المستويات هو تقابل دقيق لأنه يجري خلاله حصر وإحصاء المتشابه بين اللغتين، والمختلف، ومن ثم فاللسانيات التقابلية "لا تقارن لغة بلغة، وإنما تقارن مستوى بمستوى للوصول إلى تحديد العناصر المتشابهة والعناصر المختلفة، لأن من الحقائق المقررة أن أوجهاً مشتركة تجمع اللغات جميعها. على أنه من الحقائق المقررة أيضاً أن اللغات تختلف فيما بينها من حيث البنية على المستويات اللغوية جميعاً، إذن الاختلاف موجود في الأصوات

¹ علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص 12.

² انظر الراجحي عبده، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، 1992، ص 45.

³ عز الدين حفار، اللسانيات التقابلية وتعريب المصطلح، مجلة التعريب، دمشق، عدد 39، المحرم 1431هـ - كانون الأول 2010، ص 106.

وفي الكلمة، وفي الجملة، وفي المعجم".¹

يبدأ عمل اللسانيات التقابلية، عند افتراض المصطلحات العلمية من اللغات الأجنبية ويظهر هذا العمل أكثر في المستوى الصوتي، فكثير من المصطلحات عندما دخلت اللغة العربية تبدلت بعض أصواتها، وتكيفت مع النطق العربي، ونلفي هذا جلياً في المصطلحات التي نقلها العلماء المسلمون القدماء عن اليونانيين وعن الفرس والهنود، حيث أدخلوا على المصطلحات المقترضة تغييرات صوتية إما بتبديل حرف مقابل حرف، أو بزيادة حرف، أو بحذف حرف أو أكثر، فـ "العرب منذ الجاهلية عمدوا إلى إدخال التبديل المناسب على جسم الكلمة المعربة، فزادوا من حروفها وأنقصوا، وبدلوا من حروفها، وتصرفوا بمعانيها بما يناسب احتياجهم إليها".²

فالأمر الذي يوحى بالمشكلات الصوتية بين اللغتين، هو المقابلة بين المستويين الصوتيين، وهذا دليل واضح على مدى أهمية اللسانيات التقابلية في إمداد المصطلحيّ بزادٍ علمي من شأنه أن يغني اللغة المترجم إليها بثروة مصطلحية.

تعمل اللسانيات التقابلية في مجال علم المصطلح على تحقيق أهدافٍ ظلَّ المصطلحيّ يدندن من أجلها، فتمثل هذه الأهداف في:³

- سهولة نطق المصطلحات المقترضة.
- إمكان الاشتقاق منها.
- ذبوع المصطلح بالصوت العربي بدلاً من الصوت الأجنبي.
- إغناء اللغة العربية بذخيرة من المصطلحات العلمية المعربة وفق قوانين اللغة العربية.

¹ انظر الراجحي عبده، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، 1992، ص 45، وعز الدين حفار، اللسانيات التقابلية وتعريب المصطلح، ص 106.

² التونجي محمد، المغرب والدخيل في اللغة العربية وآدابها، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط.1، 1426هـ-2005م، ص28.

³ انظر عز الدين حفار، اللسانيات التقابلية وتعريب المصطلح، ص 109-113.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ومما يجب الإشارة إليه، أن المقابلة بين اللغات ليست مقتصرة على العصر الحديث فحسب، بل نلفي العلماء المسلمين قد رسموا قوانين بعد المقابلة بين اللغة العربية واللغة الفارسية، فـ "لما كان نقل العلوم في ذلك العصر يتكئ على اللغة الفارسية، فقد وضعوا قواعد، ينقلون مصطلحاتهم وألفاظهم وفقها، وقابلوا بين حروف تلك اللغة وما يقابلها من حروف في اللغة العربية حتى يكون ما يدخلونه إلى اللغة العربية متسقا عندهم جميعاً..."¹.

الترجمة وعلم المصطلح

الترجمة ذات صلة وثيقة بعلم المصطلح، خصوصاً إذا كان المصطلح مأخوذاً من لغة أخرى وما أكثر المصطلحات العلمية التي نتلقاها في زمننا هذا من الغرب فالحسن الحصين للوقوف أمام انتشار المصطلح الأجنبي هو أن نبادر إلى ترجمة هذه المصطلحات الوافدة إلينا.

فالترجمة إذن "هي نقل الأفكار من لغة إلى أخرى مستنديين في ذلك إلى أن العلوم ومنها التطبيقية والتقانية (التكنولوجية) والمصطلحات... تحتاج وبضرورة قصوى إلى الترجمة..."².

ولعل أهمية الترجمة قديمة قدم الإنسان، وخير دليل على ذلك ما فعله أجدادنا لما انبروا لنقل علوم الأعاجم كالكيمياء والطب والمنطق والفلسفة... وهذا يؤكد : "... ما للترجمة من أهمية لا في عصرنا الحاضر فحسب بل في جميع العصور فلو ما عرف العرب قديماً أهمية الترجمة لما قاموا بنقل ما عند اليونان والفرس والهند من معارف كانوا بحاجة إليها".³

لما كانت ترجمة المصطلحات العلمية عملية جد معقدة، وضعت شروط ينبغي مراعاتها عند الترجمة حتى لا تجري العملية اعتباطاً ونجمل هذه الشروط فيما يلي:⁴

• أن يكون المترجم محيطاً باللغتين.

¹ الحياذرة مصطفى طاهر، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ج 1، ص 116.

² قمر كيلاني، الترجمة نقل أم إبداع، ص7.

³ أسعد مظفر الدين حكيم، علم الترجمة النظري، ص183.

⁴ انظر، سعيد خضراوي، الترجمة والمصطلح، ص58.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- مراعاة ظروف صياغة المصطلح الأصلي وسياقه.
- التحري بالدقة عند ترجمة المصطلح وتجنب الغموض واللبس.
- عدم ارتجال المصطلح.

ومما يجب تأكيده أن ترجمة المصطلحات العلمية لا تجري بمعزل عن المصطلحيين بل إنّ حضور المصطلحيّ أثناء الترجمة ضروري حتى نتفادى تعدد المصطلحات العربية مقابل المصطلح الأجنبي، فإن غاية ما يصبو إليه المصطلحيّ بعد وضع المصطلح هو توحيد المصطلحات.

وخلاصة القول، إن علم المصطلح ضعيف بمفرده، قوي بتشابكه مع العلوم ذات الصلة به، ولعل هذه العلاقة المتينة هي التي جعلت علم المصطلح يحقق نتائج علمية دقيقة ماكان ليتوصل إلى كنهها لولا هذا التلاحق بين العلوم.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المصادر والمراجع

- الأخضرى الأخضر، مبادئ علم المنطق، مطابع المستقبل، بيروت، ط 2، 1426 هـ - 2005.
- أسعد مظفر الدين حكيم، علم الترجمة النظري، دار طلاس، بيروت، لبنان، ط.1، 1989.
- التونجي محمد، المعرب والدخيل في اللغة العربية وآدابها، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 1426 هـ - 2005 م.
- الحيايرة مصطفى طاهر، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ج 1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 1424 هـ / 2003 م.
- الخولي محمد علي، معجم علم اللغة النظري، إنجليزي - عربي، مكتبة لبنان، 1982.
- الراجحي عبده، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، 1992.
- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ط2، 1411 هـ، 1991.

الدوريات

- ساجر، ج. نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، ترجمة جواد حسني سماعة، مجلة اللسان العربي، ع 47، 1999.
- سعيد خضراوي، الترجمة والمصطلح، مجلة المترجم، جامعة وهران، ع 2، جويلية-سبتمبر 2001.
- عبد السلام أرخصيص، إشكالات تأسيس علم المصطلح في الثقافة العربية المعاصرة، مجلة اللسان العربي، ع 46، 1998.
- عز الدين حفار، اللسانيات التقابلية وتعريب المصطلح، مجلة التعريب، دمشق، ع 39، المحرم 1431 هـ - كانون الأول 2010.
- علي القاسمي، النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، مجلة اللسان العربي، ع 18، 1980.
- علي القاسمي، علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة، مجلة اللسان العربي، ع 3، 1988.
- علي القاسمي، العلاقة بين علم المصطلح ونظرية الترجمة، ندوة الترجمة والتلاقح الثقافي، أبحاث وأعلام 6، المغرب.
- قمر كيلاني، الترجمة نقل أم إبداع، مجلة الآداب الأجنبية، ع 87، 1996.
- Sami A. Hanna and others, dictionary of mothorn linguistics, english-arabic, librerie du liban publishers, Beirut, lebanon, 1997.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بحوث في التعليم العالي

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

برامج التنمية الذهنية للشباب الباحثين في ضوء مفهوم التنمية المستدامة

أ.د. مصطفى عبد السميع محمد - مصر

أ.د. طلعت عبد الحميد - مصر

تمهيد

شهدت المجتمعات العربية، على مدى النصف الأخير من القرن المنصرم - وما زالت - فيوضات من نشاطات سياسية، واجتماعية، وثقافية، تسعى إلى بناء مواقف تربوية جديدة من التحديات العولمية وتداعياتها بظواهرها وكامناتها. فبدأت بعض الدول العربية اجتهداً غير مسبوق في رسم أهدافها التربوية، اعتماداً على معطيات الواقع، والرؤى العلمية للمستقبل، باعتبار تلك الأهداف منطلقات لمؤشرات النهضة الثقافية والحضارية المعاصرة في القرن الحادي والعشرين، قرن العلم والمعرفة - سيدة التقدم - والذي يتطلب نوعية متميزة من الثروة البشرية، ورأس المال الفكري، تقوم علاقاتها بالدرجة الأولى على التواصل المستدام مع المعرفة ومستجداتها وأساليب التفاعل معها في جميع المجالات الحياتية. ويعني هذا تأكيد حاجة البشر الدائمة إلى اكتساب مهارات وخبرات جديدة تخرج عن المألوف في التربية الرسمية والتدريب، وتدفع الأمة إلى دائرة التحدي لكل المستجدات الحياتية التي قد تعرقل المسيرة أو تنحو بها نحواً غير مرغوب.

ومن هنا فإن المواطن العربي - أينما كان - مُطالب بأن تكون له بصمات في مسارات التنمية على أرض بلاده، بل وأمتة العربية، وكل ما تحتاج إليه من معارف وتقانة معاصرة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

متجددة. وهذا الأمر ليس سهل المنال في الواقع إلا إذا أصبح التدريب المستمر جزءاً لا يتجزأ من سياسات وخطط البلاد العربية سواء أكان عن طريق أجهزة الدولة أو مؤسسات المجتمع المدني. وكذلك إلا إذا أصبح التدريب في فكر ووجدان وآمال الشباب العربي، وخاصة المشتغلين منهم بمجال البحث سواء أكان "نظرياً" أم "ميدانياً" أم "تجريبياً"، بغية الوصول إلى الغد الأفضل للفرد، وللأمة.

إن المجتمع العربي بما يزرع به من عقول باحثه، مبدعة، وما يتمتع به من ثروات، وما يميزه من مكانة معنوية، عليه - ونحن على مشارف الألفية الجديدة - التحلي بالحكمة العملية في التعامل مع المجالات الجديدة الحاكمة للتقدم البشري والتي من أهمها: مجالات الإلكترونيات الدقيقة Micro Elect. ومجالات المواد المخلفة الجديدة New Materials. ومجالات العمل الفضائي Spase Act. ومجالات الوسائط المتعددة Multi Media. ومجالات صناعة الاتصالات Telecommunication... وغيرها.

فقد أصبحت التنمية مرهونة بالنجاح في التفاعل مع متغيرات تلك المجالات بالاستخدام، والإنتاج، والتوطين، والتوجيه لمصلحة الفرد، ومجتمعه، وبلده، وأمته. وبذلك تأتي أهمية التدريب للفرد العربي... ترقية لذهنيته وتفعيلاً لسلوكه الإنتاجي وإنماء لذاته المتفردة: من العامة، والنخبة؛ من الكبار، والصغار؛ من الساسة، والمنفذين؛ من الذكور، والإناث... كل فرد عربي باعتبار أن البشر هم أساس التنمية، وهدفها، ووسيلتها في عالم تتصاغر فيه المسافات، وتلتحم فيه الظواهر، وتنتفتح فيه التفاعلات وباعتبار أن ما كان يميز أمة بعينها من ملامح ثقافية، قد أصبح مثار نقاش، وموضع بحث؛ ذلك أن الثقافة في عصر العولمة، قد فقدت جميع الحدود: الموضوعية والموضوعية، والمؤسسية، والجغرافية، والزمنية. وحدودها الوطنية.

والأهم من هذا كله أن "الثقافة" قد فقدت هوية منتسبها لأن الجميع - بلغة الواقع - قد أصبحوا متفقين بالمعنى العام. والعديد منهم غير قادر على التفاعل مع عناصر الثقافة في نفس الوقت لأسباب سياسية أو اجتماعية أو فكرية ذاتية أو موضوعية.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

من هنا، ومن غير ذلك يأتي هذا البحث ليعرض ويناقش برامج التنمية الذهنية للشباب في إطار التنمية الشاملة. على النحو الآتي:

التنمية

"التنمية" مصطلح يعبر عن عملية دينامية تتكون من سلسلة من التغيرات الهيكلية والوظيفية في مجتمع ما. نتيجة لتدخل إداري يوجه التفاعل بين الطاقات البشرية والعوامل البيئية المختلفة في ذلك المجتمع بهدف زيادة قدرته على البقاء والنمو.

وبذلك فالتنمية تغيير حضاري... تغيير في الرؤية والممارسة: رؤية غايات الحياة وممارسة وسائل تحقيقها... من هنا فإن التنمية الشاملة تتضمن أبعاداً: اجتماعية، سياسية. واقتصادية وفكرية. وعقدية. وإدارية. وغير ذلك مما درج المختصون على إجماله تحت ما يطلق عليه "التنمية الاجتماعية". و"التنمية الاقتصادية" وبهما تتحقق أمور ثلاثة:

- أ. تحقيق ذاتية الفرد كفرد، ومؤسسة.
- ب. تحقيق احتياجات الفرد الأساسية.
- ج. توفير حرية الاختيار للفرد في مجتمعه.

فالتنمية الشاملة تتضمن عمليات التحول الموجب التي تلحق بالبنيان الاجتماعي الاقتصادي ووظائفه من خلال تنمية قدرات غالبية الناس بخدمات عامة في ميادين التعليم والصحة والثقافة وغيرها مما يمس حيوات هؤلاء الناس. ولعل هذا هو ما يحدو بنا إلى القول إن للتنمية الشاملة عناصر ثلاثة رئيسة:

- أ. تغيير بنائي في الأدوار والتنظيمات الاجتماعية/الاقتصادية بحيث تختلف عن صورتها القائمة، مما يتطلب حدوث تغيير في الظواهر المختلفة والعلاقات السائدة في المجتمع، وفي أنماط سلوك البشر، وفي أدوار مؤسسات الإنتاج المادي والمعنوي.
- ب. استراتيجيات ملائمة لتنفيذ عمليات التغيير الموجبة المرجوة تفيد من كل الإمكانيات المادية والمعنوية في المجتمع، سواء الداخلية أو الآتية من خارج المجتمع لتعاضد نموه وتقيم دعائمه.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ج. دفعة قوية تخرج أدوات "التغيير" عن سباتها أو ركودها معززة بفكر راق وتوجهات عملية معيارية وتقنيات تحقيق الأهداف.

ويرتبط بمفهوم "التنمية" مفهوم "السياسة الاجتماعية": التي يقصد بها مجموعة القرارات الصادرة عن السلطات المختصة في المجتمع بشأن تحقيق الأهداف الاجتماعية المرتبطة بتنمية البشر، ويجري تنفيذها برسم خطة أو خطط تحوي برامج ومشروعات اجتماعية مترابطة متكاملة تتعاضد فيه مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني.

وبذلك "فالسياسة الاجتماعية" Social Policy تطبيقية، تنفيذية، قصيرة المدى وذات أهداف خاصة بكل مجال. وأكثر خصوصية لكل برنامج أو مشروع.

وعلى ذلك فالعلاقة بين "السياسة الاجتماعية" و"الخطة" هي علاقة "الهدف" بـ "الآلية" أو "الدفع" بـ "محصلات القوى" ... علاقة لزومية. وجوبية في كل مجال. وكل حال وكل زمان.

وقد اهتم الباحثون والكتاب بعوامل إنجاح التنمية الاجتماعية في دول العالم الثالث. وأشار بعضهم إلى ضرورة توفر عاملين أساسيين لهذا النجاح:

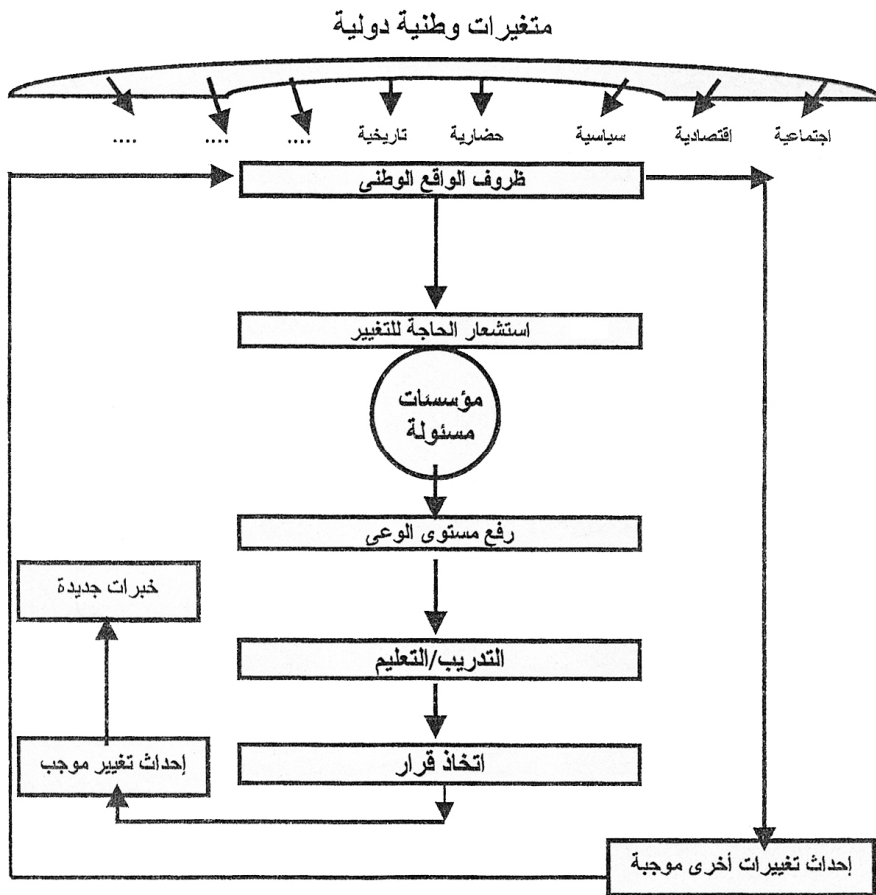
الأول: التعجيل التنموي Developmental Acceleration ويفرض علينا نفسه وجوداً، وفعلاً وأثراً، نتيجة طبيعية لتسارع إيقاع الحياة في كل جوانبها ولا يجب - في عمليات التعجيل التنموي - الاهتمام بالمظاهر الكمية فقط، وإنما بدور هذا العامل في نوات الناس وتفاعلاتهم وتقنيات التغيير المستخدمة وتطورها.

الثاني: المشاركة الشعبية Public Participation وهو يُعنى بأهمية الدور الفردي للفرد، ودوره الجماعي من خلال المؤسسات المجتمعية المشاركة، كل على حدة على مستويات التنظير والتطبيق.

وليس من شك أن المشاركة الشعبية تتضمن مهام كاشفة Projective Tasks. حيث يمكن في ضوء ممارسة تلك المهام تحديد أدوار الأفراد والمؤسسات مستقبلاً في تنفيذ ومتابعة عمليات التنمية. كلٌّ وفق ما يمتلكه من اتجاهات ومعارف ومهارات.

التدريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وعلى ما سبق فمن البديهي القول إن "التنمية الاجتماعية" هدفها الإنسان، وركيزتها الإنسان، ووسيلتها الإنسان، فهي عملية استثمار في الميادين التي تمس حياة البشر في مجتمعاتهم، ومن أهمها التعليم بأنواعه المختلفة وأنماطه المتعددة بحيث يوجه مردود ذلك الاستثمار لتجسيد كافة الجوانب الحياتية للإنسان. (الشكل 1 دورة التنمية). وكذلك التدريب على المستحدث من محتوى علمي أو آليات تنفيذ، أو استراتيجيات أداء.



الشكل 1 دورة التنمية

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ويرى أحد المفكرين العرب أن "التنمية" تأتي حينما يتحول "العلم" إلى "ثقافة"، حينما تسود الموضوعية في كل أو جُلّ نواحي حيوات أبناء مجتمع بعينه، وحينما يعي الناس أن محاور التنمية وأبعادها متداخلة، ومتفاعلة، ومتشابكة، ومتلاحمة، هي في ذلك تهدف إلى الارتقاء المطرد في قدرات المجتمع أفراداً وجماعات، بغية تحسين نوعية الحياة فيه. وهنا يأتي التأكيد أن التنمية الاجتماعية "إرادة" و"إدارة" وبذلك يأتي التأكيد مجدداً أن أهم آليات التنمية هو ما يأتي محصلة سلوكية لأفراد المجتمع وجماعاته. وأنه كلما تحسنت نوعية المشاركة المجتمعية لأفراد المجتمع وجماعته، وتحققت ضماناتها، وكلما ازدادت كفاءة الأداء في الجوانب الخدمية إدراكاً للمستجدات ومجابهة للتحديات، كان ذلك مؤشراً ودليلاً على سلامة آليات التنمية.

أما التنمية المستدامة فهي التنمية المتواصلة، الموصولة المستديمة، القابلة للإدامة، المطردة. والمستدامة سلسلة من الصفات للتعبير عن مصطلح Sustainable development وهو يعني عملية للتغيير يتناغم فيها استغلال الموارد وتوجهات الاستثمار ومناحي التنمية التكنولوجية وتغيير المؤسسات، ويعزز كل إمكانات الحاضر والمستقبل للوفاء باحتياجات الإنسان وتطلعاته فهو الهدف والوسيلة للتنمية. ومن هذا التعريف يمكن استقاء ما يلي:

- إن التنمية الشاملة وعلى امتداد المستقبل تُعنى باحتياجات الحاضر المحسوسة دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على توفير احتياجاتها، وهي تتضمن فكرة الاحتياجات الأساسية وخاصة للفقراء، وفكرة القيود التي تفرضها حالة التكنولوجيا والتنظيم الاجتماعي على قدرة البيئة على توفير احتياجات الحاضر والمستقبل.

- ونظراً لأن الاحتياجات تتحدد اجتماعياً وثقافياً فإن الاستدامة تتطلب انتشار القيم وتستهدف تنظيم التفاعلات بين الاعتبارات الاجتماعية والأساليب التكنولوجية والبيئة الطبيعية. وربما يسهم التعليم قبل العالي في تحقيق ذلك التوازن، وربما يسهم فيها كذلك التعليم العالي الذي يهدف إلى تكوين قيم إنسانية قائمة على التعلم والرؤية المستقبلية. ذلك لأنه في الدول المتقدمة يزيد معدل العائد الاجتماعي بفضله عن معدل العائد الاجتماعي للتعليم الثانوي وربما يجعل هذا إتاحة التعليم العالي للجميع مطلباً أساسياً لتحقيق فلسفة التعليم المستمر من

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

جهة واستدامة التنمية من جهة أخرى، أو الانتقال من نمط بسيط في التفكير إلى نمط معقد ومن تنمية مهارات الوصف إلى مهارات التمثيل الهندسي للوقائع ومنها إلى المحاكاة الحاسوبية بصفة خاصة، تربية تستهدف النمو من الداخل دون الاقتصار على ما يترأى لنا من سلوكيات.

- ولابد أن تكون برامج التربية، والتدريب المستمر منسوبة إلى برامج العمليات والمهارات العقلية كالابتكار، أو الانقراء - والقيم والاتجاهات - كالتسامح، والجماعية والتعاون. ذلك لأن الدراسات الحديثة تؤكد التزاوج بين الجوانب الوجدانية والعمليات والمهارات العقلية، وهو ما يطلق عليه البعض بالذكاء العاطفي أو الوجداني حتى يتمكن الفرد من الاستفادة في رؤيته للعام والتفاعل معه من خلال تربية موجهة ذاتياً تتيح له تنمية قدرته على الاختيار، وخاصة أمام الناس. وإذا كانت التنمية المستدامة عملاً مستقبلاً فإن برامج التربية الذهنية تستند إلى الرؤية المستقبلية العلمية التي تقوم على التوقع وتراعي التعقيدات التي يموج بها الكوكب، وتشظي المعلومات المتسارع، والتي تحاصر الشباب حتى تكاد تقتله من جذوره إذا لم يكن متسلحاً بالتحسين الداخلي المستمر القائم على التفكير الناقد.

واعتماداً على ما سبق فإن تنمية ذهنية شباب الباحثين من أبناء الأمة هي عملية فرعية من عمليات التنمية الاجتماعية الشاملة تهدف - فيما تهدف إليه - إلى:

- تفتُّق الطاقات الإبداعية لدى الجمهور المستهدف من الشباب الباحث كلٌّ في مجال إبداعه.
- دخول الشباب العربي الباحث إلى مجتمع المعلومات معارف، ومهارات، واتجاهات، وموجهات.
- تشارك الشباب العربي الباحث في رسم السياسات الإنمائية في دولهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

- تحرير الشباب العربي الباحث من قيود الخوف من مواجهة الآخر.
- تأكيد الذاتية العربية الواعية المنفتحة على الذات الأخرى.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ويؤكد هذا أن مفهوم التنمية بوصفها الشاملة Comprehensive مبني على التكامل بين مختلف العناصر التنموية على المدى الطويل، ويؤكد كذلك أهمية الدور المجتمعي في تثبيت أركان المساءلة الاجتماعية Accountability عن المدى والعمق في مشروعات التنمية ومنتجها باعتبار الشباب - بوجه عام - هم عصب الإنتاج وهم المستفيدون منه. وهم المسؤولون عن تطويره شكلاً وموضوعاً.

موجهات معاصرة

ولعله من الجدير بالذكر أن تتعدد الرؤى إلى مفهوم تنمية الشباب من الباحثين وغيرهم فتختلف باختلاف المدارس الفكرية والتطبيقية في مجالات التربية والاجتماع وعلم النفس وباختلاف قطاعات العمل التي يعمل بها القائمون على تعريف المفهوم. إلا أننا نرى هنا - إجمالاً للعديد من التوجهات - أن تنمية الشباب هي:

عملية متكاملة يُعد بها الشباب لمواجهة التحديات المختلفة من خلال سلسلة من الأنشطة التقدمية المتناسقة والخبرات المنظمة التي يتفاعلون معها: (أ) ليصبحوا أكثر وعياً بقضايا أمتهم وبلدهم ومجتمعهم المحلي. (ب) ولتسمو مبادئهم الأخلاقية والاجتماعية والوجدانية. (ج) ولتنمو إمكاناتهم الجسمية والعقلية. (د) ولترتقي كفاءتهم المعرفية ومهارات تعلمهم ذاتياً.

والهدف الرئيس بذلك هو استيعاب الشباب لأهم مفاتيح الغد من علم، وتقانة، وتواصل متميز الوسيلة، راقى المضمون، بإسقاطات علمية قوية وباستشراف لصورة المجتمع والأمة، وبتحسّبات دقيقة لتفاعلات القوى والعوامل المختلفة التي تؤثر في البشر كافة. وفي الشباب بخاصة.

ويتطلب تحقيق تنمية ذهنية الشباب - بوجه عام - التوسل بمجموعة من الموجهات، التي تنير الطريق في تعاملنا مع رأس المال البشري، ورأس المال الطبيعي، ورأس المال المادي،

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ورأس المال الاجتماعي. والتي تيسر الإفادة في الغد من الشباب النامي باعتباره رأس المال "الفكري" أو "الذهني" في دفع عجلة التنمية وتسريعها. ولعلّ من أهم تلك الموجّهات:

1. تضمين برامج التنمية الذهنية - على اختلافها - أبعاداً استراتيجية تشمل قيمة رأس المال المعرفي للمجتمع ومؤسساته.

2. تكامل برامج التنمية الذهنية، أهدافاً ومحتوى مع نظم وسياسات الموارد البشرية المعتمدة في المجتمع وأنساق الإنتاج والتسويق.

3. دعم أوجه تنمية الذكاء الوجداني الجمعي، الذي يرتبط بتقدير الآخر واحترام رأيه ومشاعره وحقوقه.

4. في البرامج التدريبية المتخصصة تأكيد مراعاة مبادئ "الجودة" ومعاييرها المعتمدة عالمياً في تصميم البرامج وتخطيطها وتنفيذها ومتابعتها وتقويمها.

5. التركيز في بنية البرامج على إذكاء "التفكير الاستراتيجي" و"التخطيط الاستراتيجي" كهدفين يحققن الإبداع في الأداء وفي المنتج.

6. التعريف بمفهوم "القيمة المضافة" ودعم توفره في برامج "التنمية الذهنية" بالذات، بتوفير مناشط "التفكير النقدي"، و"حل المشكلات"، و"العصف الذهني".

7. تأكيد تصميم برامج لتنمية مختلف أنواع الذكاء لدى الشباب - في جوانب الحياة المختلفة - ومن خلال الجهود الرسمية والأهلية.

8. تدريب القائمين على البرامج التدريبية بال تخصصات المختلفة بمداخل وأنماط رسم السيناريو المستقبلي انطلاقاً من الواقع - معطياته من عوامل وقوى ثابتة أو متغيرة - واعتماداً على الحسابات العلمية والاجتماعية الدقيقة.

9. التوجيه الإجرائي للشباب لتوفير قدر من الوعي بأهمية الترقية المهنية ودورها في مسار التنمية الشاملة ورفع معدلاتها وعوائدها على الأفراد والمجتمعات العربية.

10. استخدام التقنية المعاصرة وعلى الأخص (VSAT) في تبادل الرأي والمشورة بين الدول العربية حول البرامج التدريبية الوطنية فضلاً عن استخدامه في بث برامج التنمية البشرية

التدريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

تفيد منها الدول كل حسب حاجاته.

كما أن التدريب (والتدريس) - في ضوء تلك الموجهات - لجميع الشباب - يستلزم اعتبار أن المتدرب هو مشارك نشط. وأن ما يحدث هو عملية بناء معارف ومهارات يُعتمد في تكوينها أساساً على اتجاهات المتدرب ورغبته في الترقى. كما أن هذا المتدرب يستطيع النهوض بقدراته على التفكير المستقل والتصرف الفعال والمسؤول. فضلاً عن أن المتدرب لابد أن يكتسب مهارات اتصال وتواصل مع ذاته. ومع الآخر، ومع معطيات العصر إضافة إلى دعم ما لديه من مهارات درج عليها.

ويؤكد ما سبق المسؤولية الشخصية للمتدرب، التي تتضمن جوانب كثيرة، قد يكون من أهمها: فهم القيم والمبادئ المجتمعية، وقبول المساءلة عن الأفعال الذاتية، والاعتراف بالقوى المحيطة الدافعة لتنمية الشخص، والأخرى المحبطة.

مؤشرات إلى واقع جديد

ثمة عوامل جديدة، تؤثر في التنمية البشرية بوجه عام، وفي التنمية الذهنية بفكرها وتطبيقها على وجه الخصوص، ومن أهم تلك العوامل: طموحات الدول ومسيرات الإنتاج، والتغير في صور مرافئ الإنتاج وهيكلتها وأنماط أدائها. ويعد كل هذا مؤشرات إلى الواقع الذي يدعو إلى التنمية الذهنية للشباب بوجه عام، وللباحثين بوجه خاص. ونوجز ملامح أهم تلك المؤشرات بالمثال فيما يأتي:

1. في الوقت الحالي تعد القوة التنافسية هي المحرك الرئيس للتنمية على التقدم التقني (التكنولوجي) حيث يعتبر الأفراد هم أهم قبل التكنولوجيا، ولذا أصبح التعليم/التدريب استثماراً استراتيجياً لا يركز على الاحتياجات والمهارات الضيقة المحددة، ذلك لأن متطلبات ومستويات المهارة في ازدياد وتغير مستمر نتيجة التغير التكنولوجي المتسارع مما يتطلب مزيداً من الدراسة واستمرارها ومعاودة التدريب مدى الحياة، حيث يزيد الأجر.

التدريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- إن متطلبات الوظائف تعتمد على المهارات الفكرية التي ازدادت بنسبة 11% والمهارات الشخصية بنسبة 19% على حين انخفض عدد الوظائف التي تحتاج إلى مهارات حركية بنسبة 4.5% منذ عام 1970 وحتى عام 1990 في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن أكثر من 70% من الوظائف الإدارية والقيادية تتطلب معلم مهارات الحاسوب (الكمبيوتر) في النصف الأول من تسعينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الأمر قد رفع أجر العاملين، كما أن كل سنة إضافية يمضيها الدارس في التعليم ترتبط بزيادة أجره بنسبة ما بين 5 إلى 15% في إجمالي دخله طيلة حياته.
2. تزداد قوة العمل فيما فوق سن 55 سنة وتتناقص فيما بين 25 إلى 34 كما يوجد من الكبار من يعملون نصف الوقت على الرغم من عدم تكيف بعض كبار العاملين للتغيرات السريعة في أساليب العمل. وهذا يتطلب أن سياسات التدريب التي تتبعها الحكومة الأمريكية تبتعد عن تقديم برامج تدريبية وتتجه نحو تقديم المعلومات والمساعدات المالية للأفراد حتى يختاروا نوع التدريب المناسب لهم، ذلك لأن عهد الوظيفة الدائمة بدأ في التناقص حيث أن نظام الأجور بالنسب للعمالة المؤقتة من الخبراء والفنيين قد قفز من 2.2 بليون دولار عام 1991 إلى 4.9 بليون دولار.
3. إعادة هيكلة الشركات أدى إلى إعادة تشكيل بيئة العمل حيث توجد أعمال ووظائف جديدة تتطلب مهارات جديدة، وهذا يفرض الاهتمام بالتدريب المتكامل لكافة جوانب الشخصية نظراً لتزايد الشركات والأعمال ذات الحجم الصغير التي تحتاج إلى الخدمة المتكاملة.
4. ثورة الاتصال والتقدم التقني (التكنولوجي) وثورة المعلومات تحدث ثورة في الطرائق التي يقدم بها التعليم/التدريب. حيث نشأت نظم التعليم/التدريب من بعد. في الموقع بدلاً من القاعات والفصول وذلك عن طريق الحاسوب والافتراضات ووسائل الاتصال المتعددة وخاصة أن الشبكة (الانترنت) تحظى باثنين من المستخدمين الجدد كل دقيقة منذ سنة 1990.
5. انتشار أنظمة العمل المتكاملة العالية الأداء حيث ارتفع العمل القائم على الفريق بنسبة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

مجالها من 70 إلى 90% في نحو 1000 شركة فيما بين عام 1990-1993 في الولايات المتحدة حيث تُستخدم أنظمة إدارة الجودة الكلية/الشاملة التي تقوم على التشاركية والرضا عن العمل وجودة العمل.

6. نظراً لتزايد عدد المنشآت التي تقوم على أساس إدارة المعرفة أصبحت المنشأة التعليمية/التدريبية شيئاً أساسياً ومكماً للعمل حيث يصبح العمل ذاته عملة تعلم أولية حيث يتكامل التعلم والعمل ويرتبط التعليم/التدريب بالأداء.

7. نظراً لتغير مستويات الأداء المهاري المطلوبة في مجتمع المعرفة بما فيه من تكنولوجيا، أنشئ في الولايات المتحدة الأمريكية "المجلس القومي لمستويات المهارات"، 1994م ليقوم بمهام تحديد مستويات المهارات المطلوبة في كل الأداءات الإنتاجية، وأثر ذلك في المؤسسات التربوية ومؤسسات التدريب، كما أن أصحاب الأعمال أصبح لديهم اختبارات ومقاييس لتعرف قدرات المتقدمين للعمل، منها اختبارات التنمية الذهنية.

برامج التنمية الذهنية لشباب الباحثين

إذا كان الإنسان حيواناً ناطقاً فإنه ينطق من خلفيات تُبرز قيمه ومعتقداته وأساليب تعامله ومجالات تفاعله مع الغير، وأثناء التفاعل والتعامل يندمج اللاوعي بالفكر، كما يندمج العقل بالعاطفة والرمز بالمصلحة، وتصبح مسالك متكررة تمارس ممارسة تلقائية عضوية وهي في مجملها مكتسبة.

وإذا كان العقل ينشأ بالمعرفة ويتحكم بالأمر عن طريق التحليل والتعليل والتبرير والبرهان؛ فالذهنية تشير إلى الحس اللاشعوري الذي يثير الإنسان للتحرك والعمل على نحو عفوي، وتبرز أهمية الإيديولوجيا في المسالك العادية التي نمارسها يوماً بعد يوم وهي ترتبط بمسائل الدين والثقافة واللغة والتراث فهي باطنية، تحتية تجمع بين الأمور اليومية كالمخاطبة واللعب من جهة، والشؤون العليا كالدين، والشعر، والهندسة. وهي إن كانت تتعلق بكيونة الفرد في المجتمع فهي تعني المجتمع كما يتمثله الفرد، وهذا يعني أنه بقدر ما نستسلم للتقاليد

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والأعراف فإننا نوجدها ونستغلها لإنجاز مصلحة.

ونظراً لأن التغير المتسارع هو الحقيقة الرئيسة في ظل الكوكبية وما يصاحبها ويدعمها من ثورة في الاتصالات والمعلومات فإن تكوين/تربية الشباب الذي يقع على كاهله أعباء التنمية في المستقبل ويحافظ على استدامتها يجب أن يجري ببرامج تراعي حقيقة التغير وسرعته ومن ثم لا تقتصر على الجزئي أو الآني والمحسوس من قيم واتجاهات ومهارات ومعارف بل تتجاوزه إلى التخيل والكلي والشامل والمتوقع، مستهدفة تغيير طريقة التفكير حتى يستطيع الشباب التعامل مع التعقيدات والتشابكات وربما ما يبدو من فوضى في شتى المجالات، ومن ثم تستهدف برامج التربية الذهنية التحول الكيفي في نمط التفكير كأن ينتقل المتعلم من التفكير الصوري إلى التفكير الاستقرائي ومن التفكير الاستقرائي إلى المحاكاة... وهكذا.

أولاً: الخصائص العامة

هناك مجموعة من الخصائص العامة التي نرى فيها قوائم لتعزيد برامج التنمية الذهنية للشباب. لعل من أهمها:

1. الاستئناس بنظرية النظم ومبادئها: فذلك يبسر لهم فهم العالم الكبير للمتدرب بما فيه من تشابكات وتفاعلات. فالنظام وإن كان يمكن تفكيكه إلى عناصر أو خلايا أو تفاعلات وحدات - يفهم كل منها على حدة دون مشكلات - إلا أن فهم التفاعلات بين تلك الجزئيات يعد مهماً لتوجيه سلوكيات تدريب الذهنية من خلال برامج نسقية.
2. الاعتماد المتبادل: وهو اعتماد متشعب بين الفرد والآخر وبين الفرد والتقانة، وبين الجماعة والجماعة مما يفرض أنماطاً عملية معينة يحدث فيها التشارك البناء بُغية تسيد الاتجاهات والمهارات والمعارف بين الناس أخذاً، وعطاءً.
3. الموقعية: فارتباطات الموقع مادياً ومعنوياً بما فيه ومن فيه بأنواع البرامج التي تقدم فيها، هو ارتباط قسري. ومن هنا وجب تعرف المكان (الموقع) بمتغيراته لتوفير الإحساس

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بالأمن وتقدير والمساحات المعرفية والمهارات التي يتفاعل معها المتدرب والتطبيقات المسموح بها واللازمة لتدريبه.

4. **التكامل البنوي:** فشبكة المعرفة وتكاملها، بل ووحدتها تفرض على مصممي البرامج التدريبية - أينما كانوا - إيجاد علائق بين محتوى البرامج المختلفة بحيث تتوفر الصيغة الترابطية بين عناصر المحتوى، وتتمايز هيكلته عن النمطية المألوفة.

5. **التنمية المستدامة:** إذ يكون البناء معتمداً على النهايات المفتوحة للبرامج وعلى إتاحة الفرصة للمتدرب للتفكير النقدي واتخاذ القرار. والإنتاج المبدع الذي يُقوّم من أجل مزيد من الإبداع.

6. **الفرد مؤسسة:** فالنظرة إلى المتدرب ككيان مستقل أصبح ضرورياً بوصفه مؤسسة لها بنيانها وهيكلها واحتياجات نموها وآليات دعمها، ومن هنا يأتي الاهتمام بتنفيذ البرامج التدريبية على التعلم الذاتي، وتفيد التعليم، وفرق العمل المتجانسة... وغير ذلك.

وبناء على تلك الخصائص السّت يمكن بناء البرامج مع اعتبار لتقنية الجودة الشاملة التي يمكن إيجازها فيما يطلق عليه دائرة الجودة. والتي تلّخص عناصرها في:

1. عناصر المتطلبات لبناء البرنامج.

2. خطة العمل وتنفيذها.

3. تقديم الخدمات المتسقة مع الخطة.

ويمكن أن نوضح دائرة الجودة في الشكل (2).

ولتحديد المتطلبات المشار إليها يجب على مصممي برامج التنمية الذهنية الإجابة عن

تساؤلات مهمة، من قبيل:

- ما الخدمة الرئيسة المطلوب تقديمها؟

- من المستفيد؟

- ما الاحتياجات التي أعلنها المستفيد؟

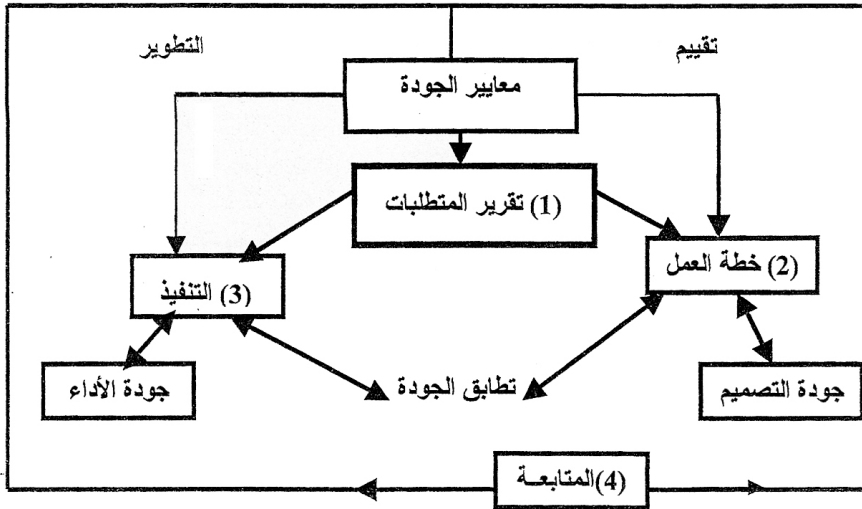
(مجال الفعل)

(سمات المتدرب)

(حاجات المتدرب)

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- ما أهم الإمكانيات المتاحة لِسَدِّ الحاجات؟ (المقدرات)
- ما مواصفات ما يقدَّم للمستفيد ليتفاعل معه؟ (المحتوى)
- ما مدى اتساق البرنامج شكلاً وموضوعاً مع نظائره؟ (المسايرة)



الشكل 2 دائرة الجودة لبناء برامج التنمية الذهنية

ثانياً: مناخ تنمية الذهنية

يتفق العاملون بمجال المناهج والبرامج مع علماء النفس على اختلاف تخصصاتهم ومجالات فعلهم على مجموعة من الأمور التي يجب اتباعها ليصبح مناخ تنمية الذهنية مناخاً ملائماً. لعل من أهم تلك الأمور:

1. منح المتدرب الحرية في أساليب تواصله وتفاعله والتعبير عن رأيه.
2. اعتماد التسامح مبدأً في التفاعلات بين العناصر البشرية في مجال تنفيذ البرامج.
3. إتاحة الخطأ غير العمدي، دون إثارة قضايا دعائية حوله.

التدريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

4. دعم القدرة على تحمل الغموض، والمثابرة، والتعامل مع المواقف غير المألوفة وغير المحددة.
 5. الاهتمام بأسئلة المتدربين من حيث المحتوى والتركيب والمغزى.
 6. الإلحاح على المفاهيم الكبرى في مجال التدريب.
 7. الاعتماد على مصادر المتدرب من واقع البيئة.
 8. النظر إلى المتدرب باعتباره مؤسسة من مؤسسات البيئة.
 9. تشجيع المتدربين على التعبير عن آرائهم بدون قيود في مفاهيم وأطر محتوى التدريب.
 10. تشجيع المتدرب على اختيار مصادر المعلومات وجمعها وتنظيمها والمقارنة بينها وفق إمكاناته الذاتية.
 11. تدريب المتدربين على تطبيق المعايير على أنفسهم كما يطبقونها على الآخرين.
 12. الاستماع إلى وجهات نظر الآخرين واحترام مشاعرهم.
 13. التقليل من الاندفاع قبل الإجابة عن التساؤلات في الموقف التدريبي وفي الحوارات المرتبطة به.
 14. التساؤل الدائم حول ماذا نفعل؟ ثم لماذا؟ لتحديد الأهداف البعيدة والوسيلة والمراحل المحددة.
- وإذا كان مناخ تنمية الذهنية هو ذلك المناخ المناسب لتحويل أفكار الفرد واتجاهاته وأفعاله إلى الأفضل لمواجهة متغيرات لم يألفها من قبل، فإن الإطار العام للبرامج لابد أن تتوفر فيه عدة سمات. نرى من أهمها:
- أ. الواقعية: ويقصد بها اتساق جهود التطوير وإمكانات المجتمع ومعطياته واتساق منتج التطوير وأهداف السياسة الاجتماعية المعلنة.
 - ب. المعيارية: ويقصد بها إمكان قياس كل تفاعل داخل ذلك الإطار وفق معيار سابق الإعداد.
- سواء في جهود التطوير أو صورة المنتج النهائي.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- ج. **الوظيفية:** ويقصد بها اعتبار النماذج الفردية والجماعية التي تحدد سببية التطوير والظروف المصاحبة الدافعة إليه.
- د. **الانتقائية:** ويقصد بها تحديد الإطار للأولويات والتمييز بينها على الترتيب بما ييسر مواضع البدء في التطوير والعناصر التي تتطلب اهتماماً خاصاً.
- هـ. **التوازنية:** ويقصد بها مراعاة الإطار لجميع عناصر المنهج المطور بمدخلاته وعملياته ومخرجاته سواء في التخطيط أم التنفيذ أم التقويم بنسب متقاربة.
- و. **المرونة:** ويقصد بها إمكان استخدام الإطار الواحد دون صعوبة لمناهج متعددة في التعليم العام وفي غيره من أنماط التعليم.
- ز. **التشاركية:** ويقصد بها اتساع الإطار ليسهم في استخدامه بصورة مباشرة أو غير مباشرة كل العناصر المهمة من مختصين وغيرهم.

ثالثاً: نماذج معاصرة لتنمية الذهنية

1. نموذج ترفنجر (Treffinger) (1993)

ويطلق عليه نموذج التنظيم والبناء للتفكير المنتج (O . S . P . T) ويؤكد هذا النموذج وجوب دراسة التنمية الذهنية كوحدة واحدة تتضمن تفاعلات بين عناصر ثلاثة رئيسة بين عناصر كل منها: أسس بناء لبرامج و الأدوات والمهارات و طرق التعامل. ويمكن توضيح هذا النموذج في الشكل (3).

2 نموذج نيكا (Necka, E) (1996)

ويطلق عليه نموذج التفكير والابتكار وتؤكد فيه أهمية اعتبار خصائص الفرد في عمليات التنمية، ويتكون من ثلاثة متغيرات رئيسة هي: الدوافع، والمهارات، القدرات في تفاعلها معاً لتيسير عملية النمو الذهني للفرد.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أ. الأسس

الأسس	الأسس	الأسس
السيطرة فيما وراء المعرفة	الدوافع الأولية	المعلومات الأولية
- التخطيط	- تقدير الذات	- وصف المعلومات
- الأهداف	- المثابرة	- مهارات سير العمل
- انتقاء الاستراتيجيات	- الاتجاهات	- المفاهيم
- استخدام التعزيز	- الأنماط والأشكال	- الشكل الإيضاحي
- تقوية النتائج	- الأحداث المثيرة	

ب. الأدوات والمهارات

التفكير النقدي	التفكير الإبداعي
- المهام المعرفية والمشكلات	- الطلاق، المرونة، والأصالة
- فهم المعلومات وتصنيفها	- التفاصيل، والحساسية للمشكلات
- الكشف عن الأسس واستخلاص المحتوى	- التخيل، والاكتشافات، والمخاطرة
- التقويم وتطبيق الاستراتيجيات وفهم ما تحتويه من أفكار والعمل على نموها	- التعامل مع الأشياء المعقدة

ج. الطرق

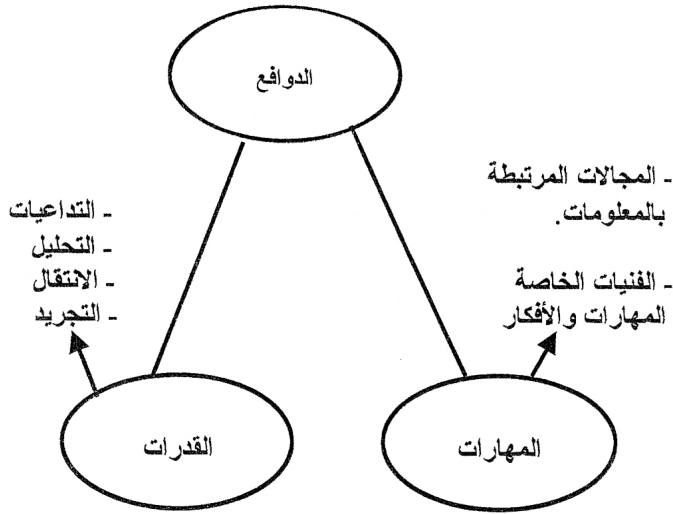
صناعة المناقشة	حل المشكلات
- الموضوعية، وصف المراحل والمحتوى وتحليل العمل	- فهم المشكلة
- تصنيف وترتيب المخرجات	- التحقق من صحة الأهداف وموضوعيتها
- اختيار أحسن الأعمال	- وصف العمليات ذات الصلة بالمسألة
- العمل على التنفيذ والمتابعة والتنمية	- الاهتمام بالأفكار الجديدة وتقويتها وتدعيمها

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الشكل 3 نموذج ترفنجر وزملائه لإنتاج الأفكار الابتكارية

ويمكن توضيح هذا النموذج بإيجاز في الشكل (4)

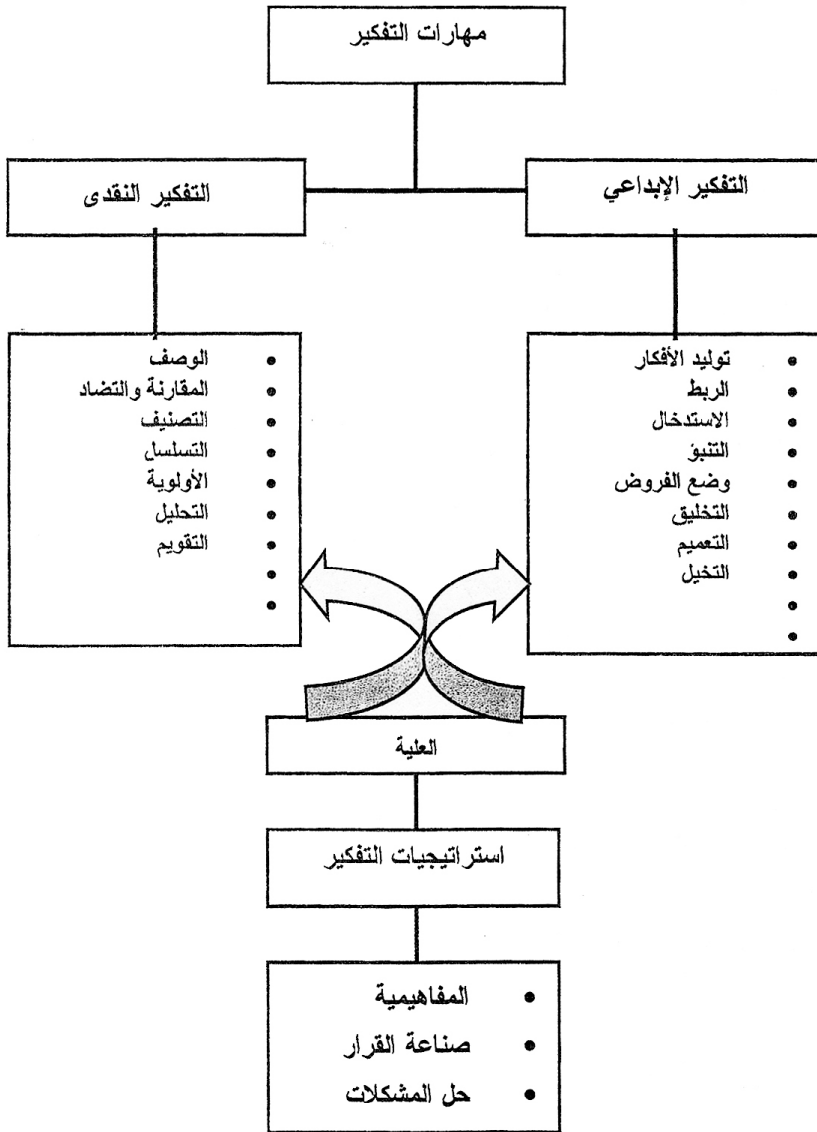
- الأدوات
- اللعب
- التوجيه
- السيطرة
- الاتصال



الشكل 4 نموذج للتفكير الابتكار

3. نموذج مهارات التفكير T. S (2003)

عرض هذا النموذج بواسطة شريفة زين في ورقة بعنوان "تنفيذ مناهج العلوم والتكنولوجيا... في المدرسة الذكية Smart School بماليزيا" ضمن وثيقة لمنظمة اليونسكو مارس 2003م. لتوضح فيه ما يلزم لتنمية الفرد ذهنياً في عصر العولمة، الشكل (5).



الشكل 5 نموذج للتفكير والابتكار

رابعاً: تطبيقات قائمة

فيما يلي ملامح رئيسة لبرامج للتنمية الذهنية نُفِّذت بالفعل لهيئات ومؤسسات عربية لتدريب مدربين، مسئولين عن تصميم وتنفيذ برنامج من برامج التنمية الذهنية: لمتدربين تختلف مراحلهم العمرية، ومستويات وتعليمهم. وكان من ضمن الحضور فيها متدربون من الشباب الباحثين من الجامعات ومراكز البحوث والجمعيات الأهلية. ويلاحظ أنها قد صيغت بطرق مختلفة.

1. برنامج المفاهيم الأساسية لتكنولوجيا المعلومات:

• أهداف البرنامج:

- التدريب على إدارة نظم المعلومات
- التدريب على مكونات شبكة الإنترنت والإلمام ببنيتها التحتية
- التدريب على تصميم نظم وقواعد البيانات
- التدريب على تطبيق البرمجة وتطويرها
- التدريب على مهارات استخدام الإنترنت وشبكات المعلومات
- الفئات السنّية المستهدفة: من 18-26 عاماً

• المستوى الأكاديمي للمتقدمين:

- خريجو التعليم الثانوي
- خريجو التعليم فوق المتوسط
- خريجو التعليم العالي

• المدة الزمنية للبرنامج:

15 شهراً بمعدل ثلاثة أشهر لتحقيق كل هدف من الأهداف الخمسة للبرنامج.

• محتوى البرنامج:

يجري تحديده وفقاً لإمكانات الموقع وخلفيات المتدربين وما يتيسّر بالمقر من مواد تعليمية،

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

على ألا يقل مستواه عن مستوى العام الجامعي الأول بكلليات الحواسيب / أو العلوم شعبة الحاسوب/ أو الدبلوم العامة في التربية - شعبة حاسوب تعليمي.

• طرائق التعليم المستخدمة:

ينحو الأداء نحو التعلم الذاتي "الاكتشاف الموجه" وكذا "الأداء التعاوني"، و"عمل الفريق"، و"المناقشة" الحرة، "الحوار المسير". ويُفاد من المدخل التاريخي، المدخل القصصي، مدخل الوقائع الحاضرة.

• الوسائل التعليمية المستخدمة:

- أجهزة حواسيب
- أفلام فيديو تعليمية
- الكتب الدراسية

• التقويم:

- يجري تقويم المتدربين عن طريق:

أ. حقيبة المسيرة (البورتفوليو)

ب. تقاريرهم الذاتية عن تقدمهم

ج. اختبارات تتبعية على دورات زمنية قصيرة

- يجري تقويم البرنامج عن طريق:

أ. استمارات تقويم يقدمها الطلاب

ب. استمارات تقويم يقدمها المدربون

2. برنامج لتنمية بعض القيم والمهارات والعمليات

• أهداف البرنامج

- التدريب على فهم العلاقات بين الجزء (شجرة) والمكان الأكبر (شارع).
- التدريب على فهم العلاقة بين الجزء وتأثيراته في المكان (ظل).
- التدريب على فهم العلاقات فيما بين الأجزاء (الشجرة) وتكوين شكل جمالي أو تظليل

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المكان بصورة أكبر من شجرة مفردة.

- التدريب على ملاحظة مدى التناسق / التباعد بين الأجزاء (أشجار/مباني/أفراد) على المنظر/الشكل العام للمكان.

- الفئات العمرية المستهدفة: جميع الأعمار
- المستوى الأكاديمي: جميع المستويات
- المدة الزمنية: 3 أشهر
- طرائق التعليم المستخدم:

العصف الذهني، والحوار، والاكتشاف الموجه، عمل الفريق، المناقشة.

• الوسائل التعليمية:

لوحات، وأدوات للرسم، وأفلام فيديو.

• التقويم:

- يجري تقويم المتدربين /المتعلمين عن طريق الملاحظة من قبل المشرفين، وتقارير

تقدمهم التي يقررونها بأنفسهم ومتابعتهم لأنفسهم.

- يجري تقويم البرنامج من خلال استمارات تقويم للطلاب والمدرسين/المنسقين.

• محتوى البرنامج:

التفكير التأملي/التفكير التباعدي الذي يعمل على ترقية القدرات الإبداعية:

- رسم الشجرة/أو أي شيء آخر بأشكال مختلفة

- يقوم الدارسون بتأليف قصص مختلفة محورها شيء واحد (شجرة)

- ذكر منافع/أضرار متعددة لشيء واحد موجود في المكان (طلاقة وتفكير تباعدي).

تتمية مهارات التصنيف كمهارة عقلية:

- تجميع الأشياء (أشجار - أشخاص) تحت فئات يمكن تعريفها على أساس خصائص

معينة (نوع/لون/طول/حجم) ويجري هذا من خلال الوحدات الأولى - الثانية.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

تنمية مهارات الملاحظة (كمهارة عقلية):

- يجري الفحص الدقيق لما يرى المتعلم ولما يسمع وما يستطيع جمعه (رؤيته/سماعه) في المكان، وهذا يمكن أن يجري في جميع الوحدات.
- يمكن تحديد المتغيرات/العناصر/الأشياء الموجودة في المكان.

تنمية مهارات حب الاستطلاع (مهارة وجدانية)

- تشجيع التساؤل الشخصي لجمع المزيد من المعلومات عن البيئة المحيطة.

تنمية المهارات الاجتماعية التالية:

- الاتصال والمشاركة مع الجماعة في تحقيق أهداف الوحدة التعليمية
- المناقشة حيث عدم التسليم المطلق لكل ما يسمع أو يرى أو يقرأ
- حوار الأخذ والعطاء للوصول إلى اتفاق/عدم اتفاق على عمل من الأعمال الموجودة في الوحدات التعليمية.

تنمية القيم والمهارات التالية:

- الجماعية/الإبداع/قبول الآخر/التسامح/الكلية في تناول المشكلات.

إعمال ثقافة التساؤل من خلال ما يمكن تسميته آلية قف وتساءل:

- لماذا أفعل هذا؟ وماذا أفعل لخلق نقاط للتركيز؟ وما الأسئلة التي يثيرها ما أقوم به لاكتشاف الجوانب غير المعلومة؟ وكيف أ
- ستخدم هذه المهارات والمعلومات في مواقف أخرى؟

3. برنامج تغيير طرائق التفكير من خلال منطق متعدد القيم:

- أهداف البرنامج: إكساب المتعلمين/المتدربين طريقة مغايرة للتفكير تراعي التعقد في المشكلات من خلال المنطق الضبابي ومنهجية التعقد التي تعتمد على المدخل المنظومي ونظرية الفوضى ونظرية الكارثة، والسبيرنطيقا.

• **المحتوى:** يطلب من المتعلمين/المتدربين قراءة النص التالي ومناقشته مع المُسَيَّر، نظراً لتعدد وتشابك المجالات والمشكلات أصبح من الصعب خفض الظواهر أو المشكلات إلى مبدأ بسيط (مثل الجريمة المنظمة)، وتجليات الكوكبية (العولمة). فالظواهر والمشكلات متصلة بعضها ببعض، وإنما لا نتعامل مع كلية نظام ما، بل نتعامل مع أوجه معينة منه، والتراكيب التي تبدو ذات معنى بسيط - غالباً ما تميل إلى أن تكون ذات طبيعة متعددة الأبعاد، وفي ظل مبدأ عدم اليقين، يصبح من العسير تكوين مُناظر تام أو معادل موضوعي للسلوك الذي نعبر عنه حتى لو حللنا ذلك التعبير اللغوي إلى عناصره الأولية، ذلك لأن الأمور المعقدة تتسم بوجود عدد كبير نسبياً من العوامل المجهولة.

وإذا كان المنطق الصوري الثنائي القيم يرى أن القضية إما أن تكون صادقة أو كاذبة وأن النقيضين لا يجتمعان من خلال صورية وسكونية غير واقعية، نصبح حينئذ في حاجة إلى ما يطلق عليه المنطق الضبابي Fuzzy Logic الذي يستوعب التناقضات، ويستخدم في إدارة الأزمات والأخطار غير المتوقعة، هذا المنطق، يهدف إلى تكوين استنتاجات منطقية تقريبية وليست جازمة أو مكتملة، فهو يرفض المنطق الصوري الذي يمكننا من باب التبسيط أن نقول منطق (إما...أو) إلى منطق يتناول (هذا...وذلك) في نفس الوقت، ويحاكي قدرة العقل البشري على توظيف ملكاته الخاصة في التفكير المنطقي التقريبي، بدلاً من التفكير المنطقي اليقيني الدقيق، ولقد اعتمدت برمجة الذكاء الاصطناعي على استغلال قدرة العقل المرنة على تجاوز عدم اليقين وترجمتها إلى منطق يبدو ضبابياً أو مشوشاً، ويقوم جوهر هذا المنطق على تحديد درجة الانتماء بين الصفر والواحد الصحيح، فدرجة الانتماء القريبة من الصفر تُظهر انتماءً ضعيفاً في حين أن درجة الانتماء القريبة من الواحد الصحيح تُظهر انتماءً قوياً إلى الفئة محل الاهتمام فهو يعبر عن ظلال مختلفة للحقيقة، على عكس المنطق الثنائي (الصوري) الذي ينسب إلى كل حدث القيمة صفر أو الواحد الصحيح، فالقضية إما صادقة أو كاذبة بدون أية ظلال أو تدريجات أو نسب في الحكم، وهذا لا يصلح عند حدوث أزمات تتطلب اتخاذ القرارات في ظل محدودية

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المعلومات وفي ظل الجهل الجزئي للحقيقة الكاملة. فهنا تصبح الحاجة إلى منطق تقريبي يستوعب كافة الاحتمالات التي تتراوح وتندرج بين هذا وذاك ولا يصلح معها منطق إما ... أو (الصوري، السكوني).

منهجية التعقد: تقوم على ما يلي:

المدخل المنظومي، نظريات الفوضى، الكارثة، والسبيرنتيقا. كل فكرة/إنسان/ مشكلة عبارة عن كيان (منظومة)

- المدخل المنظومي

- ينطوي على كيانات فرعية جزئية (منظومات فرعية)

- يندرج تحت كيان (منظومة) أكبر

- الكيان الأكبر (المنظومة) يضم العديد من المنظومات الفرعية (المشكلة/الفكرة التي نتعامل معها تعد منظومة فرعية ضمن المنظومة الأكبر).

- المنظومات الفرعية لها علاقات تبعية متبادلة أو تأثير وتأثر، هذه العلاقات تؤثر في المنظومات الفرعية من جهة وتؤثر في المنظومة الأكبر من جهة أخرى.

هذا المدخل للدراسة القضايا والمشكلات، يهدف إلى تنمية القدرة على رؤية العلاقات بين الأشياء أكثر من الأشياء نفسها، كما ينمي القدرة على التخيل والتركيب ورؤية العلاقات والتشابكات بين القضايا والمشكلات.

الفوضى

في ظل المعارف الكثيرة المتشظية التي تتفاعل كل (18) شهراً أصبح اتخاذ القرارات يجري في ظل عدم اليقين المطلق بالمعلومات.

ولذا فإن النظرة النسبية للأمور، أصبحت واجبة في ظل ما يبدو من فوضى وعشوائية في حدوث المشكلات. ومن ثم يجب علينا اكتشاف النظام فيما يبدو لنا من فوضى مع التسليم بأن قراراتنا تقريبية وليست يقينية، وهذا يتطلب أيضاً أن نتناول ما يبدو أنه هامشي ومشوش

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وفرعي إلى جانب الأسباب والظواهر الجوهرية والأساسية، والنظر، إلى الموضوعات نظرة كلية لا تقف عند الآني الجزئي المحسوس الظاهر .

• الكارثة

إلى جانب التعامل مع التغيرات العميقة والكبيرة يجب علينا التعامل مع الأحداث الطارئة والتغيرات الطفيفة والتدرج في بيئة شيء أو مادة ما، إذا أهملت دراستها، فقد تؤدي إلى رد فعل سريع ومفاجئ. فإذا كان هناك ثقب صغير جداً في سقف المنزل ولم يُهتَمَّ به فإنه من الممكن أن ينزل منه قطرات بسيطة من المياه أثناء الأمطار، وهي لا تؤثر في المبنى نظراً لصغر حجم هذا الثقب ولكن إذا تركنا هذا النزول المستمر لقطرات المياه من الثقب مدةً طويلة فقد يؤدي هذا إلى تصدعات قد تتدرج مستقبلاً بحدوث كارثة.

السبب المنطقي

إذا كان المدخل المنظومي يرى الاعتماد المتبادل بين العناصر التي تكون التنظيمات ويهتم ببنية المنظومة فإن السبب المنطقي تريد على ذلك بالاهتمام والدراسة لكيفية أداء النظام لوظائفه وكيفية التحكم في المنظومة.

أي إن هذا المدخل يدرس التنظيم الذاتي وشبكة العلاقات غير المتجانسة بين المتفاعلين في النسق (المنظومة/التنظيم) إضافةً إلى الاهتمام بالتغذية الراجعة والتحكم وقنوات الاتصال في النسق.

يطلب من المتعلمين/المتدربين تحويل فهمهم للنص السابق وبعد شرح المعلم/المسير لهذا المنطق وتلك المنهجية. الإجابة عن التساؤلات التالية:

مثال (1)

- هل نحتاج إلى مقاعد للدراسة؟ أم نحتاج إلى تزويد المدارس بأجهزة الحاسوب (الكمبيوتر)؟
علماء بأن الأموال المتوفرة قليلة.
- هل ننفق الأموال على التعليم الأساسي الضروري؟ أم على التعليم العالي المرتفع الجودة من

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أجل المنافسة عالمياً؟

صنف الإجابات وفقاً للمنطق السوري (إما...أو)، أم وفقاً للمنطق الضبابي (هذا...وذلك).
ثم يطلب من المتعلمين/المتدربين ذكر أمثلة أخرى ومحاولة الإجابة عنها ومناقشتها في جميع التطبيقات.

مثال (2)

يُذكر سبب وحيد لمشكلة الدروس الخصوصية، مثل غياب ضمير المدرسين، أو صعوبات المقررات، أو تدني رواتب المدرسين، أو لأن التعليم قائم على التذكر وأن ثقافة الذاكرة هي الثقافة السائدة في المجتمع، وتظهر آثارها في العملية التعليمية، ويُتساءل عن السياسة التعليمية ومحورها، وهل تستهدف تكوين مبتدئين؟ أم تهدف إلى التنميط؟ هل هذا له علاقة بمفهوم الطاعة كمفهوم محوري في التربية العربية؟ ومدى تأثير هذا في وجود نموذج وحيد ومحدد عن إجابة الامتحانات؟

مثال (3)

اختزال التعقد في الظواهر مثل الادعاء بأن المرأة تتعرض للعنف في الأسرة من قبل زوجها وأبنائها مما يوحي بأن الزواج، وتكوين الأسرة أمر لا ضرورة له ربما لتبرير ارتفاع نسبة العنوسة المصاحبة لارتفاع تكاليف المعيشة، والبطالة دون ذكر للعوامل الاقتصادية الاجتماعية الثقافية السياسية المولدة للعنف على شرائح عديدة لا يختلف فيها وضع الرجل عن المرأة كثيراً. مع التركيز على التحليل الفئوي (المرأة/الطفل/الشباب/المسنين) للمشكلات بدلاً عن التحليل الطبقي مع افتراض أن تلك الفئات تتساوى فيما بينها في فرص الحياة وفي الوضع الطبقي والبيئي (ريف/حضر/عشوائيات)، وأن كل فئة لها نفس المشاكل. مع إغفال أن هذا المدخل الفردي الذي يرى المرأة أو الرجل أو الطفل في الأسرة كائنات لها حرية وإرادة مطلقة في تحديد خياراتها دون الأخذ في الاعتبار العقد الاجتماعي في مؤسسة الأسرة الذي يقوم على التنازل المتبادل عن بعض الحقوق في سبيل تحقيق أهداف جماعية.

التغريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

مثال (4)

- هل يسمح للرجل أن يتزوج بأخرى أو يغادر ويهجر أسرته ولا ينفق عليها لمجرد أنه يرغب في تحقيق هذا الحلم لأسباب يعتبرها مقبولة من وجهة نظره بقطع النظر عن موضوعيتها؟

- كما يمكن أن تثار قضايا تتعلق بالتحديث والتغريب (اتباع النمط الغربي) في هذا الصدد، فاليابان والصين تقوم بتحديث يقدر الأسرة ويدعم الجماعية في مقابل الفردية. فهل نريد تحديثاً أم تغريباً؟! وهل هذا التوجه الذي يدعمه التمويل الغربي للمشروعات والقضايا التي تأخذ المنظور الفئوي في التحليل له علاقة بالخصخصة والعولمة التي تدعو إلى تفكيك مؤسسات الدولة ولو كانت المؤسسة هي الخلية الأولى لبناء المجتمع التي كانت تسمى الأسرة؟

- **الفئات المستهدفة:** جميع الفئات وجميع الأعمار.
- **المستوى الأكاديمي:** جميع المستويات
- **المدة الزمنية:** ثلاثة أشهر لتحقيق أهداف البرنامج.
- **طرائق التعليم المستخدم:** العصف الذهني، والاكتشاف الموجه، المناقشة.
- **الوسائل التعليمية:** أفلام فيديو تعرض بعض المشاهد المماثلة للتطبيقات والأمثلة الواردة في محتوى البرنامج.
- **التقويم:**

يجري تقويم المتدربين/المتعلمين عن طريق تقاريرهم الذاتية، واختبارات تتضمن مواقف إشكالية ومشكلات، ويطلب منهم حلها ويحصل الطالب المنتج لحلول متعددة على أعلى التقديرات كدليل على خصوبة التفكير التباعدي في فهم المنطق والمنهج المستهدف من البرنامج.

• تقويم البرنامج:

يجري من خلال صياغة اختبار قبلي قبل بداية التدريب وآخر بعدي (بعد انتهاء البرنامج). وكذلك مقابلات شخصية تقريرية يعبر فيها الشباب عن نفسه بحرية كاملة.

الخاتمة

ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين نستشعر موقنين أن المجتمعات الإنسانية - ومن بينها المجتمع العربي - تزداد سعيًا نحو ضمان التفاعل المتوافق والمتوازن بين عناصرها البشرية أفراداً وجماعات توجهاً لدعم التنمية الذهنية واستفادة من نتائجها في تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة. وتزداد المجتمعات الإنسانية سعيًا بالإرادة أو بالقسر - نحو إيجاد نوع من التنوع الثقافي بين عناصرها البشرية باعتباره مصدراً للتبادل والتجديد، والإثراء، والابتكار. كما أنه ضرورة لدوام قيامها وتحديد موقع كل منها بين الآخرين.

وقد يُعنى هذا السعي - فيما يعنيه في أحد أبعاده - بمحاولات التنمية المستدامة التي ظهر مفهومها للحد من تعدد الأزمات وتنوعها وذلك بتأثير سيادة التقنية، وتنامي التصنيع، والاستهلاك الجمعي، وعولمة المبيعات، وكَوْنَتِهِ الشركات العابرة للقارات والمتعددة الجنسيات، وافتراضية العديد من المناشط والمؤسسات وغير ذلك.

وبعد فإن "البشرية" منظومة مفتوحة، بمعنى تفاعلها سلباً أو إيجاباً بما حولها، وأن العلاقة بين الفرد وما يحيطه، هي علاقة جدلية معقدة، بها من التشابكات والتفاعلات غير المنظورة، أكثر مما فيها من ظاهر. وإن التقدم البشري اليوم مرهون باستيعاب متغيرات غير مألوفة، وارتياح مرافئ غير مأهولة، والتمكن من مفاتيح العلم، وديمومة الدربة بالتقانة، وعليها، ولها!!!... فهل تكون هناك استراتيجية عربية للتنمية الذهنية؟ علها تكون بداية!!

ومهما كان الجهد المبذول، وأياً كانت التحولات التي تتخذها دولة نامية أو أخرى فإن التنمية البشرية بوجه عام، وتنمية الذهني على الأخص، قد تعترضها بعض المعوقات التي

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

تحتاج إلى تذليل، وهذه المعوقات قد ترتبط بالسياق الاجتماعي، أو بالفلسفة الاقتصادية، أو للعمل، وتستند إلى الواقع، وإسقاطات المستقبل، ونماذج التقدم العالمي كمرجعيات رئيسة لبنائها. وتتلسم التشخيص قبل التنمية، والوقاية قبل العلاج.

ويمكن لنا إيجاز أهم تلك المعوقات فيما يلي:

1. القصور في الوعي بمفهوم التنمية الذهنية لدى المسؤولين، واعتباره جزءاً من الرفاهية، وقد تكتنف علاقته بمفهوم التنمية الشاملة غموضاً أو قصوراً، حول مكانته، وأهميته، ولزوميته نظراً وتطبيقاً.
2. التردّي في مستوى الأداء لدى الأطر التدريبية غير الواعية بآليات الإدارة لبرامج التنمية الذهنية، وبكيفية صياغة المحتوى، واستراتيجيات تنفيذه مع متدربين قد يأتون بذخائر معرفية ومهارية عالية المستوى.
3. الانشغال بالصورية والدعائية، دون اهتمام بتكامل الأداء أو شمول جوانب التنمية الذهنية سواء في التصميم أو التخطيط أو التنفيذ أو التقييم.
4. الانفصام في علاقات التعاون بين المؤسسات المسؤولة عن التدريب ببرامج التنمية الذهنية مما يسبب هدراً مادياً، وتكراراً وعدم التزام باحتياجات المجتمع.
5. السلبية في مبادرات المجتمع المدني منفرداً أو في علاقاته بمؤسسات الدولة من أجل الشراكة، لأسباب موضوعية أو غير موضوعية.
6. التركيز في بعض البرامج على الكم دون الكيف في المدخلات التدريبية وفي أساليب تحديدها وفي آليات وبدائل العمل معها.
7. التركيز في برامج التنمية المهنية ومعظم برامج التدريب قبل وأثناء الخدمة على مهارات جزئية، محددة، آنية، ظاهرة، دون النظر إلى الإطار الكلي والمستقبلي للمهارات والقيم والاتجاهات الموجهة والمصاحبة بها. التي تتطلبها العملية الإنتاجية مما يحدث مشكلات وتدنياً في الأداء.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وإلى جانب تلك المعوقات يوجد الكثير، مما يستلزم أن يحاول كل بلد عربي أن يضع لنفسه استراتيجية رصينة تتضمن أطراً مرجعية، يفيد منها من يريد من مؤسسات المجتمع ومنظّماته في تشكيل خطط العمل للتنمية الذهنية للعاملين فيه من الشباب، وعلى الأخص المشتغلين بالبحث العلمي ليتم التحول المرغوب في الشباب كله:

من العقلية الراكدة	إلى العقلية المنافسة
ومن العقلية الذاتية	إلى العقلية الموضوعية
ومن العقلية المسائرة	إلى العقلية النقدية
ومن العقلية الناقلة	إلى العقلية المبدعة
ومن العقلية المستهلكة	إلى العقلية المنتجة.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المراجع

1. أسامة الخولي: التنمية المستدامة، بين المفهوم والتطبيق، جسور، كتاب غير دوري، العدد الأول، فبراير 1999. مركز جيل السبعينيات.
2. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، السياسات الثقافية من أجل التنمية في الوطن العربي، وثائق المؤتمر الثالث عشر للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية، عمان، الأردن، 2002م.
3. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مشروع خطة العمل المستقبلية، تونس 2003م.
4. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين، تونس 1999م.
5. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: نحو سياسة ثقافية عربية للتنمية، تونس 2001م.
6. جمعية المعلمين الكويتية: بحوث مؤتمر "التعليم والتنمية بين الواقع والطموح". الكويت، 1994م.
7. حامد عمار: في آفاق التربية العربية من رياض الأطفال إلى الجامعة، القاهرة، الدار العربية للكتاب، سلسلة دراسات في التربية والثقافة.
8. حسين كامل بهاء الدين: التعليم والمستقبل. القاهرة، دار المعارف، 1997م.
9. رانيا عمر حسن فايد: رسالة ماجستير، معهد الدراسات التربوية - جامعة القاهرة 2002م.
10. طلعت عبد الحميد فايق: "التنمية الذهنية لمعلم المعلم وإشكاليات ما بعد الحداثة". ورقة بحث قدمت في ندوة رابطة التربية الحديثة، جامعة طنطا، 2000.
11. طلعت عبد الحميد وآخرون: الحداثة.. وما بعد الحداثة، دراسات في الأصول الفلسفية للتربية، مكتبة أنجلو، 2003م، ص 159.
12. علي حروحوش المفرح & أحمد علي صالح: رأس المال الفكري طرق قياسه وأساليب المحافظة عليه. القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2003م.
13. عبد العزيز صالح بن حبتور: التربية والتعليم جسد المستقبل. صنعاء، مركز البحوث والتطوير التربوي 2002م.
14. فؤاد الخوري: التنمية العربية، العنف سيد الأحكام، بيروت، دار الساقى، 193م، ص 7-8.
15. معهد البحوث والدراسات العربية: (وثائق مشروع): دور الثقافة في تحقيق الوفاق العربي. القاهرة 2002.
16. مصطفى عبد السميع محمد: "تظم التعليم العربية التحديد والتجديد والتبديد... معهد الدراسات التربوية، القاهرة، 2003.
17. Geraint Johmes, *The Economics of Education*, New York.
18. R. Sternberg: "Inventing in Creativity: Many Hamy Returns". *Education Leadership*, vol. 43 # 4-1996, p.p. 80-84.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

19. National Youth Development Information Center: "**Definitions of youth Development and Related Terms**". <http://www.NYDIC.org/2003>.
20. Center for Youth Development & Policy Research: What is Youth Development. <http://CYD.AED.org.Whaitis.html>.
21. V.S Department of Health and human Service, Seattle Regional office: Youth Development Programs. 2003.
22. M. Samie: " **Education Program and Youth Development**". Documents of Special Education Project. N.C and Cairo Inivs 2000.

اللغة القومية عامل خفي في النمو الاقتصادي

أ.د. محمد عبد العظيم

أستاذ بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - تونس

يعتبر النظر فيما بين اللغة والاقتصاد من اتصال مبحثاً حديثاً نسبياً، إذ إنّ اهتمام الباحثين فيه، حسب ما يحدده تاريخ الأفكار، لم يتجاوز إلى حد الآن عقده الثالث. وقد يكون هذا التأخر في الظهور عائداً إلى طبيعة الموضوع ذاته. فهو في الظاهر محاولة للربط بين ظاهرتين ليس من البديهي أن تكون الصلة بينهما جلية بيّنة، ما دامت إحداهما ظاهرة صوتية تفرزها مقومات الفيزيولوجية الطبيعية قارّة لدى الإنسان، والثانية ظاهرة مادية من أهم سماتها وخصائصها التحول والتبدل والتعدد باختلاف العوامل الفاعلة.

غير أنّ تطور البحث العلمي ودقة تصوراته استطاع أن يكشف أنّ بين الظاهرتين من مقومات الاتصال وشروطه ما هو جدير بأن يكون مجال نظر وتدقيق، فظهر ما أصبح يسمى بـ "علم الاقتصاد اللغوي".

ومع ذلك ظلت النقطة مجال بحثنا أقل المسائل حظاً من الدراسة، لأنها قد تكون الأعسر تناوياً وخفاءً معالماً، فليس من البديهي اليسير إثبات أنّ اللغة يمكن أن تكون عاملاً مؤثراً في عملية النمو الاقتصادي للأمم والشعوب. ومن هنا جاءت سمة الخفاء التي وسمنا بها ذلك العمل في العنوان. فحتى الذين اتخذوا "اللغة والاقتصاد" مجالات لأبحاثهم ووسموا أعمالها بهذا الاسم صراحة أقرّوا بأنه "على الرغم من أنه يبدو أنّ كل متكلمي لغة معينة يستفيدون بدرجات متفاوتة عندما يتسع المجال الذي تستخدم فيه، فإنّ النتائج الاقتصادية للتوسع اللغوي غير واضحة. فاللغة - بالأحرى - لم تقدّر جيداً حتى الآن بوصفها عاملاً من عوامل التنمية

الاقتصادية في المحيط الوطني والمحيط الدولي"¹.

كان ذلك مع أنَّ تناول كل من الظاهرتين طرفي المعادلة بالبحث يعود إلى زمن بعيد، فقد جرى النظر في خصائصها وجزئياتها بكل دقة ضمن مسار طويل التقى بهما حديثاً إلى النقاط والالتقاء.

1. رؤى في اللغة

لقد كان الدرس اللغوي قديماً يتعامل - في الغالب - مع اللغة، موضوع العلم، باعتبارها ظاهرة مستقلة منفصلة حتى عن منتجها الإنسان، وإن لأمس أحياناً بعض المسائل المتعلقة بما بينهما من صلة بشيء من السطحية أو عَرَضاً، ثم وَجَّه تطور العلوم وتعالقها النظر نحو علاقة اللغة بالإنسان وفتح المجال أمام تدخل عدة علوم لم تكن اللغة قبل ذلك من مشاغلها، كما لم تعد علوم اللغة مقصورة عليها وحدها. فتعددت الآراء واختلفت الرؤى في شأن العلاقة بين الطرفين. وكان أول المداخل النظر في علاقة اللغة بالفكر. فوقف النحاة القدامى على معادلة مفادها أنَّ "اللغة هي التفكير يتحرك ليحرر نفسه فيدرك أو يدرك نفسه بنفسه". وكان من الطبيعي أن تفرز هذه المعادلة قضايا أهمها اثنتان: أولاهما أنَّ التطلع إلى محتوى الفكر متعذر خارج حدود اللغة وأنَّ اللغة تبعاً لذلك هي سبب نتوكل به لإدراك الفكرة. والثانية أن لا تفكير بلا لغة ولا لغة بدون تفكير لأن لا كلام بلا محتوى إلا أن يكون لغواً. إنها علاقة تبدو متشعبة دقيقة على قدمها، وقد صاغها عبد السلام المسدي بالقول "إنَّ علاقة اللغة بالتفكير علاقة إجرائية وعلاقة انعكاسية في آنٍ معاً. هي إجرائية لأنها تتسلط على الخارج، فباللغة يفهم الإنسان مادة فكره. واللغة هي التي تنجز عملية الإدراك الخارجي، ثم بها أيضاً يتسنى للفكر المتكلم أن يفهم مادة تفكيره، فإذا بالناطق يستحيل مادة للإدراك شأنه في ذلك شأن المنطوق به"².

¹ فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد ص 60.

² المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية ص ص 27-28.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

واعتباراً لهذه الدقة في العلاقة تحولت المسألة إلى موضوع فلسفي متميز اهتم بها أعظم فلاسفة الغرب، فرأى Leibnitz أنّ اللغة مرآة للعقل وهي، إن كانت عظيمة، تُبرز الإنجازات الفكرية لمن ينطق بها وتعززها. وإن إدراك الفكرة رهين إلى حد بعيد بطبيعة المفردات المعبر بها عنها، والتعبير غير السليم السلس يعوق التفكير كما يعوق دون شك إدراك الفكرة...

وكان للبحث الاجتماعي، أي علم الاجتماع، أيضاً نصيب من الاهتمام بالموضوع، فنظر إليها، من حيث هي إنتاج مجتمع ووليدة علاقات اجتماعية من الحتمي أن تتأثر بها. فاللغة من هذا المنظور لم تعد ظاهرة بسيطة بل "هي بنية مركبة من طبقات (أساليب) مختلفة، تكتسب شكلها من بيئة اجتماعية معينة (لغة التجار والشارع والمكتب...) ولا تتأثر عملية التشكيل بالمستوى الثقافي وطريقة الحياة في محيط اجتماعي خاص فحسب، ولكن التأثير الأكبر هو للنشاط الاقتصادي والتقني للبشر"¹.

أما من الوجهة النفسية فقد أكد علماء النفس "أنّ الحدث الكلامي ليس مجرد تقرير ولكنه تعبير خاص فانفعال معين" لأنّ الكلام باعتباره شفرة، ليس مجرد إنتاج لواقع اجتماعي بعينه وإنما "يكتسب بطبيعة الحال خصوصية أسلوبية تعتمد على الخصائص النفسية للشخص المشارك في الفعل الكلامي"². وهذه الخصوصية الأسلوبية الذاتية تتحكم، دون شك، بقدر كبير بعملية التفاهم بين المتخاطبين.

وقد رأينا في موقف المذهب الطبيعي البيولوجي ما يمكن اعتباره ضرباً من الجمع والتوفيق بين المنظورين الاجتماعي والنفسي، لأنّه يرى أنّ اللغة "إذا كانت هي لسان الحال الذي تظهر البشرية نفسها من خلاله، فإنّ تكون اللغة الخاصة بكل مجتمع متكلم هي التعبير الخاص بنفسية الجماعة، تماماً كما أنّ لغة الفرد هي التعبير الخاص بنفسية الفرد... فعندما

¹ ميلكا إفيش، اتجاهات البحث اللساني ص 133.

² م. ن ص 311.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ينطق كل فرد كلمة بطبعها بتجربته الشخصية وبنفسيته الخاصة، حتى الكلمات لا تكتسب معناها الحقيقي إلا في اللحظة التي ينطق بها"¹

ومن الطبيعي فيما نرى أن يكون علم اللسان هو الأقدر على صياغة هذه الفكرة بشكل هو الأقرب عندنا لطبيعة اللغة ومقتضيات النطق والفهم. فقد رأى نعوم تشومسكي أنه "أن يفهم إنسان ما تعبيراً لغوياً معيناً يوجب أن يتعرف عقله/دماغه الشكل الصوتي لهذا التعبير والكلمات التي يتكون منها وأن يستعمل من ثمّ مبادئ النحو الكلي وقيم المتغيرات لكي يسقط تمثيلاً بنويماً له يحدد الكيفية التي تربط بها أجزاءه...²

إنّ هذه الرؤى على اختلاف مشاربها وتنوع مساربها ومآربها تلتقي عند نقطة أساسية هي التي تعيننا في المضمار الذي نحن بصددده، إنّه طبيعة العلاقة بين اللغة الظاهرة الصوتية شكلاً والإنسان مطلق تلك الأصوات ومبدعها ومنقّيها ومركب الألفاظ والجمل والنصوص منها.

وإنّ هذا الاتصال والتعلق هو ما جعل بعض الدارسين يقف على مسألتين سمّى أولاهما قانوناً والثانية مبدأ نسلت منهما جملة من القضايا التي تعد ثوابت. فقد وقف عبد السلام المسديّ على ما أسماه بـ "قانون الانخراط الدلالي المشترك". ومفاده أن الحياد المطلق متعذّر على المتكلم في استخدامه اللغة "لأنّ المتكلم متورّط في الانحياز في حالتي الاختيار والإقصاء عند تعامله مع مفردات اللغة و"براءة اللغة وهم كامل والحيادية في اصطفاء الألفاظ وهم كامل والموضوعية الفكرية مسألة نسبية كثيراً ما يتهاوى صرحها بمجرد عبورها جسر اللغة".

أما المبدأ فهو ما أطلق عليه اسم "مبدأ التوضع" ومعناه أنّ كلام الإنسان يشي بالموقع الذي يتخذه صاحبه من مضمّناته الدلالية وعنه نتجت خمس قضايا: أولاً أنّ المتكلم يتحمل دائماً مسؤولية كلامه، والثانية أنّ هامش الموضوعية أمامه محدود جداً أو يكاد ينعدم. والثالثة أنّ براءة اللغة حين الاستخدام وهم وباطل. والرابعة تفاوت الناس بالوعي بهذا البعد من أبعاد

¹ م. ن ص 84.

² تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة ص 118.

اللغة. والخامسة وهي بيت القصيد هي "أنّ استخدام المتكلم لهذا البعد عند التحقق من غفلة الآخرين عنه هو الذي يحول اللغة إلى سلاح فتاك على ساحة المناورة بالكلام".¹

وبعد فإنّ هذا الوعي بما بين اللغة، بما هي أداة للتواصل، وبين مبدعها أو المبدع بها ومستعملها، لا شكّ، يفتح المجال واسعاً للقول إنّ اللغة منزلة وأثراً في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وأفكار، ومنها بلا ريب الاقتصاد، إذ ما الفعل الاقتصادي في جوهره إلا من صنع الإنسان وإبداعه وخصائصه دون سائر الكائنات، ولذا نرى البحث في الاقتصاد قد شهد، بالتوازي مع البحث في اللغة، نفس المسار تقريباً فانقل تدريجاً مما يمكن تسميته "بالاقتصاد المادي" إلى "اقتصاد المعرفة" المستحدث.

2. من الاقتصاد المادي إلى اقتصاد المعرفة

كان الاقتصاد لقرون عديدة يدرس منعزلاً عن خالقه الإنسان، وبوصفه ظاهرة مادية لها شروطها وقوانينها ومواصفاتها وخصائصها كلها تتشكل داخله وتتبع من ذاته. ولا يكاد يُعتقد أنّ لما يحفّ بالاقتصاد، حتى منشئه الإنسان، دوراً فيه أو أثراً ما يكون له فيه دور أو فعل. غير أنّ ذلك ما كان ليستمّر، فقد شهد البحث في الاقتصاد تطورات عديدة متدرجة حتى ظهر أخيراً ما يسمى باقتصاد المعرفة، حيث تجاوز الاهتمام المستوى المادي الصرف إلى الأبعاد الفكرية والثقافية والمعرفية وترسّخ الاعتقاد بأثر تلك الأبعاد في الوضع الاقتصادي لأيّ من المجتمعات.

لقد استقرت القناعة الآن بأنّ الاقتصاد العالمي يتجه نحو اقتصاد مبني على المعرفة واستُحدثت تبعاً لذلك نظريات تصف الظاهرة وتحللها ومنها نظرية اقتصادية حديثة تدعى "نظرية النمو الجديدة" التي تؤكد أهمية المعرفة العلمية والثقافية في النمو المستدام الذي من شأنه ضمان استحداث فرص العمل وزيادة الدخل الفردي وإمكان التنويع الاقتصادي. وبذلك

¹ المسدي، نحو وعي ثقافي جديد، ص ص 158....161.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أصبحت المجتمعات تتجه إلى ما يسمى بمجتمع المعلومات. وتعدّ هذه النظريات وما يشبهها شاهداً على تعاظم قيمة المعلومات وأهميتها، وكذلك دور الأصول غير المادية أو الأصول المعرفية، وبعبارة موجزة تأثير العلم والمعرفة في النمو الاقتصادي. ولا يخفى على من له شيء من الحصافة والفكر السليم أنّ الأداة الأساسية لما يسمى بالاقتصادي غير المادي أو اقتصاد المعرفة هي اللغة، فيؤكد بذلك ما بين الاقتصاد واللغة من اتصال وينفتح المجال للبحث فيه وتحديد مجالاته وخصائصه وآثاره...

3. في العلاقة بين الاقتصاد واللغة

منذ دخول عالمنا الحديث مجال العولمة بمفهومها الشموليّ العام أصبحت مفاهيم الاقتصاد العولمي تكتسح مختلف جوانب حياة الإنسان. وكان لتقنية المعلومات الدور الأساسي في عملية الاكتساح تلك. فقد امتلكت المعلومات والمعارف قيمة اقتصادية بيّنة وبذلك أصبحت المعرفة بمفهومها الشامل عنصراً اقتصادياً بارزاً له أثره الواضح في الاقتصاد الحديث. وكان ذلك أهم سمات ما سمي باقتصاد المعرفة. ومن هنا توجه الاهتمام إلى الاقتصاد غير المادي وقوامه اللغة لتحديد أهم معالم الاقتصاد الحديث. فقد تأكد أنّ التنمية البشرية شرط أساسي للتنمية الاقتصادية. وأهم عناصر الاستثمار في التنمية البشرية هو الإنسان وخاصة معارفه التي تقوم على اللغة العلمية والتقنية.

وكان لابدّ، عند هذه النقطة، من طرح الأسئلة المتعلقة بالترابط المتين بين العمل على تنمية الموارد البشرية والنجاح في التخطيط المستقبلي الشامل، وبين النجاح في تجاوز الانقسام الكائن بين واقع التربية والتعليم وشروط النهضة الحضارية. فإنه لمن المتعزّز الإمساك بأساسيات اقتصاد المعرفة في مجتمع لا يحقق النجاح في جعل المهمة التربوية ناجحة وناجعة وباللغة القومية دون سواها، وبعد ذلك بلغة أو لغات سواها... فلا إمكان للنجاح - بداهة - لتأسيس منظومة معرفية دون إرساء منظومة لغوية شاملة مشتركة. فاللغة كما يؤكد بعض الدارسين "هي الحامل الضروري الملازم والمواكب لكل إنجاز تنموي، وهي بما هي

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

موضوع للتعليم وللبحث وللإنتاج، ركنٌ أساسي في كل مشروع اقتصادي¹. فقد أثبت تطور البحث العلمي وتأزر العلوم والمعارف في النظر إلى الظاهرة اللغوية أنها ليست مجرد حاملة للفكر، كما يعتقد، وليست وعاء يحوي المفاهيم والتصورات والمشاعر والأحاسيس... ولم يبق بعد ذلك مجال للفصل بين اللغة وما تحيل عليه، فهما في تداخل متين لم تتمكن من فك شفرته إلا أدق العلوم الحديثة...

قبل الوعي بهذا التضافر العلمي والتطور المعلوماتي لم يكن الاقتصاديون يولون "عناية كافية للتغيير اللغوي في نماذجهم الاقتصادية بسبب غياب المعايير الكمية التي يستند إليها النموذج الاقتصادي وعدم وضوح طبيعة العلاقة بين المتغير الاقتصادي والعنصر اللغوي... و(ظلت) نماذج تقدير اللغة شحيحة وتميل إلى المنهج الإحصائي الموازن الذي لا يعالج الجوانب التفصيلية للمسألة وتشابك المتغيرات الحاكمة للمتغير اللغوي وتداخلاته مع المتغير الاقتصادي"².

أما بعد ثبوت هذه العلاقة بصفة علمية وتأكد الوعي بها معرفياً فقد أصبح من البديهي البحث في دقائقها وجزئياتها، فقد ثبت أن معاني الكلمات ليست وليدة نطقها ودلالاتها اللغوية فحسب. وإنما من الأغراض التي تؤديها في نقل المضامين غير المادية وتحويلها إلى معرفة تعدّ مرتكزاً لأنماط متعددة من عمليات الإنتاج التي تؤثر في مستوى القيمة بالمعايير الاقتصادية... فالكلمات شأنها شأن العملات لا تستمد قيمتها ودلالاتها الاقتصادية إلا من طبيعة الاستخدامات المتاحة لها لدى من يوظفونها للوفاء باحتياجاتهم في بيئة اقتصادية بذاتها³.

هكذا أصبح أمر العلاقة بين اللغة ومقومات الاقتصاد أكثر دقة وتحديداً واتجه البحث نحو التفاصيل والجزئيات، وكان لابد أن يحظى ما بين اللغة والعملة من تشابه بالنصيب الوافر من

¹ المسدي، نحو وعي ثقافي جديد، ص 177.

² حسن مظفر الرزوي، الإنترنت مبحث اللغة والاقتصاد، تاريخ الإضافة 2009/12/3، التصفح 2010/8/21.

³ الرزوي، الموقع السابق.

تلك الجهود.

اللغة/العملة

لقد بدا أنّ مبدأ التبادل الذي يقوم عليه الاقتصاد الحديث هو الذي كان منطلق الاهتمام باللغة واكتشاف ما بينها وبين العملة من تشابه يكاد يصل حد التطابق. فانطلاقاً منه أخذ علماء الاقتصاد في معالجة قضايا اللغة باستخدام نفس المبادئ المعتمدة في معالجة قضايا العملة.

فالحقيقة المؤكدة هي أنّ كلاً من اللغة والعملة أداة للتبادل. ولذا فإنّ كلّ أداة منهما تحدد قيمتها بقيمة ما تحيل عليه من محتوى. غير أنه في الأولى محتوى مفاهيمي وفي الثانية مادي صرف... ثم إن قيمة النقود لا تقف عند حد أنها أداة لتبادل السلع كما أنّ للكلمات بعداً مادياً ينعكس مباشرة على البيئة الاقتصادية. وبما أنّ كلاً منهما يستمد قيمته من إنجاز وظيفة التداول عدّ كلامها ثروة وطنية تسكّ برعاية الدول، ثروة وظيفتها مزدوجة. فهي وظيفة تداولية حين توفران التداول وسلعية في الجوهر، باعتبار النقود معدناً والكلمة معلومة. وكفاءة عمل المؤسسات الاقتصادية قوامه حسن تبادل المعلومات والخبرات الذي تُوفّره اللغة وحسن تبادل المواد والسلع الذي تسهّله العملة. وإنّ النمو الاقتصادي يقتضي التعامل بعملة واحدة مشتركة، كما ثبت أنّ للتعدد اللغوي في المجتمع الواحد أثراً سلبية مؤكدة كما أنّ كليهما قابل للصرف، الأولى بتبادل العملات والثانية بالترجمة. وقد تبين من خلال البحث الاقتصادي أنّ العلاقة بين انتشار عملة الدولة وانتشار لغتها ثابت مطرد كما يتجلى في انتشار الدولار واللغة الإنكليزية والين واللغة اليابانية... أما تداول عملة أجنبية في بلد ما وكذلك لغة علمية أجنبية فيعني التبعية الاقتصادية وجمود العملة واللغة القوميتين. وعدم تداول العملة القومية مثل نشر العلوم بغير اللغة القومية الذي لا ينجح. ولذا لابد من اعتبار شأن كل من اللغة والنقد شأناً قومياً من مسؤوليات الدولة رعاية وتنظيماً وتخطيطاً وآليات واستثماراً... فامتلاك اللغة على حد عبارة حسن مظفر الرزو "مثل امتلاك النقود ينطوي على إمكان توسيع مجال الفعل لدى الأفراد، وبذا ينطوي على إمكان إغنائهم متى نجح أصحابها في استثمارها بطريقة صحيحة.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

من أجل هذا بات التوظيف المكثف للخطاب اللغوي في جل النشاطات السائدة بالمجتمع العولمي الجديد يمثل عاملاً حاسماً من العوامل ذات الصلة بالبنى الاقتصادية التحتية المعاصرة¹.

هكذا أصبح شأن العملة واللغة وما بينهما من اتصال وتشابه عند علماء الاقتصاد والفلسفة واللغويين على السواء، فتناولوا المسألة في أدق دقائقها من عملية السك إلى القيمة التداولية والوظيفة التبادلية إلى التحكم في النمو الاجتماعي والاقتصادي معاً. وقد أورد صاحب كتاب "اللغة والاقتصاد" فلوريان كولماس² جزئيات تلك المواقف والآراء وذلك بإيجاز آراء كل من David Hume و Adam Smith و J. G. Haman و De Faro و K. Marx و Simmel و De Buhler و Eco و Luhman. ثم انتهى إلى أنّ الأمر فيما يتعلق بالتوازي المفاهيمي بين اللغة والنقود هو أكبر من مجرد مجاز خرافي. ذلك أنه ينبني على حقيقة أنّ جوهر كل منهما إنّما يتمثل في كونه أداة للتبادل من دون أن يعني ذلك أنّ هذا التشابه يمكنه أن يفسر لنا طبيعتهما تفسيراً كاملاً، ومع ذلك فإن محاولة استكشاف تفاصيل هذا التشابه يمكن أن تكون مفيدة عندما نكون معنيين بالطبيعة الاجتماعية للغة والنقود وفائدتهما للمجتمع. فاللغة يتعين اعتبارها أمراً له قيمته ليس بالمعيار المعنوي وحده، ولكن أيضاً بالمعيار المادي، كما أنّ قيمة النقود تتجاوز بكثير وظيفتها باعتبارها أداة لتبادل السلع الاقتصادية. وكل من اللغة والنقود تدين بوجودها للاعتماد المتبادل بين الناس، مع أنهما تباعدان بين الناس باعتبارهما وسيطين لتفاعلهم اجتماعياً. فضلاً عن ذلك فإن بينهما علاقات ذات أهمية فيما يتعلق ببناء المجتمع. فالنقود أيضاً تقوم بوظائف اتصالية كما أنّ اللغة تقوم بوظائف اقتصادية³.

وقد يكون من الأجدي والأكثر فاعلية وإجرائية بعد بيان علاقة اللغة بالاقتصاد انطلاقاً من

¹ حسن مظفر الرزوي، الموقع السابق.

² انظر كتابه "اللغة والاقتصاد" وخاصة الصفحات من 8 إلى 30.

³ فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد ص 30.

الإنسان، القاسم المشترك بينهما، النظر في مجالات فعل اللغة في الاقتصاد بالكشف عن تدخلها في مفاصله الأساسية الثلاثة أي الإنتاج والمنتج والتسويق...

4. اللغة عامل نمو اقتصادي

أ. مبادئ أساسية عامة

لقد أثبتت الأبحاث النظرية المستندة إلى بعض التجارب الإجرائية في مجال علاقة اللغة بالاقتصاد جملة من الثوابت أو ما يقاربها مما يمكن اعتباره مبادئ نظرية عامة تؤسس لبناء نظرية في المجال. وكان أولها ما يتعلق باقتصاد المعرفة الذي ثبت فيه أن رأس المال البشري مثل رأس المال المادي في الأهمية عند السعي إلى تحقيق النمو الاقتصادي للمجتمع، إذ إنَّ تعليم اللغة وخاصة العلمية منها والتقنية هو أحد مقومات تراكم رأس المال البشري مما يحتم اعتبار ذلك مجالاً صالحاً للاستثمار فيه تعلماً وتعريباً، علماً أن رأس المال البشري يتميز عن نظيره المادي بميزة أساسية ذات بعد اقتصادي هام هي أنه (البشري) على النقيض منه (المادي) ينمو بالممارسة والاستخدام. وهو مجال على درجة من الاتساع غير خفية، إذ تفرز المجتمعات جملة من القطاعات الاقتصادية والخدمية كثيرة تقوم على اللغة ويمكن استثمار اقتصادياً باللغة الأم مثل الإعلام والنشر وتقنية المعلومات... وقد أثبت البحث والإحصاء أنَّ العائد الاقتصادي للاستثمار في تعليم العلم والتقنية مؤكد عندما يكون باللغة الأم أما الاستثمار فيه بلغة ثانية فإنَّ عائده يكون مقتصرًا على المجال الاقتصادي وحده ولا يخلو أيضاً من نواقص تشوبه.

وذهبت بعض الدراسات، حتى العربية منها، إلى محاولة ضبط صيغة التفاعل بين الطرفين فيما أسماه بعضهم¹ وظائف ونظريات اقتصاد اللغة ورأى أنَّ الوظائف خمس هي:

1. اللغة تضمن تبادل المعرفة والخبرة بين الأفراد والمؤسسات مثلما يحقق المال تبادل السلع.

¹ انظر على سبيل المثال مرياتي، تأثير اللغة في النمو الاقتصادي والاجتماعي في الدول العربية الموقع:

informag.news.sy/index.ph?:Issue تاريخ التصفح: 2010/9/20، الساعة 21.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

2. إتقان اللغة العلمية من قبل القوى العاملة يحقق نقل التقنية من منابعها العالمية.
3. العمل المشترك يقتضى لغة علمية وتقنية مشتركة ويحقق زيادة الدخل. ولا يتسنى ذلك إلا باللغة الأم.
4. تحويل العلم والتقنية إلى اقتصاد منتج يحتاج إلى لغة.
5. بناء مجتمع المعلومات يقتضي المعرفة التقنية من قبل القوى العاملة وكامل المجتمع ولا يتسنى ذلك إلا باللغة الأم.

أما ما عدّ نماذج لنظريات اقتصاد اللغة فقد حددته الدراسات بثلاثة هي:

1. نموذج التجارة: وقوامه أنّ الاستثمار في تعليم اللغة ضرورة لها عائد مثل كل مقومات عملية الإنتاج كما أنّ تصدير اللغة والمواد الاقتصادية معا له ربح مضاعف، في حين أنّ الاستثمار في لغة ثانية هو إنفاق غير مؤكد الربح، كما أنّ الترجمة وتعلّم لغة أجنبية على حساب اللغة الأم هو استيراد وضعف للتصدير.
2. نموذج رأس المال البشري: وفيه يتأكد أنّ النمو الاقتصادي يتناسب تماماً مع معدل النمو الثقافي أي إنّ مستوى المعرفة عند القوى العاملة، وهي رأس المال البشري، من مقوماته الأساسية معرفة اللغة العلمية والتقنية. والمجتمعات في واقعنا المعيش أصبحت تصنّف بحسب اقتصاد المعرفة قبل الدّخل المادي. ثم إنّ الترجمة في العلوم والتقنية هي إغناء للمعرفة العامة عصب مجتمع المعرفة الأساسي المنشود، كما أنّ المعرفة واللغة يعدّان من الأصول في عملية الاستثمار في رأس المال البشري وفي قواعد المعرفة ونظمها... في حين أنّ الجهل باللغة العلمية والتقنية يؤثّر سلباً في إيجاد فرص العمل والتدريب والترفيه للعاملين أما إتقانها فعائده الاقتصادي مواز لدرجة المعرفة بها...
3. نموذج عائدات التشبيك (الاشتراك): لقد تأكد أنّ تعلم اللغة العلمية هو تعميم للمعرفة وللفادة الاقتصادية تبعاً. ويحصل ذلك خاصة إذا كانت تلك اللغة واحدة لأنّ البحث أثبت أنّ النمو الاقتصادي يتناسب طردياً مع ذلك ويختل بجلاء عندما تتعدّد اللغات في المجتمع الواحد، لأنّ اللغة المشتركة مثل العملة الموحدة، إذ كلاهما رأس مال وطني. ثم إنّ فعاليات الإنتاج

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والخدمات تحتاج إلى أداة للتواصل ولا تكون إلا اللغة الواحدة وخاصة عندما يتم التوافق بين المكتوب والمنطوق منها. وقد تأكد أنّ اللغة ثروة اقتصادية وتداول الألفاظ يوازي تداول السلع كما سبق أن أشرنا ونقل التقنية المأمول لا يكون بشراء وسائل الإنتاج لأن ذلك لا يؤدي إلى التوطين وإن كان يضمن نمو الإنتاج مرحلياً. أما وسيلة التوطين والاستفادة من النتاج العلمي فمشروط بالمقدرة على الاستيعاب ولها عائد اقتصادي مؤكد كبير. ولذا فإنّ التعليم باللغة الأم هو الضامن لتحقيق العائد الاقتصادي الأكبر.

ولمّا وقع تركيز النظر على "سوقية" اللّغة، بمعنى طابعها التجاري لا بالمفهوم التهجيني للسوقية، تبين أنّ اللغة والسوق نظامان متماثلان، إذ اللغة نتاج للعمل الجمعي وثروة اجتماعية متراكمة وتداول الألفاظ يشبه تداول السلع في السوق. فقد كان التسوّق قديماً يقوم على المقايضة وهي ما يماثل تبادل المعاني بصفة مباشرة، ثم تدخلت اللغة أداة للتواصل بين طرفي عملية التسوّق. وأفرز ذلك كلمات اعتبرت وظيفية فكانت السلع المتميزة مثل الأحجار الكريمة. وكذلك حين تحوّلت العملية من مجرد تبادل للبضائع من أجل الاستهلاك إلى التبادل من أجل السوق والربح، اقتضت لغة مشتركة كما اقتضت النقود وسيلة للتبادل، فامتدّ السوق استوجب الكلام، فكان "الدلال" (مشهر البضاعة) هو الرمز لذلك. ثم تولّى مهمته الإشهار الذي لا يستغني عن اللغة صوتاً أو كتابة. والسوق تكون في الغالب سوقاً وطنية توفّر التواصل بين أصحاب المهن المختلفة والبيئات المتنوعة. وهو ما يقتضي ضمان التفاهم الذي لا يوفّره إلا نظام دلالي مشترك هو قوام اللغة ومفهومها الأسمى والأعمق. فالنقود واللغة إذن نظامان دلاليان يشكّلان أساساً مشتركاً لنظام معياري واحد. وسبق أن اعترف (Lenine) بأهمية التجانس اللغوي لازدهار النشاط الاقتصادي لأنه من شروط التجارة الواسعة النطاق والحرّة التي تتناسب النظام الرأسمالي. ثم إنّ الاقتصاد النقدي واللغة المشتركة يشكّلان أيضاً نقلة نوعية في التطور الاجتماعي، لأنهما ينشئان علاقات جديدة بين الأفراد ويفتحان إمكانات جديدة للمشاركة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وقد أثبت التاريخ، الاقتصادي واللساني منه خاصة، تلازم الحداثة تاريخياً مع اتساع نطاق

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

التجارة والتوحيد اللغوي للأمم لأن تقسيم العمل والتخصص في الاقتصاد النقدي يقوم على زيادة عدد المنتجين لتبادل المنتجات. ونطاق اللغة يضيق أو يتسع بمقدار اتساع دائرة مستخدميها لأنها تمثل الناتج المشترك لهؤلاء المستخدمين. إنَّ نشر اللغة مطابق لاتساع السوق والاتصال اللغوي يخدم أغراضاً متنوعة من بينها إقامة علاقات مفيدة اقتصادياً. والفرص في هذا المجال لعضو جماعة لغوية من عشرة أعضاء مثلاً أفضل بكثير من فرص عضوي جماعة لغوية تتكون منهما فقط.

ولقد أجمل سعيد أحمد بيومي محقّقاً طبيعة العلاقة بين الاقتصاد واللغة بالقول "ظلت العلاقة بين الاقتصاد واللغة تتنامى عالمياً حتى غدت اللغة بالنسبة للنشاط الاقتصادي الحديث ركيزة محورية مثل النقود، وتنشأ أهميتها من كونها عنصراً أساسياً من عناصر الاتصال الذي يعتمد عليه النشاط الاقتصادي اعتماداً كبيراً، كما أنَّ الاقتصاد قد أصبح دوره مهماً في انتشار اللغة"¹.

ب. اللغة وسيلة إنتاج

اللغة في نظرنا إحدى الوسائل التي تؤثر في الإنتاج وقيمتها سلباً أو إيجاباً. ولكنَّ البعض قد لا يراها كذلك لأنها ليست من الوسائل المادية المعلومة كالإنسان والآلة والمواد الخام... وإنما هي تدخل سلسلة الإنتاج ملتحمة بإحدى تلك الوسائل متداخلة معها (الإنسان) لأنها من مستلزماته، ولذلك هي خفية أثرها نفسي اجتماعي فيه. ولكنه مادي كمي في مستوى الإنتاج.

وقد يكون الانتباه إلى هذا الجانب الخفي هو ما أعطى للبعد النفسي في الإنتاج اللغوي والاقتصادي القيمة التي أصبح يحظى بها، فظهرت وظيفة المرشد السيكلولوجي وعلم النفس الصناعي.

وقد اهتم الأول بأثر الكلام وعدمه في حالة الإنسان النفسية. وأجمل ذلك أريك فروم بقوله:

¹ سعيد أحمد بيومي، الموقع: <http://www.diwanlab.com/spip.ph> تنزيل يوم 2006/6/16، التصفح يوم 2010/9/31

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

"إن المرشدين النفسيين (السيكولوجيين) يؤدون دوراً كبيراً كأطباء خاصين وكناصحين في شؤون الصناعة... وهو (الإرشاد) أقرب إلى أن يكون تخفيفاً من حدة التوتر الذي ينشأ عن الكلام الصريح في أمر من الأمور في حضرة مستمع عطوف، فإنّ ما يضره المرء من أفكار ما دام يحتفظ بها لنفسه قد تسبب له الانزعاج والهلع. غير أنّ هذا الانزعاج نفسه قد ينتهي بصاحبه إلى نتيجة مثمرة. فهو يدير في ذهنه آراء، ويفكر ويشعر وقد يصل إلى فكرة جديدة تتولد عن هذا المجهود..."¹

ولئن كانت مهمة المرشد الاجتماعي كشف أهمية الكلام في سلوك الإنسان عامة وحالة العامل النفسية أساساً، فإن علم النفس الصناعي نراه أقرب إلى ما نحن بصددده لأنه اتخذ العامل ومهمته الإنتاجية هدفاً صريحاً له لأن "البحوث (فيه) تتعلق بمشكلة زيادة القدرة الإنتاجية للعامل..." فأكثر علماء علم النفس الصناعي يهتمون بنفسية العامل بمعنى أنه إذا كان يحسن عمله لو حقق لنفسه سعادتها، إذن فلنجلعه سعيداً آمناً راضياً... إنّ السعادة والقيم الإنسانية ذاتها لتتجسّد من أجل تحسين العلاقة بين العامل وجمهور المتعاملين معه، أي إنه مما يرضى العملاء أن يكون العامل سعيداً ومما يعود على الإدارة بالريح الوافر أن تتحسن العلاقات بين العامل والجمهور. وفي هذا المجال من الدراسات يتحدث الباحثون عن العلاقات الإنسانية... ولما كان العمل منفصلاً عن صاحبه لا يبعث في نفسه الرضا والطمأنينة، فهي تنتهي دائماً بنتيجتين، أولاهما التطلع إلى الكسل التام والأخرى الكراهية العميقة - وإن تكن لاشعورية في كثير من الأحيان - للعمل وكل شيء وكل فرد يتعلق به"².

إنّ هذا الضرب من الدراسات والوظائف لئن كان يتعلق بالحالة النفسية للعامل وأثرها في إنجاز العمل ومن ثم في عملية الإنتاج وتتنضح فيها إلى حدّ أهمية التواصل والتفاعل مع المحيط الاجتماعي، فإنّ من أهم أدوات ذلك التواصل المحقق للسعادة والانطلاق المحققين

¹ أريك فروم، المجتمع السليم ص 124.

² م.ن ص ص 137-138.

للفعل المنتج للتخاطب اللغوي.

أمّا الدراسات الميدانية فلا شك أنها تكون أكثر إجرائية وتوضح بجلاء العلاقة بين اللغة والإنتاج كما حددها العديد من علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد مثل Star and Robert Bourdieu وذلك بدراسات ميدانية مؤكدة بالأرقام والإحصائيات¹.

غير أنه يمكننا أن نضيف انطلاقاً مما أكدته البحوث اللسانية والفلسفية من علاقة نفسية متينة بين المتكلم والكلام وبين اللغة والفكر من تداخل واتحاد، وكذلك مما أثبتته علم اللسان من علاقة بين العلامة اللغوية ومدلولها ومرجعها، أنّ العمل في محيط اجتماعي ومادي متلائم مع العامل من الوجهة اللغوية يكون دون شك أكثر مردوداً. فأنّ يتعامل العامل مع آلة وأداة يعرف أسماء مكوناتها بلغته الأم ومع مرافقين له في العمل ينطقون بنفس لسانه، يجعله حينئذ في وضع نفسي سمته عمق الاتصال وتجاوز كل الحواجز العميقة الفاصلة بين المادة والتعامل ليصل إلى كنه العنصر المادي ويجد ذاته في حالة من التلاؤم مع ما ومن يتعامل معه فيكون نشاطه - دون شك - أشدّ وفعله أجدى وإنتاجه أكثر.

ج. اللغة سلعة

إذا كان إثبات أنّ اللغة يمكن أن تكون أداة إنتاج لا تقل عن سواها من الأدوات فاعلية وقيمة على درجة من الدقة لم يتسن الوقوف عليها إلا بالتحليل الدقيق، فإنّ الإقرار باعتبارها منتجاً قابلاً للتسويق وسلعة مؤهلة للتداول محققة للكسب المادي ليس، فيما نعتقد، أقل من الأول تناسباً ودقة لأن اللغة، كما يذهب في الظن، هي ظاهرة غير مادية يكاد من المستحيل تشبيهاً وتسعيرها وتداولها بمقابل مادي صرف. غير أن الدراسات الحديثة الجادة* في المجال انكبّت على هذه المسألة وخلصت إلى أنّ "اللغات يمكن أن تعدّ مشروعات استثمار رأسمالي بالمعنى الحرفي لا بالمعنى المجازي" وحددت تبعاً لذلك مجالات الاستثمار اللغوي وشروطه

¹ م. ن، ص ص 21-22.

* انظر خاصة الصفحات من 86 إلى 110 من كتاب فلوريان كولماس اللغة والاقتصاد.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ومقوماته وفوائده وعموماً كل ما يتعلّق بالمسألة ويسند الرأي فيها.

وكانت أهم مجالات الاستثمار الممكنة والمؤكدة الفائدة ما يمكن الاصطلاح عليه بالحوامل المادية أو الافتراضية للغة أي تصنيف المعاجم العامة ومعاجم المصطلحات والمعاجم المتخصصة وبرامج معالجة النصوص والترجمة الآلية والذكاء الاصطناعي بتوفير ذخائر اللغة وبنوك المعلومات ونُظُمها والعمل على موازنة اللغات للأجهزة الإلكترونية الحديثة... ولا يخفى أنّ العمل في هذه المجالات لا يمكن أن يكون استثماراً مربحاً ناجحاً إلا بتوفر جملة من الشروط مما يجعله مجالاً شديداً الحساسية من الوجهة الاستثمارية.

ومنشأ الحساسية فيه أنه مجال يتطلب استثمارات هائلة قد لا يقدم عليها أو لا يقدر عليها القطاع الخاص إلا إذا ضمن عائده وربحيته سلفاً لأن رأس المال جبان بطبعه كما هو معلوم. ولذا يعدّ مجال استثمار للدول، والقادرة منها خاصة، دون سواها. وأما شرط نجاحه الأول فهو، كما في كل استثمار، ضمان جودة النّاتج وسعة السوق ساحة الترويج ثانياً. وتتمثل الجودة في هذا المجال في أن تكون اللغة موضوع التبادل أو الترويج على درجة من التطور تتيح لها مواكبة الخطاب العلمي والتقني السائد.

وأما سعة السوق فمحكومة بحجم الجماعة اللغوية المستهدفة من عملية التسويق، وإن كان البعض يرى أنّ أهمية الجماعة تلك لا تكمن في قوتها العددية الإجمالية، وإنما هي قوة نوعية قوامها الجماعة المؤهلة فعلاً للإقبال على تلك اللغة/السلعة المعروضة للاستهلاك. وهو أمر غير ثابت ولا قار.

ومن مجالات أو مسالك الاستثمار اللغوي أيضاً الترجمة. وهي في نظر الدارسين استثمار طويل الأمد للحفاظ على قيمة اللغة وحتى تنميتها، لأن قابلية لغة ما للترجمة سبيل لتوحيد المصطلحات وابتكارها المستمر وذلك إلى جانب دوره في حفظ الهوية القومية بجعل اللغة المعنية غنية مهيأة للترجمة بسهولة إليها من اللغات الأكثر منها تطوراً. وذلك شرط مكانتها المتقدمة في سلم اعتبار الألسن ودونه تفقد اللغة قيمتها شأن العملات غير القابلة للصرف.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

إنّ توفر الشروط السابقة يثبت أنّ اللغات يمكن أن تكون لها قيمة سوقية هي قيمتها التبادلية باعتبارها سلعة قابلة للتداول ومحققة للربح المادي. وتتبدى تلك القيمة بوضوح خاصة في مجال تعلم اللغة الأجنبية وتدريسها عند النظر إليه باعتباره سوقاً. ففي ذلك المجال تتعدّد الأسواق وتتنوع فتكون محلية وإقليمية ووطنية وعالمية. وهذه السوق، سوق اللغة، تخضع كذلك لكل مخاطر الأسواق عامة. فهي قد تشهد تقلبات مثل سواها من أسواق الماركات المسجلة والأوراق المالية والعملات. أمّا العوامل المحددة للقيمة السوقية للغة في مدة زمنية محددة فهي أيضاً متعددة ومختلفة، تكون سياسية وثقافية وقبل ذلك هي عوامل اقتصادية... وقد لا يكون ذلك في منأى عن الإدارة السياسية المتحكمة وطبيعة الاستراتيجيات الاقتصادية المرسومة من قبل المعنيين بالاقتصاد وسبل النهوض به. وهو ما قد يفسر في نظر البعض وضع اللغة الصينية مقارنة نظيرتها اليابانية، فالأولى بالرغم من كونها لغة رسمية في العديد من الأقاليم والبلدان الأخرى، لا يُرى الإقبال عليها باعتبارها لغة أجنبية في دول العالم لافتاً بعد، في حين أنّ اللغة اليابانية تشهد تطوراً لافتاً في مجال تعلمها باعتبارها لغة أجنبية في العديد من الدول، يكاد يكون مطابقاً لمنزلة العملة اليابانية الين في سوق العملات العالمية.

ولا شك حينئذ أنّ اللغة الصينية تخسر كثيراً من هذا في مجال اعتبارها سلعة متداولة لأن اكتسابها بوصفها لغة ثانية مجال استثمار يتطلب نفقات هائلة على المستويين الفردي والاجتماعي. وذلك هو الأساس الاقتصادي لصناعة لغوية كاملة قوامها مؤسسات النشر ودور الطباعة ومعاهد تعليم اللغة وشبكة من المعدات التقنية الدقيقة للسمع والإبصار وإعداد برامج إلكترونية لتعليمها. وإنّ ضخامة هذا الاستثمار لا تجعله مشجعاً للمستثمرين إلا عند توفر الطلب المؤكد الواسع كما يقتضي قانون الاقتصاد الأساسي. ولا شك أنّ اللغات الضامنة لتلك السوق هي اللغات ذات القيمة الاقتصادية دون سواها.

وتتحدد قيمة اللغة الاقتصادية كذلك بعدد المهنيين الذين تضمن لهم الارتزاق بالعمل في مجالها. وذلك محكوم أيضاً بمدى قابليتها للتداول والتسويق دون شك.

ولهذه الاعتبارات التي يمكن أن تعدّ معوقات، يمكن إرجاع ظاهرة قلة عدد الأسواق

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

اللغوية في العالم. فعدد اللغات الذي تتوفر فيه أسس الصناعة اللغوية ليس كبيراً. وسوق اللغات هي ذاتها وبطبعها سوق ضيقة نسبياً والمتعاملون فيها عددهم قليل. وهي في الجملة تحت سيطرة بعض كبار المنتجين، غير أن هذه الصعوبات والمحاذير يجب أن لا تحجب أن لِسْلَعَةَ اللغة كذلك بعض المميزات التي تنفرد بها دون سواها من السلع المادية خاصة... فاللغة، مثل باقي السلع غير المادية وعلى النقيض من السلع المادية، مخزونها لا ينخفض بعملية البيع وربما ينمو لأن الذين يبيعونها، المدرسين، لا يخسرون من مخزونهم منها ما يكسبه الدارس مع أنه يدفع مقابله ككل مشتر لسعة أخرى. فالبائع في سوق اللغة لا يعرض بضاعته، وإنما يعرض خدماته وما يقومها من منتجات مادية حاملة هي التي تتحول بمقتضاها البضاعة/اللغة من المجال اللامادي إلى المجال المادي مثل الكتب والقواميس والبرامج التعليمية. وإن المقصود في الأصل بالبيع والشراء هو اللغة ذاتها لا تلك الحوامل المادية. واللغة مع ذلك تبقى هي هي عند مسوقها لا يضطر إلى الإنتاج منها كل مرة يبيع فيها بعضها. فالتعامل بين طرفي العملية التبادلية يقوم على عنصرين سلعة من جهة وخدمة من الجهة الأخرى. ومن الميزات الأخرى للغة/السلعة هي أنها تزداد قيمة مع كل عملية بيع فكل متحدث يكتسبها تكسبه. فهي إذن مخزون سلعي رخيص نسبياً في الأصل و"كل مخزون سلعي رخيص يزداد سعره لأنه يكتسب قيمته ويكتسب قيمة لأنه يزداد سعره". واللغة تزداد فائدتها بقدر تعلم الناس لها وكلما زادت فائدتها كثر شُرُائها... وقيمة اللغة محكومة أساساً بوظيفتها أي قيمتها الاستخدامية التي تنمو كل مرة يجري فيها عرضها في الأسواق الأجنبية... وتلك القيمة الاستخدامية بدورها محكومة بما يسميه البعض "الميزة الاجتماعية للعمل" أي باعتبارها أداة تستعملها جماعة ذات تأثير في مجالي السياسية والاقتصاد...

وعلى النقيض من ذلك، فإن العجز عن تصدير اللغة القومية يجر حتماً إلى استيراد لغة الآخر.

وإجمالاً يمكن استنتاج أن الجانب الاقتصادي للغة يشمل جملة من المجالات هي:

- المجال الاتصالي وتحكمه القيمة الديمغرافية للجماعة التي تستعمل اللغة أولاً باعتبارها لغة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أولى وثانياً باعتبارها لغة أجنبية.

- مستوى تطور الإمكان الوظيفي للغة باعتبارها أداة إنتاج ومستوى فرص استخدامها.
- المقدار الكلي للاستخدام المادي المرصود للغة.
- حجم الطلب على اللغة/السلعة في السوق الدولية للغات الأجنبية وما يلزمه من صناعة مقومته حامله. وكذلك قيمة المخصص للاستخدام في اللغة من الدخل القومي.
- رصيد الحساب الجاري للغة بالنسبة للجماعة اللغوية المعنية.

فاللغة إذن، إذا توفرت لها جملة الشروط المحددة والعوامل المساعدة وكانت تتميز بالقابلية الذاتية للتسويق، يمكن أن تكون مجال استثمار مؤكد وسلعة للتداول مضمونة النفوق والكسب، مما يدعم قيمتها باعتبارها من أسس الهوية القومية كذلك.

د. اللغة أداة للتسويق

لا يعدو الفصل بين اللغة باعتبارها سلعة وبين اعتبارها أداة للتسويق أن يكون منهجياً لأن المجالين في الحقيقة حكمهما التلازم والتلاصق إذ لا تسويق لبضاعة دون مروج ولا مكان لتسويق دون بضاعة تسوّق، غير أنّ هذه الوظيفة للغة قد أدركها الغربيون منذ عقود وبعض القوى الاقتصادية الصاعدة حديثاً في آسيا. ولم ندركه نحن العرب بعد، فقد قال المستشار الألماني الأسبق ويلي براندت "إذا أردت أن أبيعك بضاعتي يجب أن أتحدث لغتك، وإن أردت أن تبيعني بضاعتك فعليك أن تتحدث بالألمانية".

في حين قال أحد الرؤساء الفرنسيين "علّموهم الفرنسية يستهلكون فرنسياً". وما يبدو بين القولين من اختلاف قد يراه البعض تناقضاً يخفى في الحقيقة انفاقاً كاملاً مفاده علاقة اللغة بالتجارة والاقتصاد.

فقد كان هاجس المستشار الألماني في قوله هاجساً اقتصادياً بالأساس، وهمّه كيف يسوق بضاعته. فأراد رسم قاعدة عامة وهي أن دخول سوق المستهلك لا يكون إلا بلغته ويقتضي ذلك أن يشتري الألمان لغة الآخر ليبيعه منتجه المادي، وعلى الآخر أن يشتري اللغة الألمانية

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ليجعل ألمانيا سوقاً لبضاعته، فهمّه إذن هو الكسب المادي أساساً وما اللغة فيه إلا أداة ضامنة لدخول السوق.

أما الفرنسي فيبدو أنّ جشعه أكبر وفكرة الإمبراطورية الاستعمارية عنده أقوى، لذلك وهو يعي اقتران التجارة باللغة، يرى المسألة من حيث لم ينظر إليها الألماني. فهو يسعى إلى كسب مزدوج، بيع البضاعة وبيع اللغة معاً، ومفاد قوله أنّ في بيع اللغة تكييفاً للهوية. وحين تكيّف الهوية فتُفَرِّسُ يَكَيّفُ الذوق أيضاً فيحصل الإقبال على كل ما هو فرنسي.

ولكنّ في القولين، كما ذكرنا، إقراراً بقيمة اللغة لضمان السوق للبضاعة المادية المراد تسويقها، ولا يزال كلا الموقفين يلقي العديد من المناصرين فنرى دُولاً، تحت لواء العولمة تسعى جاهدة لفرض لغاتها على بقية الأمم لضمان ولائها وفتح أبواب أسواقها أمام الاقتصاد المعولم، في حين نجد أمماً أخرى جعلتها الفائدة الاقتصادية تنطق بلغة الأسواق المستهدفة لتلقى الرواج بين أهلها. وهو دأب الدول الآسيوية خاصة التي تغزو أسواقنا العربية بضاعتها بلغتنا وقيمنا ومقولاتنا حتى الدينية منها.

أمّا الفئة الثالثة التي نحن منها فهي التي لا تعي بعد علاقة السوق باللغة، فأخذت تشهر لإنتاجها حتى في سوقها "المحلية باللغات الأجنبية...!

هـ. الواقع العربي والعامل اللغوي، الوعي المفقود المنشود

إن النمو الاقتصادي المعرفي هو مفتاح حلّ أهمّ القضايا الاقتصادية العربية المعاصرة. وهو ما يستدعي الوعي بأهمية دور اللغة العلمية والتقنية للقوى العاملة العربية وبناء مجتمع المعرفة، وهو ما يستلزم تعليم العلوم والتقنية باللغة العربية ودعم عمليات الترجمة لأنّ من أسباب التخلف الاقتصادي العربي ضعف معرفة القوى العاملة العربية بالعلم والتقنية باللغة الأم.

هذا الرأي على بداهته الجلية الظاهرة مازال يلاقي مواقف معارضة شرسة جداً من قبل العديد من رموز ما يدعى بالنخبة العربية، فكراً وسياسة، قبل معارضة المتضررين منه حقيقة

التعريب العدد الثالث والأربعون . المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أي قوى الهيمنة العالمية المعولمة. وما زالوا جميعاً يصطنعون من الذرائع والحجج ما يريدون به تعطيل عملية التعريب، العلمي والتقني خاصة، الذي نراه عصب التقدم المنشود للأمة. وقد يكون آخر تلك الذرائع أن يقول البعض من أهل السياسة خاصة إن الأولوية والحاجة الملحة هي التطور المادي والنمو الاقتصادي الذي لا يمكن أن يتحقق في نظرهم إلا بلغة الآخر العلمية أصلاً. وهو موقف يمكن اختزاله بالقول "الخبز قبل الخبر" و"اللحمة قبل اللغة". وكأن العلاقة بين الحالين يحكمها التناقض والتعارض ضرورة وطبيعة. وذلك زعم لا يمكن الرد عليه، فيما نعتقد، إلا ببيان نقيضه، فيتأكد أن تعريب العلوم والتقنية هو وحده المتحكم في نجاح النمو الاقتصادي المستند باتفاق الجميع إلى التفوق في بناء مجتمع المعرفة وأداته دون شك اللغة.

إنّ بين اللغة العربية ونمو الاقتصاد العربي تفاعل جدلي أكيد. ومستقبل اللغة رهين بموقف أهلها منها. وللغة العربية خصائص تؤهلها للقيام بالدور الاقتصادي المطلوب باعتراف تقرير التنمية البشرية العربية لسنة 2003. وذلك لأنها تصلح لأن تكون أداة للتكثّل المعلوماتي المنشود. ولا يمكن بناء مجتمع معرفي عربي إلا بواسطتها، في حين أنّ تعليم اللغات الأجنبية بدلاً منها يمثل عائقاً في سبيل بناء ذلك المجتمع لأن من شأنه أن يقوّي نزعة الطبقية العلمية والمعرفية وصناعة نخبة عالمية مؤهلة للهجرة سلفاً فيكون الاستثمار خاسراً حتماً لأن المنتج يُعطى للآخر دون مقابل.

غير أنه لكي تقوم العربية بوظيفتها تلك بنجاح لابد من تطوير اللسانيات الحاسوبية العربية ومنجزاتها لتيسير نشر المعرفة التقنية في مجال اجتماعي متسع ولضمان النجاح في هذه الخطوة لابد من دعم التواصل والتعاون مع مستعملي اللغات الأجنبية التي تُرسم بالخط العربي مثل الفارسية وكذلك فتح باب التواصل مع المجتمعات التي تستعمل العربية من غير العرب لانتمائها للدين الإسلامي وذلك ضماناً لسعة السوق ودعم عملية الترويج والمبادلة. ولتسهيل تعلّم اللغة العربية في المجالين العلمي والتقني لابد من إحداث مواقع تعليم الكترونية على الشبكة العنكبوتية لأن من شأن ذلك أن ييسر نشر اللغة ويضمن حسن تلقّيها.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

إنّ توفّر الظروف السابقة من شأنه أن يدفع باللغة ومن ثم المعرفة على طريق النمو الذي ينتج حتماً نمواً اقتصادياً يعود هو بدوره وبفعل حكم العلاقة الجدلية على اللغة باطراد النمو، فذلك ما يؤكد واقع اللغات السائدة في العالم الآن حيث تردّ الدراسات العلمية سيادة اللغة الإنكليزية حالياً في المجال الاقتصادي إلى كونها مصدر الترجمة وسبيل الحصول على الوظائف والرتب الراقية الضامنة للرفاهية وطنياً وعالمياً. وبذلك أصبحت نتيجة تداولها وتسويقها مصدراً اقتصادياً مهماً للدول الناطقة بها وأساساً الولايات المتحدة وإنكلترا وذلك لوفرة العوائد التي يحققها الإقبال عليها وعلى اقتناء حواملها وسيطرتها على مجمل الحوامل الإلكترونية الموزعة عالمياً.

ونعتقد أن بلوغ العربية منزلة مثل هذه ليس بالشيء العزيز إذا أحسن أهلها استغلال العلاقات التجارية مع الدول الإسلامية المتقدمة مثل ماليزيا والباكستان وأنونيسيا وإيران لما يجمعها بالعربية من روابط دينية تجعلها في حاجة إلى تعلم العربية. ومن المؤكد أن العديد من تلك الدول يبذل من الجهد والمال في تعلمها أكثر بكثير مما تتفقه الدول العربية ذاتها وتحتاج بل ترحب دون شك بالمساعدة العربية واستثمارها في مجال تعليم اللغة.

إن فرض اللغة في مجال التعامل والخدمات وتعريب المحيط من شأنه أن يدفع بالجهد ويحقق نموّ اللغة ومن ثمة نموّ المعرفة فالإقتصاد. ويكون ذلك باستخدامها في مجال النفط وصناعاته والاستثمار فيه ممّا يدفع المستثمرين الأجانب إلى تعلمها باعتبارها من أدوات العمل الضرورية... كما أنه يمكن فرضها شرطاً على العمالة الوافدة للدول العربية المستقبلية شأن ما تحاول الدول الأوروبية فعله مع المهاجرين إليها، وكذلك فرض تعريب الوثائق ومطبوعات السفر والخدمات البنكية والبريدية والمراسلات الإلكترونية على القادمين إلى الأقطار العربية والخدمات في المواقع السياحية والفنادق، ودعم السياحة الثقافية بإبراز الآثار العربية خاصة المَحَلّات منها بالحرف العربي وكذلك المخطوطات العربية القديمة. ولنا فيما تجنيه إسبانيا من تسويق الآثار العربية الإسلامية وعائذاته خير دليل على المردودية الاقتصادية. ويمكن أيضاً استغلال جمالية الخط العربي وتوظيفها في الرسم والعمارة والمنسوجات والنقش والمنحوتات

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وهو ما تقوم به إيران في مجال السجاد خاصة... وفي مجال التبادل التجاري بإمكان الدول العربية فرض التعريب على المستوردات الأجنبية المراد تسويقها عندها من حيث العلامات والأسماء والإشهار كتابة ونطقاً وهو ما تفعله الآن العديد من المصانع الآسيوية من تلقاء أنفسها ضمناً للمزاحمة على السوق العربية في مجال لعب الأطفال والهواتف المحمولة والمصاييح ولوحات الزينة وغيرها من عناصر التجهيز المنزلي والاستخدام اليومي.

ويمكن للعامل السياسي والاجتماعي أيضاً أن يكون مجالاً للنمو اللغوي إذا فرض وجوده. فالحضور السياسي والدبلوماسي العربي وفاعليته في طرح القضايا القومية باللغة القومية وكذلك ما يشهده العامل الديني من اهتمام في عصرنا من شأنه أن يضمن الانتباه إلى لغة الخطاب ويدفع لتعلمها لفهم المصطلحات وما تحمله من مفاهيم. ونحن نعلم أن العديد من العبارات فرض انتشارها فعلياً وإعلامياً دخولها في استخدام غير العرب من الشعوب ومنها كلمات من نوع فدائي وجهاد وانتفاضة والقاعدة، كما أن مناصرة المحاصرين في غزة من قبل الأتراك أخيراً جعل أهل القطاع يتسابقون على تعلم اللغة التركية.

ونعتقد أن العمل بكل هذه المجالات من شأنه أن يدفع بالآخر إلى تعلم العربية رغبة أو مراعاة للمصلحة فيستعد للاستثمار فيها إن لم نبادر نحن بفعل ذلك فيكون العائد الاقتصادي له بدل أن يكون من نصيبنا، وهو بحسب ما اطلعنا عليه من وثائق بعض المؤسسات العاملة في هذا المجال ليس بالهين اليسير* ولا شك كذلك أن تعريب المحيط يعد شرطاً أساسياً لنجاح تركيز المؤسسات الاستثمارية في اللغة، والواقع يشهد بأن بعضها قد تراجع عن العمل في بعض الساحات العربية بسبب سيطرة اللغة الأجنبية وقد تكون لغة الأجنبي نفسه فرداً أو جماعة، على المحيط الذي يضع نفسه فيه...

أما تعريب المنتجات الوطنية الموجهة للاستهلاك المحلي فنعتقد أن الإخلال به يعد من

* ثبت عندنا أن أحد معاهد تعليم اللغات بأحد الأقطار العربية تمكن بعد تغطية كل مصاريفه من كسب ما يقارب ثلاثة ملايين دينار في سنة واحدة.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

قبيل الانتحار وقتل الهوية إلى جانب ضعف مردوده الاقتصادي لأن الأمم تفهم لغتها، في كل الأحوال، قبل اللغة الأجنبية.

وحتى لا يوسم ما نطرح بأنه من قبيل أحلام الشعراء وشعارات المؤدجين نذكر أن اللغة العربية من المقومات الواقعية والخصوصيات العلمية ما يجعل تنفيذ ما نطرح من خطط ومشاريع لا أمراً ممكناً فقط وإنما هو أمرٌ النجاح فيه مؤكّد إن أحسن استغلالها والإفادة منها. وأهمها أن سوق العربية شديدة الاتساع ما دامت هي الخامسة عالمياً من حيث عدد المتكلمين الأصليين، فهي لغة قومية لأكثر من 300 مليون عربي ومرجعية حضارية دينية لأكثر من مليار مسلم غير عربي. وهي في ذلك قبل الروسية والألمانية واليابانية والفرنسية بحسب إحصاء سنة 1999. ثم هي والإسبانية أكثر اللغات انتشاراً وهي أيضاً الخامسة عند اعتبار المتكلمين بها باعتبارها لغة أولى وثانية، كما أثبتت الدراسات أنها ضمن اللغات التي تحظى بالاعتبار من حيث العائد الاقتصادي مثل الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والصينية والألمانية. وتحتل العربية الآن المرتبة السادسة عشرة في الاعتماد وعلى الإنترنت، وهي مرتبة تحسينها مطلوب وممكن لاعتبارات اجتماعية ولسانية... فاللسان العربي حامل رسالة حضارية ودينية مؤكدة حتى كان التماهي فيه بين الذات واللغة في أبهى مظاهره عبر تاريخ طويل. وهو اللسان الطبيعي الوحيد الذي استطاع لأول مرة عبر التاريخ أن يعمّر نحو سبعة عشر قرناً محتفظاً بنظامه صوتاً وصرفاً ونحواً مع المرونة والطواعية التي جعلته يواكب التطور الحتمي في الدلالات دون أي خلل فيه، في حين أن الحد الأقصى التاريخي للغات إلى حد الآن هو أربعة قرون¹.

والعربية من اللغات الست المعتمدة رسمياً في الأمم المتحدة ولها من المرونة ما يمكنها من استيعاب المستجدات الإلكترونية بيسر.

وإذا تأكد بالتجربة أن التعدد اللغوي واعتماد اللغات الأجنبية خسارة اقتصادية تؤكد

¹ للتدقيق أنظر المسدّي، نحو وعي ثقافي جديد، ص 180-181 خاصة.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أحداث التاريخ وقد أدركها غاندي منذ عهده واعتبر النموذج الياباني هو الأسلم في اعتماد اللغة عاملاً لتطور المجتمع، لم يبق أمام العرب إلا مراعاة ما توفر لهم لغتهم من عناصر إيجابية واستغلاله بنجاعة إن كانوا حريصين فعلاً على التقدم والتطور. وأما تقريظهم في لغتهم المشتركة والاستعاضة عنها بالتعدد اللغوي في المجال الاقتصادي والاجتماعي فهو تفريط في معطى حاصل وعامل نمو مؤكد لاستبداله بعامل أثبت التاريخ وعلم الاقتصاد والاجتماع فشله، فهل تعي النخبة منهم ذلك قبل العامة؟!

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المراجع

الكتب:

1. إفينش (ميلكا)، اتجاهات البحث اللساني - ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل - منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة.
2. تشومسكي (نعوم)، اللغة ومشكلات المعرفة ترجمة، د. حمزة بن قبلان المزيني - دار توبقال للنشر، المغرب ط 1 - 1990.
3. فروم (أريك)، المجتمع السليم - تعريب محمود محمود - مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة- د.ت.
4. كولماس (فلوريان)، اللغة والاقتصاد تعريب أحمد عوض - منشورات عالم المعرفة الكويت العدد 263 - نوفمبر 2000.
5. المسدي (عبد السلام): - اللسانيات وأسسها المعرفية - الدار التونسية للنشر، تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.
6. نحو وعي ثقافي جديد، منشورات دبي الثقافية الإصدار 34، مارس 2010.

المواقع الالكترونية:

1. بيومي، سعيد أحمد، الموقع www.diwanlab.com/spip.ph التنزيل يوم 2006/6/16 - التصفح 2010/08/13.
2. الرزوي، حسن مظفر، مبحث اللغة والاقتصاد - تاريخ الإضافة في 2009/12/3 - التصفح 2010/8/21.
3. العناني، وليد، مستقبل اللغة العربية ودور الاقتصاد فيه الموقع www.alarabiah.org/indey.php? التصفح يوم 2010/8/31.
4. مراياتي، محمد، تأثير اللغة في النمو الاقتصادي والاجتماعي في الدول العربية الموقع informag.news.sy/index.php?issue التصفح يوم 2010/8/20.

الثرن الباهظ لتدريس الطب بغير اللغة العربية في أوطانها*

د. محمد قماري

المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر

لعل من بشائر نُجح الندوة الثامنة للاستخدام اللغة العربية في التعليم العالي، أن تواطأت إرادة القائمين عليها في اختيار عنوان موفق لها، يربط اللُغة بموضوع التنمية البشرية. ولا يغرب عن بالكُم ما لكلمة التنمية من سحر، وما لكلمة التنمية من سلطان على وجدان المتلقين لها.

إنَّ قضية التنمية هي الركن الشديد، الذي أوى إليه الداعون إلى تجاوز لُغة الأمة، في آثار تلك السنين العجاف، يوم جلب علينا الاستعمار فيها بخيله ورجله، وجاس خلال ديارنا، وقد أغراه تردي أوضاعنا الداخلية بأن يتداعى إلى افتراسنا، واستباحة بيضتنا، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

يومها حدثت الصدمة، صدمة اللقاء بين أمم الغرب الغازية، وقد تفننت في تسخير طاقات الكون في البر والبحر والجو، وبين شعوب هذا الشرق وهي ما تزال ترتكن في تدبير معاشها إلى موروث عَفَا الزمن. وكان من آثار ذلك اللقاء غير الودي، أن حدث ارتطام عنيف، تلاه ذهول عام، أسقط في أيدي هذه الأمة، فالسيف لم يعد أصدق أنباء من الكتب، وسلاح الغازي بارود ومدافع، والكتب لم تعد حبرا يجري على قراطيس الوراقين، بعد أن أحالتهم المطبعة

* ورقة د. قماري للندوة الثامنة لاستخدام اللغة العربية في التعليم العالي.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

على التقاعد.

إنها صدمة، بلغت معها القلوبُ الحناجرَ، وطارت من هولها الألباب، وزُلزلت من وقعها الأقدام، حينها نَفَرَتْ طائفةٌ من هذه الأمة تردد ذلك السؤال الحائر، لماذا تقدموا وكيف تأخرنا؟ وكيف السبيل لتدارك هذا التأخر؟

ولم تكن هذه الطائفة على قلب رجل واحد، وهي تتلمس سبل التنمية والنهوض، ففريق منها أعلن بأن لا سبيل للنهضة المرجوة، إلا بالخضوع لعمليات جراحية حاسمة، وإن أدت إلى بتر بعض أعضاء الجسم، وتشويه ملامح الوجه، وليس أماننا من خيار إلا "أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة: خيرها وشرها حلوها ومرها، ما نحب منها وما نكره وما يحمد منها وما يعاب"¹.

يومها كان لكلمة العلم دوي مبهم في نفوس الناس، بل غدا العلم إلهاً معبوداً، ينتصب أمامه الجميع خُشَعاً سُجْداً، له قرابينه وله سدنته وطقوسه، هكذا على الإجمال دون تفصيل أو روية وتأمل.

إنه العلم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، يجب أن تخضع له رقاب العباد، طائعين أو مكرهين، ومن يجرؤ على كره إله العصر أو يتمرد عليه إلا مخبول؟.

لم تكن هناك أي فسحة للتأمل أو التمحيص، فالغرب تقدم بالعلم، وكل ما يأتي من الغرب علم ونتاج علم، وجاء السؤال التالي: كيف نطلب ودَّ هذا العلم ونُحِلُّه بيننا؟

ومرة أخرى، الإجابة جاهزة فلن نعيد اختراع البارود، الطريق هو "أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم"، وأن "نكون لهم شركاء في الحضارة: خيرها وشرها حلوها ومرها، ما نحب منها وما نكره".

وكان سؤال اللغة من تلك الأسئلة الحائرة، أما وقد اتضح طريق النهضة، وهو طريق العلم

¹ الدكتور طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ص 289.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الساحر الفتّان، فكان لزاماً أن ننقل إلى لغة أهل العلم، ثم حذفت كلمة "أهل" من هذا السياق، وأصبح الحديث عن "لغة العلم"، وهي هنا ليست لغة واحدة، إنها لغة الغالب المُستعمر، ولتكن فرنسية في الجناح الغربي من العالم العربي، ولتكن إنجليزية في جناحه الشرقي.

وطال بنا أمد انتظار الحلوة، بعد أن تجرّعنا المرارة، وما ظفرنا بخير بعد أن أدمى أقدامنا السير في طريق الشر، ولم نر خيراً، وصبرت الأمة على ما تكره، وأبطأ عليها رؤية ما تحب.

وأي مرارة أشد من بلبلّة لسان الأمة المُوحد في تعليم أبنائها، حيث تفرنس لسان أبنائها في جناحها الغربي، وغداً إنجليزياً في مشرقها، فكانت غنيمة الحرب المفخخة المسمومة¹، ولم نفد من هذا المسير إلا تبلبل الألسن وتعسر ميلاد التنمية المأمولة.

لقد أدرك بعض أبناء هذه الأمّة خطورة هذا المسلك، وبيّنوا أن السبيل اللاحق للتنمية ونهضة الأمم، يكمن في الحفاظ على شخصيتها، فالمسخ أينما توجهه لا يأتي بخير، فلن يقدر على أن يسير سيرة غيره، ولا أن يحفظ قسّمات ذاته، فيعيش ممزق النفس، تعجزه الكلالّة على أن يتقدم أو يتأخر.

وبقي هذا الجرح القديم نغّاراً، يأبى أن يندمل على دغل، وإن كاد اليأس أن يعصف بأفئدة أقوام، من المخلصين له، بسبب كثرة الرد فيه، إذ تجاوزت مقررات وتوصيات الندوات والاجتماعات حوله ما يربو عن حمل بعير.

ولولا رجالٌ مؤمنون، ونساء مؤمنات، وأحسب أن هذا الجمع الكريم منهم، لا يزألون مرابطين ظاهرين على هذا الثغر لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، وهو رباط مشكور ومأجور، إذ إنّ مرور الأيام لا يزيد إلا من تعزيز صواب رؤيتهم، وأحقية حججهم، فأمر اللّغة حاسم في تحديد وجهة التنمية، والتنمية لا تكون إلا بالبشر في سبيل سعادة البشر، وصدق شوقي، رحمه الله، في قوله:

¹ وصف كاتب ياسين اللغة الفرنسية بعد الاستقلال الجزائر بغنيمة الحرب.

ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلاً إنَّ الشجاعةَ في القلوبِ كثيرةٌ
لم يُخلِ من أهلِ الحقيقةِ جيلاً إنَّ الذي خلقَ الحقيقةَ علماً

إنَّ التنمية لم تعد كلمة فضفاضة، تتقاذفها الألسن دون تدبر، وينتقلها المبطلون دون روية، ولا سراً يحسبه الظمان ماء، ولا أخيلة تسحر أعين الناس وتسترهب أفئدتهم. لقد غدت قضية التنمية مسطرةً قياس حادة، تخضع لها المجتمعات في تقويم سعي الشعوب، تصدر التقارير بشأنها دورياً، فمن وجد خيراً فسعيه مشكور، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

الصحة والتنمية

تقف الصحة معلماً بارزاً على سلم تقويم التنمية في المؤسسات الدولية، وتعتبر فاعلية المنظومة الصحية وحسن أدائها في المجتمع، أمراً معتمداً في التفريق بين المجتمعات النامية والمجتمعات المتخلفة¹، فالبشر هم محور التنمية المستدامة، ولهم الحق في حياة صحية ومنتجة تتناغم مع الطبيعة².

وتأسيساً على تعريف منظمة الصحة العالمية، فإن مفهوم الصحة يتجاوز مجرد حالة غياب المرض، فـ "الصحة هي حالة مثالية من التمتع بالعافية، وهو مفهوم يصل الصحة بالمعافاة الكاملة جسدياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً، وتحقيق الصحة السليمة الخالية من الأمراض على مستوى الفرد والمجتمع"³.

ولا يحتاج إلى بيان أن التحقق بهذا المفهوم، يتعدى مجرد عناية الأفراد بصحتهم، وإن كانت مطلوبة وضرورية، ليشمل خطأً حكومية وفق معايير علمية، تعتمد على الوقاية والتوعية، وترشيد الإنفاق الصحي كلما حُمت الحاجة للاستشفاء والطبابة.

¹ ينظر على سبيل المثال مقررات إعلان "ريو دي جانيرو"، حول البيئة والتنمية لسنة 1992.

² المرجع السابق نفسه.

³ تعريف الصحة في وثائق منظمة الصحة العالمية.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

لقد حددت المذكرة 21 الصادرة عقب بيان "ري دي جنيرو" سنة 1992، حول البيئة والتنمية، أهدافاً خمسة لها الأولوية فيما يتصل بالصحة:

- الاستجابة لحاجات العلاج الأساسية.
- مكافحة الأمراض السارية.
- حماية الجماعات الضعيفة المعرضة للمرض.
- صحة سكان الحواضر.
- التقليل من الأخطار الصحية الناتجة عن التلوث والأخطار البيئية.

إن مفردات هذه الأهداف ينظمها سيمطٌ واحد، هو التركيز على الخدمات الصحية الأساسية، وحجر الزاوية في تنفيذ هذه الخدمات، يتمثل في إشراك جمهور الناس في خططها التي تقوم على الوقاية والتحقق بالوعي الصحي، ومن ذلك:

1. رعاية الأمومة والطفولة

يقول المدير العام السابق لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، السيد Koichiro Matsuura: "إنَّ اللغات في حقيقة الأمر، هي عناصر أساسية لهوية الجماعات والأفراد، وتحقيق تعايشهم السلمي، وهي تشكل عاملاً استراتيجياً للنهوض نحو تنمية مستدامة وتأسيس علاقات متناغمة بين الظروف الإقليمية والعالم، إن للغات أهمية كبرى في تحقيق الأهداف الستة لمشروع التربية للجميع، وأهداف الألفية في التنمية التي سطرتها الأمم المتحدة سنة 2000".

وبعد برنامج رعاية الأم والطفل والصحة الإنجابية، من أهم محاور المنظومات الصحية في العالم، وهو يعتمد أساساً على اتباع الإرشادات الصحية الوقائية، ويتوقف على نجاحه وفاعليته انخفاضُ وقَيَاتِ الحوامل والمواليد، لكن لغة الخطاب تقف حاجزاً دون تحقيق أهداف البرنامج عندما لا تكون موحدة، لأجل ذلك نجد أن أغلب الشعوب تحرص على تدريس الطب

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بلغاتها، ويشمل هذا التوجه حتى تلك الدول التي تعتبر لغاتها محلية جداً¹، لأن التوعية الصحية المعتمدة على التخاطب الناجح تمثل أساس الوقاية.

2. حوار الطبيب مع مريضه

وصف العلاج وصرف الدواء، هي المرحلة الأخيرة في عمل الطبيب المُعالِج، والتشخيص السليم، واقتصاد الجهد والإنفاق، يرتكزان على مرحلة الاستجواب الطبي، وكلما كانت لغة التواصل بين المُعالِج والمُعالِج قريبة ومفهومة، سرَّع ذلك في التوصل إلى التشخيص المحدد، الذي من دونه قد يلجأ الطبيب للفحوص التكميلية أو صرف أدوية غير دقيقة، وهو ما لاحظناه في زمن البعثات الطبية الأجنبية².

ومن فوائد التعليم باللغة الوطنية، أنه يحقق "ديمقراطية المعرفة"، ويصبح تداول المفاهيم الصحية ميسراً لغير المتخصصين، فالمريض لديه زاد من الثقافة الصحية، تسهل من مهمة التواصل مع الطبيب، وتدفع الطبيب إلى مزيد من التقصي والبحث. والحال أن طالب الطب الذي يقضي سنوات عديدة للتمكن من اللغة الأجنبية، هي وسيلة تواصله مع أساتذته، سوف يعز عليه التنازل عنها حتى لمريضه، هذا إن لم تحدث لديه عقدة استعلاء وتميز عن المريض.

3. الثقافة الصحية

جميع الناس يردد المثل السائر "درهم وقاية خير من قنطار علاج"، ولكن قليل منهم ينتبه

¹ يروي الدكتور "إسحاق الفرحان" عضو مجمع اللغة العربية الأردني أنه كان بصحبة وزير التربية الأردني بحضران حفلاً للسفارة الكورية في عمان، فسأل وزير التربية السفير الكوري: بأي لغة تدرسون الطب والعلوم والهندسة في بلادكم، فلم يجبه السفير، ولما كررت أنا السؤال، يقول الدكتور، نظر إليَّ السفير قائلاً: وهل هذا سؤال يُسأل، بالكورية طبعاً. (موقع إسلام أون لاين).

² من ذلك ما شاهدناه أيام البعثات الطبية الروسية والهندية في الجزائر، وما هو ملاحظ في المستشفيات الخليجية، حيث يتحول حوار المريض مع طبيبه إلى ما يشبه حوار الطرش.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

إلى معناه، إن إهمالاً قد يبدو بسيطاً من محل يصنع الحلوى، لا ينتبه لبيضة تالفة، وثنمها دراهم معدودات، قد تحدث الكوارث التي لا تعوضها القناطير من الذهب والفضة حين يقضي بسببها من يستهلك تلك الحلوى الفاسدة.

لكن كيف يفهم صانع الحلوى طرق العدوى، وعلاقة تلك البيضة بصحة عشرات من البشر؟

إن الصحة في مخياله من شأن الأطباء بلغتهم الخاصة، ومصطلحاتهم المعقدة، أما هو فوظيفته تتوقف عند صناعة الحلوى وتسويقها، وريح المال الذي تدره عليه تلك الحرفة، والأمر نفسه يقال عن باقي مناشط المجتمع، ذات الصلة بصحة المواطنين.

ضعف التكامل البيئي بين الدول العربية

على الرغم من التواصل الجغرافي بين الأقطار العربية، وتقارب في تركيبة ديمغرافية المجتمعات (أغلبية عنصر الشباب)، والتشابه في سلوك البشر، وتقارب في المعطيات الوبائية، إلا أن التكامل البيئي بين هذه الأقطار في قضايا الصحة ضعيف، بل ومنعدم في مجالات عديدة ذات صلة بالصحة، إذ تقف لغة تدريس الطب حاجزاً في وجه هذا التكامل.

1. التكامل في الموارد البشرية

تتفق الكثير من الدول العربية أموالاً طائلة، في سبيل جلب موارد بشرية من أطباء وممرضين، لسد حاجات مجتمعاتها من الخدمات الصحية، ووجدنا أن اختيار هذه العمالة الأجنبية تؤدي فيه لغة تدريس الطب في بلد المنشأ دوراً حاسماً، والسبب هو إحداث الانسجام اللغوي مع الأطر الطبية المحلية، وكأنهم سيقومون بعلاج زملائهم؟ وكم يكون الأمر محزناً عندما يتوجه بهذه العمالة للقيام بوظائف الخدمات الصحية الأساسية، إذ تفتقد تلك الحلقة الذهبية، حلقة التواصل بين الطبيب ومريضه، وتغدو وظيفة الطبابة أشبه بمكانيك السيارات.

2. التكامل في البحث العلمي

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المناسبات العلمية التي تجمع الأطباء العرب محدودة، خاصة بين أطباء المشرق والمغرب العربي، فلغة الخطاب العلمي المختلفة، تمنع التواصل بينهم، وقد يتلقى الطبيب في المشرق وقائع الحالة الصحية في المغرب من الأطباء الأجانب، والأمر نفسه يقال عن أطباء المغرب العربي، وهو الأمر الذي يحرم العالم العربي من التكامل في تبادل الخبرات، وقضايا البحث العلمي على الرغم من تشابه في معطيات وبائية كثيرة.

3. التكامل في الصناعات الصيدلانية

تعتبر الصناعة الدوائية في العالم، مكوناً رئيسياً من مكونات التنمية وإحدى ركائز الأمن الصحي، لا بسبب تكلفة فاتورة الدواء الباهظة، ولكن أيضاً بسبب انتشار الأدوية المغشوشة. هذه الصناعة عرفت نشاطاً استثمارياً مكثفاً في العالم العربي خلال العشرين سنة الماضية، حيث أصبحت تستوعب نسبة معتبرة من حاجة البلاد العربية للعلاجات المطلوبة.

وانتشار الصناعة الدوائية عمَّ كل المنطقة العربية تقريباً، ولم يبق سوى موريتانيا تنتظر نصيبها من التصنيع الدوائي¹، لكن صناعة الدواء في هذه البلاد، تعتمد على قاعدة إنتاجية متشابهة، أي إنتاج الأدوية المقررة التي فرغت من براءة الاختراع، مما يجعل التنافس بين هذه الشركات يدور في رواق ضيق، وقد يصل إلى التنافس المرضي أحياناً.

وتسعى الدول العربية في سد حاجاتها من الدواء، نحو الدول التي يُدرس الطب بلغاتها محلياً، فالدول المغاربية زبون تقليدي للمخابر الفرنسية²، ودول المشرق تتجه نحو بريطانيا وأمريكا، أما التكامل العربي حتى في مجال الأدوية المقررة فضعيف جداً، على الرغم من وجود أدوية جنيسة جيدة لدى كثير من المخابر العربية.

¹ هناك مصانع على وشك التنفيذ في كل من قطر والبحرين.

² في تقرير للجمعية الفرنسية لشركات الدواء (Leem)، لسنة 2009 قال: إن الجزائر تقع في المرتبة التاسعة من بين زبائناتها في العالم، وأول مستورد لأدويتها في العالم العربي وإفريقيا.

شبهات في طريق تعريب الطب

غداة استرجاع الدول العربية لاستقلالها، لم يكن الانتقال لتدريس الطب باللغة العربية متيسراً، فعدد الأساتذة من أبناء الوطن، كان لا يتجاوز في أحسن الأحوال عدد أصابع اليد الواحدة، وكانت الحاجة ماسة لسد فراغ رهيب في مجال الصحة، وكان الواقع يحتم المضي في تدريس الطب باللغة الأجنبية¹.

لكن السنين مضت، وتضاعف عدد الخريجين من الأطباء، والحجج ذاتها بقيت ماثلة، كلما ارتفعت أصوات تنادي بضرورة مراجعة السير على هذا الطريق المعوج، ومن تلك الشبهات التي تقف في طريق تعريب تدريس الطب، نسوق أهمها:

1. انخفاض مستوى التعليم

لقد أحسن الدكتور محمد هيثم الخياط في وصف هذه الشبهة ودحضها، إذ يقول عن الاستعمار إنه "يعلم أنها قضية جوهرية، وإن من الخطر الشديد عليه أن يكون التعليم باللغة الوطنية، فيأتي ببردة حمراء يطلق عليها اسم (مستوى التعليم) ويوهم الناس بأن القضية الجوهرية هي مستوى التعليم، ثم يوهمهم أن مستوى التعليم ينخفض إذا كان التعليم باللغة الوطنية، وتودر رحي المعركة في هذا المنعطف الجانبي، تستغرق جهود المعتركين وتلفنتهم عن قضيتهم الأصلية."²

وروى الدكتور الخياط ما وقع من أمر هذه الشبهة في المغرب بعد استقلال البلاد، حين ارتفعت أصوات، تبكي تدني مستوى التعليم بسبب تعريب التعليم، وألّفت لجنة تتقصى الأمر فإذا باللجنة، تثبت أن الداء يكمن في محتوى التعليم لا في لغة التعليم، بعد مقارنة بين محتوى

¹ يروى عن قائد الثورة الفيتنامية "هو تشي منه"، أنه أمهل أساتذة الطب في بلاده سنة واحدة بعد الاستقلال للانتقال للتدريس بالفيتنامية.

² الدكتور محمد هيثم الخياط، في سبيل العربية، ط 4، ص 24، مكتبة وهبة مصر 2004.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المقررات بالفرنسية ونظيراتها بالعربية¹.

وأظهرت دراسة تقييمية أجراها مجموعة من المتخصصين بتكليف من مجمع اللغة الأردني بعنوان "تقويم المرحلة الأولى في تعريب التعليم العلمي الجامعي التي تبناها مجمع اللغة العربية الأردني"، نتائج باهرة، إذ انخفضت نسبة الرسوب من 30% عندما كان التدريس باللغة الإنجليزية إلى 3% فقط عندما درس الطلاب باللغة العربية، ودرس الطلاب باللغة العربية مادة أوسع وبصورة أعمق وأدق، ووفروا كثيراً من الوقت والجهد في دراسة المادة.²

2. قضية المصطلحات

تثار قضية المصطلحات، كلما استجد الحديث عن ضرورة تعريب الطب، ومعلوم أن المصطلحات الخاصة، لا تتجاوز في النصوص العلمية نسبة 5 إلى 7 من المئة، وأنَّ الإشكال الحقيقي الذي يعرض في فهم النصوص العلمية، إنما يكمن في التمكن من امتلاك البيان بلغة التبليغ، وهو أمر تتساوى فيه كل اللغات، ثم إن أمر المصطلحات الأساسية باللغة العربية أصبح مفروغاً منه، والمعاجم المتخصصة تصدر تبعاً.³

3. متابعة المستجدات

ينشر أغلب الباحثين الفرنسيين وغيرهم اليوم، أبحاثهم الطبية باللغة الإنجليزية، قصد سرعة الانتشار، لكن لم نسمع بدولة تحول فيها تعليم الطب إلى اللغة الانجليزية، فاكتماب لغة ثانية أو أكثر لمتابعة مستجدات البحوث، لا يعتبر عائقاً في هذا المستوى من التعليم، بل هو أهون بكثير من اكتساب لغة أجنبية، تكون مفتاحاً ضرورياً لتعلم الطب.

¹ المرجع السابق.

² عن مقال للبروفيسور ريماء سعد الجرف، "اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في التعليم".

³ منها على سبيل الذكر لا الحصر: "المعجم الطبي الموحد" و"معجم مكتب تنسيق التعريب" بالرباط، و"المعجم الطبي" من تأليف الدكتور أحمد ذياب.

الثلث الباهظ

عرضنا لبعض أوجه الحصاد النكد، والثلث الباهظ الذي تدفعه الأمة من جرّاء تنكبها طريق تعليم الطب بلغتها، وهذه زوايا أخرى نطل منها على الوجه الكالح، لسيرنا على هذا الطريق، طريق الأحراش والدروب الضيقة.

1. البحث العلمي

البحث العلمي هو الابن الشرعي لتوطين المعرفة في أي مجتمع، يقول كلوت بك¹ الفرنسي، والمشرّف على مدرسة الطب في القصر العيني بمصر في القرن التاسع عشر: "إنّ التعليم بلغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة، كما لا ينتج عنه توطين العلم أو تعميم المنفعة".

فما هو رصيدنا من البحث العلمي بعد مضي هذه السنوات من تدريس الطب بـ "بلغة العلم"، كما سماها المجادلون؟ بل هل يرجى أن يكون للبحث في مجال الطب نهضة، وموضع الدراسة هو الإنسان، ولغة الخطاب بين الباحث وهذا الإنسان (المريض) معطلة؟

2. الضعف في مجال التأليف

تتملك أساتذة الطب عندنا عقدةٌ توفر الكتاب الأجنبي، وهو الأحسن شكلاً والأكمل مضموناً، فلا ينهضون للتأليف في اختصاصاتهم، وبات التعويل على الكتاب الأجنبي لطلبهم هو القاعدة التي قلما يكسرّها الشذوذ.

3. هجرة الكفاءات

لأسباب عديدة تُقدّم كفاءات علمية على ترك أوطانها في العالم العربي، وتولي وجهها شطر مهاجر غربية، ومن تلك الكفاءات الأطباء، وهم إذ يولون وجوههم للهجرة، إنّما يتجهون بها إلى البلدان التي درسوا بلغاتها في أوطانهم، وقد يجدُّ كثير منهم ترحيباً في تلك البلدان، إذ

¹ Antoine Barthélémy Clot (Clot bey) 1868-1793.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

يظفرون بكفاءات مجانية، لم ينفقوا على تكوينها درهماً ولا ديناراً.

وفي الختام، من حظ هذه الأمة أن لديها خبرة تاريخية، تجربة ثرة وغنية في مجال نقل العلوم وتوطين المعرفة بلغتها، كان من نتائجها المباركة توطين المعرفة أولاً، والانطلاق بها أشواطاً كبيرة في مجال السبق والابتكار طيلة سبعة قرون متتالية في مجال الطب، هي التجربة التي بفضلها عرف الإنسان المعاصر الكثير من أسرار الطبابة، وقواعد الوقاية من الأمراض.

إنها تجربة يمكن أن تتكرر، والظروف اليوم أيسر مما كانت عليه، لكن العلم يعلمنا أن الظواهر العلمية، لا تعاد إلا وفق شروطها وملابساتها، ولعل أول تلك الشروط هي الثقة في النفس، والتوفز المطلوب للقيام بدور على مسرح التاريخ، والانتقال من وضع الزبون (الحضاري) إلى دور (المنتج) الحضاري، فاليد العليا خير من اليد السفلى.

من مظاهر التعريب في الأندلس

أ. د. علي أحمد

كلية الآداب - جامعة دمشق - سورية

لم تكن الأندلس في العصور القديمة بعيدة عن مؤثرات التعريب، التي تسبب بها الفينيقيون، الذين وجدوا في عدد من مناطق الأندلس، ولاسيما في المناطق الساحلية، ذلك لأن اهتمام الفينيقيين كان في المقام الأول بالتجارة عبر البحار، ساعدهم على ذلك امتلاكهم لأسطول بحري كبير ولخبرة واسعة في أمور الملاحة وأخبار البحار.

ومن أهم المواقع العربية التي أقاموها بالأندلس كانت مدينة سكي وهي المنكب العربية، التي لا تزال من أهم المنتجعات البحرية القريبة من غرناطة في جنوب شرقي إسبانيا، ومدينة مالحة وهي مالقة الحالية، التي كانت مقراً لتمليح الأسماك وحفظها.

وفي الجنوب الغربي بنوا مدينة جادير، التي تعني القلعة والتي عرفت في العصور الوسطى قادس.¹

ومن حسن حظ عملية التعريب في الأندلس بعد دخول العرب إليها، أن الحكام العرب في هذه البلاد كانوا متحمسين جداً لإنجاز هذه العملية بأكمل وأشمل صورها، وخاصة في عصر الأمويين أيام الإمارة والخلافة، فقد تميز الأمويون كما أجدادهم في المشرق بالتمسك بضرورة سيادة الحكم على أساس عربي واضح المعالم، وكذلك في ابتعادهم عن كل المسائل، التي كانوا يرون فيها معطلاً لمشروعهم العربي في القارة الأوربية، ذلك لأنهم كانوا يؤمنون بأن الوجود العربي بالأندلس لن يستمر إلا من خلال الاعتماد على جهة عربية موحدة الجهود

¹ أحمد توفيق المدني، قرطاجة في أربع عصور، طبعة تونس 1926، ص 33 وما بعدها.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والاستراتيجيات.

وبالفعل فقد نجح الأمويون الأندلسيون نجاحاً باهراً في مسألة تجذير الثقافة العربية على الصعد كافة، حتى أصبحت هذه الثقافة ثقافة عالمية شملت القارة الأوربية كلها، وذلك ابتداء من عصر الخلافة الأموية بالأندلس، وكان عنوان أي تحضر أو تقدم علمي، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه الثقافة المتقدمة، بما يعرف بعصرنا بثقافة العولمة، كل ذلك جعل الإسبان والأوربيين وكل العناصر الأخرى في المجتمع العربي بالأندلس يُقبلون على دراسة هذه الثقافة، على كراهيتهم وتعصبهم على أصحابها من العرب، ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن كمال حياتهم، لن يتحقق إذا ظلوا بعيدين عن هذه الثقافة، لهذا نراهم يقدمون على دراسة أهم فروع هذه الثقافة، وخاصة الطب والصيدلة والفلسفة العقلانية، والهندسة بمختلف فروعها، والزراعة وبقية العلوم التطبيقية، حتى إن مجموعة منهم ركزت على دراسة علوم اللغة العربية والكتابة في بعض موضوعاتها.

ساعد على إنجاز هذه الحالة المزدهرة أن العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي تقريباً لم يتعصبوا على غيرهم من أبناء القوميات والأديان الأخرى، ذلك لأنهم كانوا ينطلقون من مفهوم راسخ في نفوسهم هو أنهم من أمة قيادية ينبغي لهم استيعاب الجميع على أساس العدل والمساواة والمواطنة العربية، وعملية استيعاب الآخرين على هذا الأساس، هي من أهم العمليات لانتشار ظاهرة التعريب. ونتيجة لذلك استطاعت جميع الفئات من غير العرب، أن تعيش عيشة هادئة ومستقرة طوال خمسة قرون متوالية تقريباً من حكم العرب بالأندلس.

وهنا ينبغي التنويه بأن السبب في التركيز على ظاهرة التعريب في الأندلس هو أن فتح هذا البلد كان قد أنجز في العصر الأموي، هذا العصر الذي تميز بوجه خاص بتركيز حكامه على مسألة الاعتماد على العنصر العربي، والسير في هذا الاتجاه إلى النهاية بدون تردد، ذلك لأنهم كانوا يعتقدون بجدارة وأحقية العنصر العربي في الحكم والقيادة انطلاقاً من أن العرب هم

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الذين أنجزوا توحيد الدولة المترامية الأطراف، التي حكمها الأمويون بنجاح. وقد بدأت محاولات التعريب في الأندلس منذ اللحظة الأولى لبداية عملية الفتح، حينما قام موسى بن نصير بتعيين أحد المغاربة وهو طارق بن زياد قائداً للقوة المكلفة بفتح الأندلس، على الرغم من وجود من هو أجدر منه في صفوف المشاركة: ولكن موسى بن نصير كان يريد من خلال تعيين طارق بن زياد لقيادة الجيش الفاتح، أن يقول للمغاربة إنهم عرب، ينبغي أن يتحملوا مسؤولياتهم على قدم المساواة مع العرب المشاركة في كل الذي كان يجري في تلك الحقبة من الزمن.¹

وقد نجحت خطة موسى بن نصير نجاحاً لافتاً، ذلك لأن المغاربة شاركوا في حملة طارق مشاركة صادقة، مما أدى إلى إنجاز عملية فتح الأندلس في مدةٍ قياسية.

لما استقر العرب بالأندلس، وجدوا أنفسهم في منطقة بعيدة قد أحيطت من جميع جهاتها تقريباً بالمياه، مما يحتم عليهم على الدوام أن يكونوا في حالة تحفز وجاهزية، وخاصة أنهم لم ينجزوا فتح معظم المنطقة الشمالية من الأندلس، التي أصبحت ملاذاً لمجموعة كبيرة من الإسبان، حملوا لواء تحرير الأندلس من العرب، وعُرفت حركتهم بالأندلس طوال العصور الوسطى بحركة الاسترداد، التي نجحت آخر الأمر في استعادة الأندلس وتحريرها من العرب.

وكان من أهم ما يجمع العرب في هذه البلاد، هو شعورهم بضرورة الاعتماد على أنفسهم وهي سياسة أخذ بها الأمويون وطبقوها حتى سقوط دولتهم بالأندلس سنة 422هـ / 1032م.

ففي عصر الولاة الذي استمر حتى سنة 138هـ/756م، كان الطابع العربي ظاهراً في كل المجالات، وخاصة في المجال السياسي، فقد أظهر الولاة الأندلسيون تمسكاً لافتاً بقضية الاعتماد على العنصر العربي، وتقوية هذا العنصر بكل الوسائل والإمكانات.

¹ علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، ص 110. وقد كان طارق بن زياد خير من حرص على تعريب الأندلس منذ البداية فقد أحاط قواته العسكرية بسور في منطقة جبل طارق، سماه سور العرب، الذي أشار إليه ابن بطوطة في رحلته.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وقد برز ذلك واضحاً في موقف الصميل بن حاتم، الذي كان زعيماً للقيسية بالأندلس في هذا العصر، فقد التقى مصادفةً أحد معلمي الصبيان بمدينة قرطبة، وهو يعلم الصبيان الآية القرآنية الكريمة الفائلة: "وتلك الأيام نداولها بين الناس" فجزره بقوة وقال له، ينبغي أن تدرس الآية على النحو الآتي: (وتلك الأيام نداولها بين العرب).¹

ويفهم من هذه الحادثة أن العرب لم يكونوا في تلك الأيام يسمحون أن يشاركهم أية مجموعة لا تتحد من أصول عربية صريحة.

وفي هذا العصر قام الوالي الأندلسي عبد الملك بن قطن، وهو أحد ولاة الأندلس المشهورين في المرحلة المتأخرة من هذا العصر بالاستتجاد بالقوة العربية، التي كانت محاصرة بمدينة سبته بالمغرب الأقصى، مع أنه لم يكن يحب هذه القوة، ذلك لأنه شعر بتهديد السلطان العربي بالأندلس في وقت مبكر.

من جهة أخرى وجد والي الأندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، أنه من الضروري لاستمرار البقاء العربي بالأندلس، أن يوزع العرب الذين كانوا في معظمهم بقرطبة على الكور والمناطق الأندلسية، لتعزيز وتوسيع رقعة الوجود العربي في مناطق هامة خارج العاصمة قرطبة، فقد توضع جند حمص في كورة إشبيلية لشيء هذه المنطقة بحمص وسميت حمص الأندلس، وتوضع جند دمشق بكورة غرناطة لشيءها بدمشق، وسميت دمشق الأندلس وتوضع جند الأردن بمالقة التي سميت الأردن، وتوضع جند مصر في كورة تدمير (التي ستصبح مرسية) وسميت مصر.²

وقد كان لهذا التوزيع أثره البالغ في تعريب هذه المناطق بسرعة كبيرة، ذلك لأن عناصر هذه الأجناد كانوا برمتهم تقريباً من العرب، الذين كانوا يشتعلون حماساً لنشر ثقافتهم العربية

¹ ابن القوطية - تاريخ افتتاح الأندلس، ص 63.

² مؤلف مجهول، أخبار مجموع، ص 31، الحميري - الروض المعطار، ص 181 - المقري - نفح الطيب ج1، ص 155.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم / كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

في الأندلس تمهيداً لدخول بقية البلاد الأوربية المجاورة، كما كان يحلم الأمويون طوال مدة حكمهم، والدليل على ذلك أن جميع المحاولات، التي قامت في عصر الولاة لاختراق الحدود الفرنسية كانت تنطلق لتحقيق هذا الحلم الأموي.

فالأمويون كما هو معروف أخفقوا في دخول القسطنطينية عن طريق المشرق، فحينما دخلوا الأندلس راودهم هذا الحلم من جديد وتصوروا أن يدخلوا من الغرب بعد السيطرة على أوربا، ولكن هذا الحلم لم يتحقق، لأن كل المحاولات العسكرية فشلت في الجنوب الفرنسي.

وكان من أهم هذه المحاولات تلك التي قام بها عبد الرحمن الغافقي، الذي استشهد في بواتيه (بلاط الشهداء) سنة 114 هـ / 733 م.¹

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز كان يود في المدة الأولى من حكمه القصير، أن يأمر بعودة عرب الأندلس إلى المغرب الكبير، خوفاً عليهم من أن يتعرضوا لظروف صعبة، لكنه تراجع عن ذلك حينما تأكد له أن حالتهم العامة إيجابية ومستقرة، وأمر على أثر ذلك بتوزيع مساحات هامة من أرض الأندلس على العناصر العربية في عدد من مناطق الأندلس، ذلك لأنه كان يؤمن، على الرغم من توجهه الإسلامي، الذي لا يفرق بين عربي وغير عربي، كان يؤمن بأن العرب هم الذين يستطيعون نشر الدين الإسلامي، وثقافة العرب، وصنع مجد الدولة العربية في أي مكان وزمان.²

أما في عصر الإمارة الأموية بالأندلس، فقد كان أمر التعريب مدعاة للفخر والاعتزاز، فقد وقف الأمراء الأمويون موقفاً حاسماً في وجه كل العقبات، التي تحد من انتشار ظاهرة التعريب في كل مناطق الأندلس، فقد أعلنوا منذ بداية هذا العصر على لسان مؤسس حكم الإمارة الأموية بالأندلس عبد الرحمن الداخل، أن الولاء للدولة الجديدة بالأندلس، لا يكون إلا للقانون، الذي يشرف الأمير الأموي على تنفيذه والتقيده بمواده لمصلحة وحدة الدولة والبلاد،

¹ ابن عذاري - البيان المغرب ج 1 ص 51

² مؤلف مجهول - أخبار مجموعة، ص 22 وما بعدها. ابن عذاري - البيان المغرب، ج 1، ص 48.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

وهذا يعني رفض العصبية القبلية، التي كانت مرضاً متفشياً في عصر الولاة، كذلك رفض تدخل رجال الدين بشؤون الحكم على غرار ما كان معروفاً ومطبّقاً في المشرق في عصر أجداده وآبائه، فالجميع تبعاً لذلك متساوون في الحقوق والواجبات بقطع النظر عن عصبيتهم واعتقادهم.

وكان ذلك الأمر من أقوى الأسباب التي أعطت الدولة العربية بالأندلس دفعا قويا للسير على طريق الاستقرار والتقدم والثبات في وجه كل المتربصين والمعادين، ولا سيما الأوروبيون الذين مثلهم في هذه المرحلة شارلمان، الذي حاول ضرب الدولة العربية بالأندلس قبل أن تتمكن جذورها وتشتد لكن ظروفًا قاهرة أفشلت كل محاولات وأهداف شارلمان.¹

كان لسياسة عبد الرحمن الداخل البعيدة عن التعصب الديني أثرها البالغ في إقدام مجموعة كبيرة من الإسبان على اعتناق الإسلام، والإقبال على الثقافة العربية ودراساتها دراسة عميقة بكل ألوانها وأشكالها وفنونها وهي مرحلة متقدمة بلغت مسيرتها التعريب بالأندلس، وصلتها في زمن قياسي، وإنجاز عظيم للسياسة العربية القائمة على أساس احترام الآخر في كل الميادين، بقطع النظر عن دين هذا الآخر وعقيدته، ولعل من أبرز عوامل هذه السياسة، أنها تركت الحرية واسعة في أيدي الناس في اختيار عقائدهم بالشكل الذي يرتضونه لأنفسهم دون أي تدخل، مباشر كان أم غير مباشر، ذلك لأن القائمين على إدارة الدولة العربية كانوا موقنين تماماً أن هذه السياسة ستؤدي في نهاية الأمر إلى مزيد من النجاح في تعزيز أركان حركة التعريب وإظهارها بمظهر حضاري لائق وجذاب يقف الجميع أمامه موقف الإعجاب والاحترام والتقدير.

فقد بادرت مجموعة كبيرة من الإسبان إلى اعتناق الدين الإسلامي وسمي الجيل الأول من هذه المجموعة (المسالمة) ثم تطور الاسم بعد ذلك حتى استقر في النهاية تحت عنوان

¹ العنزي - ترصيع الأخبار، ص 25. ابن البار - الحلة السيرة، ج 1، ص 35. المقرئ - نفح الطيب، ج 4، ص 59.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

(المولدون).

وفي المقابل بادرت مجموعة أخرى إلى البقاء على دينها القديم، لكنها ركزت من ناحية أخرى على دراسة الثقافة العربية بكل تفرعاتها وأشكالها ومعطياتها، وسميت هذه المجموعة بالمستعربين وقد شغلت مجموعة المستعربين دوراً إيجابياً كبيراً في المجتمع العربي بالأندلس وهذا يدل على شدة تأثرهم وقناعتهم بظاهرة التعريب واقعاً وممارسة، فلم تتعرض هذه المجموعة لمصالح الدولة العربية لأنها رأت في استمرار هذه الدولة استمراراً لحياتها وأمنها وسلامتها وتحقيق مصالحها التي ارتبطت بالدولة العربية ارتباطاً وثيقاً، ودافعت عن هذه الدولة في كل المناسبات الضرورية.

ولعل هذا الواقع الذي حصل منذ عصر الإمارة الأموية بالأندلس واستمر وقتاً طويلاً كان من أبرز مظاهر التعريب في المجتمع الأندلسي، ومن أجل النتائج التي نجمت عن سياسة العرب الناجحة هناك.

ويبدو أن مسيرة التعريب هذه كانت قد سارت أشواطاً بعيدة وأثرت تأثيراً بالغاً في صفوف الإسبان، والدليل على ذلك الموقف السلبي الذي انبثق عن رجال الدين المسيحيين بالأندلس والذي تجسد بخوفهم الشديد على مستقبل الثقافة اللاتينية بعد أن وجدوا أن المستعربين قد تعمقوا في دراسة العلوم والآداب العربية ونبغ عدد منهم في هذه المجالات.

لذلك نرى أن رجال الدين المسيحيين بدأوا حملة مناهضة للثقافة العربية وللإسبان الذين انكبوا عليها فتعربوا لغة وثقافة وموقفاً، واحتجوا أي رجال الدين، بأن الثقافة العربية أثرت في اللغة والثقافة اللاتينية التي كتب فيها الكتاب المقدس وسير القديسين .

تَزَعَّم حركة رجال الدين المسيحيين هذه الراهب (إيلو خيو) الذي ركز على مسألة التمسك باللغة اللاتينية والعزوف نهائياً عن اللغة العربية وثقافتها. لكن محاولاته باءت بالفشل، ذلك لأن تأثير حركة التعريب كان قوياً في صفوف الإسبان، فتحوّلت هذه الحركة من معارضة حركة التعريب إلى هجوم قوي على الدين الإسلامي، وكان المحرضون على معاداة الإسلام

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

يغرون الناس بدعاية غير واقعية على فكرة هي، أن كل من يعادي الإسلام ويموت في حربه فهو شهيد لذلك سميت هذه الحركة عند أصحابها بحركة (الاستشهاد) .

وسميت عند العرب حركة الاستخفاف، ذلك لأن بعض أعضائها كانوا يستخفون بمقدسات المسلمين أو ببعض ما هو مقدس عندهم، مثال ذلك أنهم أقدموا في بعض الأوقات على شتم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كما فعل شخص بقرطبة اسمه (برفكتو) الذي أحيل على أثر ذلك إلى القضاء الذي حكم بإعدامه في سنة 235 هـ/ 850 م، وكذلك فعل رجل آخر اسمه (إسحق) في السنة التالية فحكم عليه القضاء بالإعدام، مع أن القاضي الذي أصدر الحكم كان سيخفّض هذا الحكم، لكن الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط أصر على قضية تنفيذ الإعدام حتى لا تستفحل الأمور المعارضة في صفوف أصحاب هذه الحركة، التي عدت غريبة على المجتمع الأندلسي الذي لم يعرف التعصب في الحقبة التي حكم فيها الأمويون على الإطلاق.

لكن هذه الحركة لم تستمر طويلاً، ذلك لأن المستعربين الإسبان وجدوا في استمرارها خطراً داهماً على المكتسبات الكبيرة التي حصلوا عليها في ظل الحكم العربي بالأندلس، فأعلنوا استنكارهم لهذه الحركة برمتها، وعقد بمدينة قرطبة مجمع ديني بموافقة الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط، برئاسة مطران إشبيلية (ريكافريدو) في سنة 237 هـ / 852 م، واتفق المشتركون في هذا المجمع على استنكار كل الأعمال التي قام بها أصحاب حركة الاستشهاد وأدانوها، وعدوها حركة غير مسؤولة على الإطلاق لأنها خرجت عن إرادة الكنيسة.¹

وفي هذا العصر أيضاً حدث ما لم يكن بالحسبان، فقد اتفقت السلطة الدينية العربية المتمثلة برجال الدين المسلمين مع المعارضة الإسبانية القومية المتمثلة بحركة الاسترداد، على ضرب عملية التعريب وإطفاء جذوتها وهو أمر خطير في كل المقاييس، لأنه نادر الحدوث في المجتمعات الإنسانية بوجه عام، وتأتي خطورة هذا الأمر في المقام الأول من اتحاد رجال

¹ أحمد مختار العبادي - في تاريخ المغرب والأندلس، ص 144 وما بعدها.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الدين المسلمين مع الحركة الإسبانية القومية المعادية للعروبة والإسلام على حد سواء، ذلك لأن رجال الدين وجدوا في مسألة التعريب خطراً على مصالحهم الدنيوية التي حرصوا أن يحافظوا عليها من خلال تظاهرهم بالحرص على تعاليم الدين وما إلى ذلك من أمور واهية، لا تمت إلى واقع الحقيقة بصلة.

لكن الأمير الأموي الحكم بن هشام المعروف بالربضي، كان لا يثق على الإطلاق برجال الدين، ذلك لأنه وجد فيهم خطراً على مشروعه العربي، الذي بواسطته يستطيع أن يحافظ على قوة الدولة ووحدةها في منطقة محاطة بالأعداء الأقوياء من كل الاتجاهات، لأن الأندلس كما هو معروف محاطة بالبحر المتوسط والمحيط الأطلسي من معظم جهاتها، وبإمكان الأساطيل الأوربية، أن تصلها في الوقت الذي تريده. لذلك بادر منذ لحظات حكمه الأولى إلى إبعاد رجال الدين عن كل المناصب الهامة والمؤثرة، وحصر نشاطهم في مجال الشؤون الدينية وما يتصل بها، وهي مهمتهم الأساسية، فعُدوا ذلك إهانة لهم بعد أن كانوا، قد تعلموا في عصر والده هشام الرضا على التدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية ذلك لأن هشام الرضا، كان يحرص على تقريبهم واستشارتهم، وهو أمر لم يحصل في عصر الأمويين بعد وفاته بالأندلس، لأن الأمويين وفي طلبعتهم الأمير الحكم الربضي، كانوا يؤمنون ويصرون بضرورة أن يبقى رجال الدين ملتزمين في حدود وظائفهم الدينية، وأن يكونوا نصيراً في مساعدة الحاكم على دفع حركة التعريب قدماً إلى الأمام، وهي الحركة التي عملت على الدوام على تعميق جذور التعريب في كل الميادين، وتأليف الجميع حول استراتيجية عربية واحدة، تؤمن بعدم إثارة المشاعر الدينية والمذهبية.

لهذا جاءت تصرفات الحكم الربضي تجاه رجال الدين حكيمة وعادلة، ذلك لأنهم أرادوا خلق شرخ كبير في عمق المجتمع العربي بالأندلس، فوقفوا مع المعارضين المولدين، وحرصوهم بكل الوسائل والطرق لإعلان الثورة على دولة الحكم الربضي ذات التوجه العربي الواضح، وكادت ثورة الربض، والربض هو الضاحية الجنوبية لمدينة قرطبة، التي كان سكانها من المولدين الإسبان الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام كما ذكرنا، وكانوا يعملون في

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحْرَمُ/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

مختلف الحرف والأعمال اليدوية، وكادت ثورة الربيض أن تتجح لولا رباطة جأش الأمير الأموي الحكم الذي أصبح يعرف باسم الحكم الربضي، ووضعه الخطط المناسبة التي ساعدت على إلحاق الهزيمة في صفوف المتمردين. وقد حدث ذلك كما هو معروف في تاريخ الأندلس في سنة 202هـ/818.¹

وتعد هذه الثورة من أخطر ما واجهته حركة التعريب بالأندلس في عصر الحكم الأموي على الصعيد الداخلي، ذلك لأنها كانت ثورة إسبانية الأهداف في المقام الأول، لأن المولدين الإسبان استغلوا قضية اعتناقهم للإسلام فحاولوا الانقلاب على السلطان العربي بمساعدة رجال الدين، الذين وجدوا في المولدين وسيلة للانتقام من الحكم الربضي، الذي منعهم من التدخل في شؤون الحكم والسياسة. ومن جهة أخرى فإن هذه الثورة كانت بمثابة إعلان دائم يتردد صدها في أذهان رجال الدين، في أن يمتنعوا عن محاولة التدخل في الشؤون السياسية العادية، التي هي من اختصاص الحاكم نفسه، وبذلك نجح الأمويون في فصل الدين عن الدولة طوال مدة حكمهم، مما ساعد على خلق جبهة داخلية عربية متماسكة، استطاعت أن تقف في وجه كل المحاولات الإسبانية والأوربية وخاصة في عصر الخلافة الأموية، التي كانت فيه الدولة العربية بالأندلس من أزهى وأقوى دول العالم على الإطلاق، حضارة وعلماً وثقافة لأن الجميع من عرب وإسبان ويهود تعاونوا تحت مظلة العروبة، التي أفاعت على الجميع بظلمها الوارف، ووفرت لهم كل أشكال الحرية والأمن والاستقرار، وهو ما سنتحدث عنه في الفقرات الآتية.

أما في عصر الخلافة بالأندلس فقد سارت عملية التعريب بوتيرة عالية لكنها مع مرور الأيام كانت تتعرض لبعض النكسات التي أدت مع تقادم الوقت إلى كارثة حقيقية، تجسدت في سقوط الخلافة الأموية، فقد كان السبب في النكسات غير المباشرة التي تعرضت لها حركة التعريب في معظم الأحيان، هو حرص الخلفاء الأمويين على المحافظة على مسألة التوازن

¹ ابن عذاري - البيان المغرب، ج 2 ص 72 وما بعدها. عبد العزيز سالم - تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 302. أحمد مختار العبادي - في تاريخ المغرب، ص 120 وما بعدها.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

العام في المجتمع، الذي تشكل من غالبية عربية ومجموعة إسبانية ومجموعة من الصقالبة¹ واليهود.

لكن عملية التوازن هذه لم تستمر في حدود السيطرة بل نرى أن بعض الفئات غير العربية بدأت تعمل لمصلحتها الخاصة دون العرب، وكذلك فقد كان للاعتماد على الصقالبة وغيرهم ردود فعل سلبية جداً في صفوف العرب، الذين بدأوا يتذمرون من وجود بعض الشخصيات غير العربية في المراكز القيادية، وخاصة في عصر الخليفة الناصر لدين الله الذي أسرف في استخدام الصقالبة واليهود في القيادة والإدارة العليا، معتمداً في ذلك على تمكنهم من الثقافة العربية في مختلف فروعها، لكنه أغفل أنهم، على رغم ثقافتهم العربية الواسعة، كانوا ما زالوا يعتزون بأصولهم وقومياتهم والدليل على ذلك أن الصقالبة، الذين استخدمهم الخلفاء الأمويون بكثرة لم يبقوا في إطار مهمتهم الأساسية وشمل هذا التطور كل وجوه الحياة. فقد قام أحد الصقالبة وهو حبيب الصقلي بتأليف كتاب نوه فيه بمناقب وفضائل الصقالبة في مواجهة مناقب وفضائل العرب وسماه (الاستظهار والمطالبة على من أنكر فضائل الصقالبة).

وقد تحدث ابن بسام الشنتريني عن هذا الكتاب في كتابه (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) فذكر أنه اطلع على مضمونه جيداً وقال إنه يحتوي على مجموعة كبيرة من أخبار الصقالبة العامة، وبعض الأخبار عن إنتاجهم العلمي والأدبي، وقيل إن ابن بسام الشنتريني، تقصّد عدم ذكر أي شيء من أدبهم تعصباً منه لعروبتهم، وهذا الأمر يوحي أن هذا الكتاب كان يركز حول مسألة التفاخر والتباهي بالأدب الصقلي وإظهاره بمظهر المتفوق على الأدب العربي، وهذا ما حدا بالمستشرق الألماني - جولد تسيهر إلى القول بأن هذا الكتاب كان بداية الحركة الشعبية في الأندلس العربية.²

¹ الصقالبة هم مجموعة من العبيد الأوربيين جيء بهم من مختلف البلدان الأوربية، واستُخدموا في الأندلس في شتى ألوان الخدمة، ومع الأيام شغلوا أدواراً كبيرة في السياسة والجيش والإدارة ولاسيما في عصر الخلافة موضوع هذا البحث.

² أحمد مختار العبادي - في تاريخ المغرب والأندلس، ص 198.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ويروج بعض المستشرقين لمقولة مفادها أن الخلفاء الأمويين وخاصة الناصر لدين الله، كانوا يرون في مسألة الاعتماد على الصقالبة إضعافاً للنفوذ العربي، الذي كان يثير في نفوس الخلفاء مشاعر الخوف والقلق، لكن هذا القول لا يصح على مدة حكم الخلفاء الأمويين الذين لم يكونوا يخافون من شيء، والدليل على ذلك أنهم فرضوا أنفسهم في كل المجالات، وسيروا كل الأمور لمصلحة الدولة العربية، وما اعتمداهم على الصقالبة واليهود والإسبان، سوى جزء طبيعي من سياستهم العامة، التي كانت تهدف إلى صنع حالة من الهدوء والاستقرار بغية الانطلاق لإنجاز مشروعاتهم الحضارية، الذي تحقق على أكمل وجه وخلال زمن قياسي. لكن الذي حدث أن العرب توجسوا خيفة من قضية اعتماد الخليفة الناصر لدين الله على بعض الصقالبة في بعض المواقع القيادية، كما حدث في معركة الخندق سنة 327هـ/939م بين العرب والإسبان، وقد هُزم العرب في هذه المعركة شر هزيمة، وقيل إن سبب الهزيمة في هذه المعركة أن العرب المشتركين فيها لم يقاتلوا بصدق كما يجب، لأنهم تنمروا وتضايقوا من تعيين الناصر لدين الله شخصية صقلبية لقيادة الجيش وهو نجدة الصقلبي، وهذا يدل على أن الشعور العربي كان في أوج قوته وتوقده.¹

وقد تجلّى ذلك الشعور في أصدق وأحلى صورته، حينما تخلص المنصور محمد بن أبي عامر من الصقالبة نهائياً، لأنه كان يرى فيهم خطراً على الدولة العربية، بعد أن لمس وعانى من تدخلهم في قضية تعيين المغيرة بن عبد الرحمن الناصر خليفة بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر.²

من ناحية أخرى اهتم المنصور محمد بن أبي عامر بتعريب الجيش فألغى كل الامتيازات القبلية، وساوى بين الجميع في العطاء والقيادة، فزالت الفروق بين عناصر هذا الجيش، وأصبح تحت راية واحدة يعملون من أجلها وهي الراية العربية. وقد تمكن المنصور بواسطة

¹ أحمد مختار العبادي - في تاريخ المغرب والأندلس، ص 34 وما بعدها.

² ابن عذاري - البيان المغرب، ج2، ص 286.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

هذا الجيش من تنفيذ أكثر من خمسين غزوة كان النجاح حليفه فيها، حتى إنه وصل في بعضها إلى شنت ياقب في الزاوية الشمالية الغربية من الأندلس، وهي أبعد نقطة وصلها العرب في العصور الوسطى في القارة الأوروبية.¹

من كل ما تقدم من أمثلة على مظاهر التعريب المختلفة في عصر الخلافة يمكن أن نقول إن سبب كل النجاحات اللاحقة في هذا العصر الميمون كان سببها انتهاز سياسة عربية واضحة الأهداف والمقاصد، وهي سياسة تميزت بابتعادها عن العنصرية والتفرقة والتشردم، والدليل على ذلك أنه لما غابت هذه السياسة من الأفق الأندلسي سقطت الخلافة الأموية، وتدهورت أحوال الأندلس، وتجزأت إلى عدد كبير من الدويلات الهزيلة، التي بقيت طوال حياتها لا تقدر على عمل شيء مؤثر أمام القوة الإسبانية المتنامية التي استطاعت أن تسيطر على هذه الدويلات، وأن تُسيّرَها في الاتجاه الذي تريد.²

ولم يمض وقت طويل على سقوط الخلافة الأموية بالأندلس حتى تمكنت القوة الإسبانية التي حملت اسم حركة الاسترداد من السيطرة على طليطلة عاصمة إسبانيا القديمة، وكان ذلك ضربة كبيرة في عمق الوجود العربي، ذلك لأن طليطلة تتوسط بلاد الأندلس، وهي ثغرها الأوسط، وقد حدثت هذه المأساة في سنة 478 هـ/1085م، وتبع سقوط طليطلة سقوط جميع توابعها مثل مجريط (مريد) ومدينة سالم، ووادي الحجاره وأقلش، وقونكة، وهي منطقة واسعة تصل إلى حدود قرطبة، لذلك عدّها الإسبان إنجازاً عظيماً لحركة الاسترداد، وأطلقوا عليها تجسيدا لعظمة هذا الإنجاز اسم قشتالة الجديدة لأن قشتالة القديمة في وسط شمال الأندلس، كانت عاصمة لحركة الاسترداد الإسبانية، وقد عبر الشاعر الطليطلي المعروف بابن العسال عن هذه المأساة العربية أفضل تعبير، واعتبرها بداية النهاية للوجود العربي بالأندلس .

يقول في قصيدة طويلة أولها:

¹ الطرطوشي - سراج الملوك، ص 229.

² ابن الخطيب - أعمال الإعلام، ص 14. المقرئ - نفح الطيب، ج 1، ص 198.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

شدوا رواحكم يا أهل أندلس فما المقامُ بها إلا من الغلط
الثوبُ ينسلُّ من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط¹

وكان من أكثر الذين تأثروا بسقوط طليطلة هم المستعربون الإسبان مما يدل بوضوح على عمق جذور حركة التعريب في صفوفهم ونفوسهم، فقد تحركوا على أثر سقوط طليطلة، واتصلوا بزعامة حركة الاسترداد، علَّهم يرفعون الضيم عن العرب من جرّاء هذه النكبة، وكان ذلك برئاسة شخص يدعى (ششند)، الذي حاول عبثاً أن يقنع قادة حركة الاسترداد، أن يتعايشوا مع العرب المغلوبين على أساس الاحترام والسلام، مذكراً إياهم بحسن معاملة العرب للإسبان بعامّة طوال مئات السنين، لكن ذلك لم ينفع في تغيير أي شيء من فصول النكبة العربية، التي حلت بالعرب نتيجة اختلافهم وتفرقهم، وبدلاً من أن يحصل ذلك اتحدت قيادة حركة الاسترداد مع مجموعة دينية فرنسية، كانت تتبع لنظام كنسي عرف بنظام (كلوني) نسبة لدير كان قد نشأ فيه هذا النظام بمدينة كلوني الفرنسية، وهو نظام عنصري متعصب، كان هدفه الأساسي استئصال شأفة الوجود العربي في القارة الأوروبية.²

وعلى الرغم من تمزق وحدة الأندلس بعد سقوط دولة الخلافة الأموية، وظهور دويلات عديدة مستقلة عرفت بدويلات الطوائف³ فإن بعض هذه الدويلات ظلت مثابرة على السير في طريق التعريب، وحاول بعضها عبثاً إعادة وحدة الأندلس، كما كانت في عصر الخلافة تحت الراية العربية. كان في طليعة هذه الدويلات دولة اشبيلية بقيادة بني عباد، الذين تحدروا من أصول مشرقية عربية صريحة، وانتقلوا إلى الأندلس وشغلوا فيها دوراً إيجابياً إلى حد بعيد، ولعل أهم الأدوار الإيجابية التي شغلوها، هو شغلهم لقيادة إشبيلية في عصر الطوائف بالأندلس وحاولوا طوال هذا العصر أن يعيدوا للأندلس وحدتها، وذلك بضم دويلات الطوائف الأخرى

¹ ابن خلكان - وفیات الأعيان، ج 4 ، ص 118.

² أشباح - تاريخ المرابطين والموحدين، ج1، ص 139.

³ سقطت دولة الخلافة سنة 422هـ وبدأ بالأندلس ما يسمى بعصر الطوائف الذي استمر حتى سنة 484 هـ.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحْرَم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

في دولة واحدة، والوقوف بقوة وصلابة في وجه حركة الاسترداد الإسبانية. وكان من أهم أفعالهم في هذا الميدان، تحرك المعتمد بن عباد زعيم دويلة إشبيلية لمواجهة ما يدور حوله من تحركات معادية، ومن ذلك أن الفونسو السادس زعيم حركة الاسترداد الإسبانية، الذي أنجز عملية إعادة طليطلة وما حولها إلى السيطرة الإسبانية، قد أخذته نشوة النصر واستبدت بمشاعره، فتلقب بإمبراطور جميع إسبانيا، وبذي الملتين (أي الإسلامية والمسيحية)، ولما سمع المعتمد بن عباد الزعيم العربي الإشبيلي بهذه الألقاب، استكرها وأمر بشطبها من المراسلات التي وصلت إليه من الفونسو السادس، وقال للمراسل بلهجة غضب شديدة: (المسلمون أحق بهذا الاسم...)،¹ وكان يقصد بوجه خاص لقب (ذي الملتين) الإسلامية والمسيحية، وهو لقب عربي في الأصل .

وحيثما توترت العلاقة بين الفونسو السادس والمعتمد بن عباد، أيقن هذا الأخير، بأن جميع دويلات الطوائف ومنها دويلته إشبيلية، ستسقط قريباً في أيدي الإسبان، وهو أمر كان محتتماً بعد الذي حصل في طليطلة وما حولها، لذلك توجه المعتمد بن عباد لطلب المعونة الفورية من الدولة المرابطية بالمغرب الكبير، التي كانت في أوج فتوتها وقوتها وحماسها. ونصحته مستشاروه بعدم التوجه إلى المرابطين، لأنهم في نظر هؤلاء المستشارين لن يكونوا أقل من الإسبان في مسألة حب السيطرة على المناطق، التي تشغلها دويلات الطوائف بالأندلس ومنها إشبيلية، لكن ابن عباد بتأثير حسه العربي ونظرته البعيدة لخدمة المستقبل العربي، رفض نصيحة مستشاريه، على معرفته الأكيدة بصحتها وواقعيتها، وفضل أن تقع بلاده في أيدي المرابطين العرب بدلاً من أن تقع في أيدي الإسبان، وقد تجلّى ذلك بقوله المشهور: (رعي الجمال عندي خير من رعي الخنازير) ويقصد بذلك أنه يفضل المرابطين على الإسبان² ويعد هذا الموقف من أكبر المواقف العربية الصريحة، التي صدرت عن الحكام بالأندلس والمغرب

¹ مؤلف مجهول - الحلل الموشية، نشر علوش، ص 26.

² مؤلف مجهول - الحلل الموشية، ص 32، السلاوي، الاستقصا، ج2، ص 35.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

في العصور الوسطى، لأنه يمثل مرحلة متقدمة وناضجة في خضم عملية التعريب في الأندلس.

وهذا ما يشجع على القول، بأن المدة التي شغلها الأمويون في حكم الأندلس، وكذلك بعض زعماء الطوائف كالمعتمد بن عباد سابق الذكر، وهي المدة التي بدأت منذ عصر الولاة وانتهت بدخول المرابطين إلى الأندلس سنة 484هـ/1091م، شكلت ما يسمى بالسيادة العربية شبه المطلقة، ذلك لأن العرب في هذه المدة، جاؤوا إلى الأندلس من بلاد الشام ومصر والعراق والحجاز، وتوطنوا في مختلف المناطق الأندلسية، وصبغوها بصبغة عربية واضحة المعالم في شتى المجالات، وظل ذلك واضحاً في حياة الأندلس حتى خروج العرب منها في أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ودليل ذلك أن الإسبان حينما انتصروا على آخر مجموعة عربية بغرناطة، كان من أوائل أعمالهم القبيحة، طمس كل معلم عربي من آثار ومؤلفات، ونسوا أن العروبة بثقافتها المتقدمة، هي التي أمدّت الأوربيين بالوسائل الحضارية والإنسانية الأصلية، ذلك لأن الأندلسيين العرب، تميزوا بوجه خاص بالعزة والأنفة وعلو الهمم وعدم احتمال الذلة والمهانة، كما تميزوا بالسماحة والنزاهة.¹

وقد كونت العربي الأندلسي ثلاث عناصر هي، الاختلاط والحياة الجديدة والأصل العربي، بل الحياة العربية التي تملأ مخيلته. وبقي العنصر المتمثل بالأصل العربي هو البارز في حياة عرب الأندلس، وهو أصله نقله من المشرق العربي، وظل يحتفظ به على الدوام، لذا نرى أن معظم الأندلسيين، الذين اشتهروا في ميادين العلم والشعر والأدب، كانوا قد تحدروا من أصول عربية عريقة.²

وكان معظم الشعراء العرب، يحرصون على إبراز عروبتهم، ذلك لأنهم كانوا يشعرون أن ذلك ضرورة وطنية، لأنهم يعيشون في بيئة، يعمل أصحابها على محاربة العرب. ولعل ابن

¹ المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص 763.

² مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، ج3، ص 368.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

حمديس يأتي في طلبعة هؤلاء الشعراء.¹

ومن الجدير بالذكر في هذا الشأن الهام، أن الأندلسيين منذ بدأ اهتمامهم بالعلم في أوائل عصر الإمارة الأموية، عدوا دراسة الشعر ضرورة مطلقة، ذلك لأن الشعر واللغة العربية إلى جانب القرآن الكريم، كان يقوي لغتهم ويصقلها ويعززها في عقول الجميع. فَمَعَ أن رجال الدين، كانوا يرون في الشعر ضرباً غير مرغوب فيه، فإنهم كانوا في الأندلس يشجعون على دراسته وحفظه، حفاظاً على اللغة العربية وتمكين جذورها ووجودها كلغة مرموقة ذات انتشار واسع، وقد برز ذلك في شخصية الفقيه أبي بكر العربي المتوفى سنة 543هـ/ 1149م، الذي كان يثني ويشيد بطريقة وأسلوب الأندلسيين من أبناء جلدته، الذي كما ذكرنا كان يتجسد في إقبالهم على دراسة الشعر مثل دراسة أي علم آخر، فكان يدعو على الدوام إلى ضرورة قراءة الشعر في البداية، ذلك لأن الشعر في نظره هو ديوان العرب.²

كما يمكن أن نضيف أن مظاهر التعريب بالأندلس في العصور الوسطى، لم تكن قد اقتصرت على الأدب أو الأمور السياسية وما يتصل بها، بل شملت عدة مجالات أخرى، نذكر منها على سبيل المثال المجال العلمي، فقد ظهرت مظاهر التعريب في بعض المؤلفات التاريخية الهامة، كما حصل في كتاب (أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها) لمؤلف مجهول، الذي ينتهي في سنة 350 هـ/ 962 م عند وفاة الخليفة الشهير عبد الرحمن الناصر لدين الله. ويتميز هذا الكتاب بوجه خاص بدقته العلمية وتعصبه للعرب، مما يوحي بأن صاحبه رجل عربي صريح. وقد جاء هذا الكتاب على عكس كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) لابن القوطية، الذي تميز بتعصبه للإسبان في كثير من الشؤون والموضوعات، فهو يثني على الأمير القوطي الإسباني أرتباس بن غيطشة، ويهاجم الزعيم العربي الصميل بن حاتم، فينتعه بالجهل والامية وما إلى ذلك، مما يدل دلالة واضحة على أن ابن القوطية بفعل قرابته من

¹ جودت الركابي، المرجع السابق، ص 100 وما بعدها.

² ابن خلدون، المقدمة، ص 539.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحْرَمُ/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الأميرة الإسبانية سارة حفيدة ملك إسبانيا غيظشة القوطي، كان يميل إلى جانب الإسبان ويكره السيادة العربية على الأندلس، مما جعل بعض الكتاب يعد كتابات ابن القوطية هذا، بداية المحاولات الأولى على طريق الشعوبية بالأندلس، لكن شعوبية الأندلس لم تهاجم الإسلام، كما حصل في المشرق في عصر العباسيين، بل هاجمت السيادة العربية على الأندلس، ودليل ذلك ابن القوطية موضوع هذا الحديث، الذي عرف بتعصبه الشديد للإسلام وتمسكه بتعاليمه¹ وفي ذلك مثال ساطع على أن الإسلام كدين وعقيدة، لم يتمكن حتى اليوم من إلغاء المشاعر القومية والوطنية، ولم يكن أكثر من عقيدة يأمل صاحبها أن يسير بفضلها على طريق الفوز والنجاة في الآخرة. فقد كان ابن القوطية موضوع هذا الحديث من طبقة المولدين، ذات الأصول الإسبانية التي اعتنقت الإسلام، وهي طبقة بقيت على الدوام، تسعى لتحقيق أهدافها القومية والوطنية المتمثلة بالتخلص من السيطرة العربية تخلصاً نهائياً، ولم تستطع العقيدة الإسلامية، أن تؤثر في عقول أبناء هذه الطبقة لتجعلهم يسرون في ركب الدولة العربية، من ثم ينسجون أصولهم الإسبانية والقومية، على اعتبار أن مجموعة من المسلمين ما زالوا يحملون بأن الإسلام كفيل بإزالة كل المشاعر القومية والوطنية، وهو أمر مستحيل التحقيق، وسيبقى في عالم الأحلام والخيال، وذلك بالاستناد إلى التجربة المغربية والأندلسية في مختلف الحقب، فقد دلت الأحداث أن الغرباء، لم تكن تعنيهم العروبة بشيء، وتبلور نشاطهم على الدوام بمسألة تحقيق مصالحهم الوطنية والقومية في المقام الأول.²

ولابد من لفت النظر أن بعض مظاهر التعريب، تجلت في حرص بعض رجال الدين على استمرار الوجود العربي بالأندلس، وذلك بدعوة الحكم للتحرك قبل فوات الأوان، حينما كانت الأندلس تتعرض للأخطار وخاصة في زمن الطوائف، حيث تقاعس معظم الحكام باستثناء المعتمد بن عباد زعيم دويلة إشبيلية، الذي حاول أن يفعل شيئاً على طريق تدعيم الوجود

¹ يضاف إلى ذلك أنه كان متعمقاً في اللغة العربية، ودليل ذلك تأليفه لكتاب في النحو اسمه الأفعال.

² المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص 155، وما بعدها. مؤلف مجهول - أخبار مجموعة، ص 31.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

العربي بالأندلس، وكانت جهوده محمودة في هذا السبيل إلى حد بعيد. ومن شدة حرص بعض رجال الدين على الوجود العربي، كانوا يلحون بدعوة الحكام للتحرك الإيجابي، مما أثار حفيظة زعماء الطوائف، الذين وجدوا في دعوة رجال الدين حرجاً كبيراً لوجودهم في السلطة، فأمرؤا بقتل بعض من ألحوا بدعوتهم للتحرك على طريق الحفاظ على وجود العرب بالأندلس.¹

أما في عصر المرابطين والموحدين، فقد كانت مظاهر التعريب قوية وفاعلة، ساعد على ذلك قوة هاتين الدولتين على الأرض، وكانت هذه المظاهر في كل مجالات الحياة، وهو ما تحدثنا عنه في سياق الحديث عن مظاهر التعريب في المغرب الكبير، لأن المغرب والأندلس كانتا دولة واحدة، وكانت عاصمة المرابطين والموحدين في المغرب.

وفي عصر بني الأحمر في غرناطة، حاول الغرناطيون حفظ ما هو تحت أيديهم من وسائل التعريب ووجوده، فقد صمدوا صموداً لافتاً في وجه أعدائهم، ولكن هذا الصمود لم يتمكن من الاستمرار، وذلك لقوة عدوهم الذي وقفت معه كل البلدان الأوربية، على حين حاول الغرناطيون طلب مساعدة العرب في المغرب الكبير والمشرق، فاستجاب المغرب الكبير في جزء منه، وهو المغرب الأقصى الذي تمثل بدولة بني مرين، ولم يستجب له المشرق على الإطلاق، لأن قلب المشرق وظهره كان مريضاً بمرض السيطرة المملوكية، التي لم تكن تهتم إلا بما ينفع مصالحها الشخصية المحدودة، فسقطت غرناطة وهي تنادي وتصرخ في آذان الأشقاء، وحتى اليوم لم يسمعها أحد من العرب.

¹ الأمير عبد الله، الثبياني، ص 106 وما بعدها، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص 99، ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 245.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بحوث في الترجمة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

اللغة العربية والترجمة الآلية

المشاكل والحلول

أ.د. محمد زكي خضر
الجامعة الأردنية - الأردن

مقدمة

الترجمة هي نقل معاني نص من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة الدقة والأسلوب. ويتطلب ذلك فهم النص الأصلي والتعبير عن المحتوى والأسلوب بلغة أخرى. فالمترجم يجب أن يتقن اللغتين: المترجم منها والمترجم إليها.

هناك طريقتان معروفتان في الترجمة. أولهما تعتمد الترجمة الحرفية والالتزام بمعاني مفردات النص الأصلي ونقلها إلى اللغة الثانية، والطريقة الثانية تعتمد على فهم المعنى العام ثم التعبير عنه باللغة الثانية بأسلوب المترجم نفسه.

المترجم يتعرف الرموز المكتوبة في الترجمة الكتابية، والأصوات المنطوقة في الترجمة الشفوية، أي يقرأ الرموز الكتابية للغة التي يترجم منها إذا كان النص مكتوباً أو يتعرف أصوات اللغة التي يستمع إليها إن كانت ترجمة شفوية. وهنا نذكر أن قراءة اللغة العربية المكتوبة بحروف غير مشكولة يستوجب معرفة من القارئ لكي يقوم هو بالشكل الصحيح دون أن تبصر عيناه علامات الشكل. وهو بذلك يستعمل خبراته التي تعلمها وتدريب عليها في ماضي حياته من قواعد اللغة لكي يستعملها بسرعة، فينصب المفعول ويرفع الفاعل وربما يفعل ذلك بالسليقة وهو لا يعرف من قواعد الإعراب اللغة العربية شيئاً. أما المترجم للكلام

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المنطوق فهو يستطيع تمييز الجملة التي يترجمها إن كانت استفهامية أو خبرية أو تعجبية دون وجود علامات استفهام أو تعجب. بعد ذلك يرجع المترجم إلى الوحدات المعجمية وهي الكلمات والتعبيرات الاصطلاحية ويفهم معانيها في سياقاتها اللغوية والاجتماعية المختلفة، وهنا يجب الإلحاح على السياقات المختلفة، لأن الكلمة الواحدة تعني أشياء كثيرة طبقاً للسياق الذي ترد فيه. هناك إذن مشكلة معاني الكلمات في السياقات المختلفة (أي تعدد المعاني)، إضافة إلى المشتركات اللفظية (الكلمات التي تتشابه في كتابتها أو نطقها وتختلف في معانيها، مثل عين الإنسان وعين الماء¹ وهناك التعبيرات الاصطلاحية. وهذه كما سنرى تمثل مشكلة كبيرة بالنسب للترجمة عامة والترجمة الآلية خاصة.

وهنا ينبغي تحليل المفهوم والوقوف على كنهه وما يتفرع عنه من ظلال في المعنى، وخاصة المجازية منها وغيرها، وذلك حتى نتحدد العلاقة بين هذا المفهوم وفروعه وبين المفاهيم التي يمكن أن تتصل به بشكل أو بآخر، أي العلاقة بينه وبين مجموعات المفاهيم الأخرى، وذلك للوصول في النهاية إلى الجملة أو شبه الجملة. فالمفهوم الذي يرتبط بجسم واحد بعينه، أو يدل عليه، هو مفهوم إفرادي، مثل "المريخ" أما إذا ارتبط المفهوم بعدة أجسام بينها نوع من التجانس الذي يضعها في مجموعة واحدة، فإن المفهوم يكون عاماً (بمعناه الضيق هنا)، مثل "كوكب". فهذا المفهوم يدل على عدد من الأجسام التي تدور حول الشمس. ولتحديد المقصود يمكن أن يكون التعريف مركزاً أو موسعاً. وعلى ذلك فإن دقة التعريف تحدد المفهوم. والتعريف قد يكون شاملاً في بعض الأحيان وفي غالب الأحيان لا يخلو من النقص أو أن يكون تعريفاً بالضد أو ما يعرف بالتعريف السلبي أو أن يكون فضفاضاً أو ضيقاً أو يأخذ بمبدأ الإحلال والتعويض إلى غير ذلك من الصفات التي يتصف بها التعريف. وهذا التعريف قد يكون واضحاً في ذهن المترجم وقد يكون مشوشاً فيتصرف في ترجمته لهذا

¹ د. د. محمود اسماعيل صالح (الصيني)، أستاذ اللغويات التطبيقية، مدير مركز الترجمة بجامعة الملك سعود (سابقاً) الحاسوب في خدمة الترجمة والتعريب

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

المفهوم وقد يعبر عنه بمفهوم يفهمه هو ويكون قريباً أو بعيداً من المفهوم الأصلي.

ومن العمليات التي تساعد على تعرّف المفهوم، تعرف الوحدات النحوية ووظائفها: أي تحديد الوحدات (الألفاظ والتعبيرات) ومعرفة دور كل منها في الجملة، مثل المسند والمُسند إليه والتكملة. ومن أمثلة التعبيرات المضاف والمضاف إليه، والجار والمجرور والصفة والموصوف وغير ذلك. وكل من هذه التعبيرات له وظيفته النحوية، فبعضها يقوم مقام الفاعل أو المفعول به وبعضها يقوم مقام الصفة أو الظرفية إلى غير ذلك. ومن الوحدات النحوية الجمل. ولا بد للمترجم أن يفهم معنى كل واحد من هذه العناصر ووظيفته اللغوية والنحوية في النص. فصيغة الأمر قد تعبر عن إلزام السامع أو رجائه أو استعطافه مثلاً. كما أن الصيغة الخبرية قد تأتي للإخبار كما تستعمل للطلب غير المباشر (كما في عبارة "أرى أن لديك قلماً زائداً")، بل وللدعاء كذلك ("رحم الله فلاناً" مثلاً).¹

ومن الأمور المهمة في الترجمة معرفة حقل النص ومجال تخصصه. مثلاً إذا كان النص في علم الكيمياء فإنك تجد أن بعض الكلمات تختلف معانيها في هذا النص عن معانيها لو وردت في نص الفيزياء أو وردت في الإلكترونيات. أو أن كلمة وردت في حقل تجارة المواد الغذائية أو في حقل من حقول العلوم الزراعية. وهكذا.

الجانب الثاني وهو التعبير عن محتوى النص باللغة الهدف أي اللغة المترجم إليها. ويتطلب هذا معرفة بإنتاج المقابلات الصوتية أو الكتابية والنحوية والمعجمية والبلاغية. فعلى المترجم أن يعرف أن هذه التعبيرة الإسنادية مثلاً تترجم إلى كذا وهو بذلك يجب أن يكون ملماً بقواعد النطق أو الإملاء. وأصول الكتابة: قواعد النطق إن كانت الترجمة شفوية في اللغة المترجم إليها، أو قواعد الإملاء وأصول الكتابة في هذه اللغة، إن كانت الترجمة تحريرية. وهو بذلك يقوم باختيار العبارات المناسبة في اللغة التي يترجم إليها التي توافق المفهوم الذي

¹ أ. د. محمد الصرايرة، قسم اللغة الإنكليزية، جامعة اليرموك، اللغة العربية والترجمة الآلية، محاضرة في مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي التاسع عشر 2001م.

توصل إليه في الخطوات السابقة.

وهنا تبرز براعة المترجم في اللغتين حيث يجب أن يتقن ما يسمى بالتعادل أو التقابل المعجمي أو الاصطلاحي، فالتعبير العربي "رجع بخفي حنين" ليس له مقابل حرفي بأي لغة، ولو ترجمت ترجمة حرفية لأصبحت مضحكة. فهو يجب أن يفهم مثل هذه العبارات ويجب أن يعرف العبارات الدارجة التي تقابلها في اللغة الثانية أو على الأقل يؤلف/يبتكر هو تعبيراً من كلمات تلك اللغة يعبر به عن المفهوم بدقة كافية مستعملاً القواعد النحوية والصرفية في اللغة التي يترجم إليها. فالترجمة كالكتابة أو التأليف تخضع لقواعد الصحة اللغوية نفسها.

أما القواعد الأسلوبية وهي القاعدة البلاغية المعروفة (لكل مقام مقال) فنجد أن الجملة أو العبارة قد تكون صحيحة نحوياً ومعجمياً ولكنها غير مناسبة من حيث المقام. فالمترجم يجب أن يكون ذا معرفة بالقواعد الأسلوبية لللغتين المترجم منها والمترجم إليها.¹

وماذا بعد ذلك؟ لا يزال هنا مشكلة التعامل مع الجمل الطويلة. فالجمل الطويلة هي من أهم مشاكل الترجمة لأنها تحتاج إلى معالجات ذهنية معقدة وقد تشوش ذهن المتلقي بوجه عام. فقد تحوي الجملة الطويلة عدة مفاهيم وقد يتجزأ المفهوم الواحد لينتقل بين بدء الجملة ونهايتها. وقد يتخلل المفهوم الواحد مفاهيم ثانوية. وقد يكون المفهوم المهم مخفياً بين عدد من المفاهيم الأقل أهمية منه. وهكذا فإن الجملة الطويلة قد تستعصي على الفهم والتحليل وكذلك تستعصي على التركيب في اللغة المترجم إليها.

إن معلوماتنا عن الترجمة محدودة إلى الآن، ولا نستطيع إن نقول إن المترجم يتبع هذه الخطوات: 1، 2، 3 بل إن كل مترجم له أسلوبه الذي يتبعه في الترجمة، وأصعب من ذلك تحديد كيفية فهم النص. ماذا نفعل تماماً حينما نحاول فهم نص ما من النصوص؟ إن الطريقة التي يتعامل بها دماغ الإنسان مع النصوص ما زالت غير معروفة على وجه الدقة وتخضع لنظريات غير مؤكدة حتى الآن. كما أنه لم تتوفر حتى يومنا هذا أساليب ناجحة للتعامل مع

¹ المصدر السابق.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

توفير عناصر الحس والخبرة الذاتية والمعلومات وغيرها التي يمكن أن ننقلها بشكل من الأشكال إلى الحاسوب في الترجمة الآلية التي سنتناولها فيما بعد. لذلك يمثل "فهم النص" مشكلة كبرى في الترجمة.

لماذا الترجمة الآلية؟

السبب الأول والأهم هو وجود كمية هائلة مما يجب ترجمته، بحيث لا يكفي عدد المترجمين من البشر للقيام بجزء يسير منه، خاصة بعد تفجر ثورة المعلومات وتنوع اللغات التي تنتج المعارف اليوم وينبغي أن يعرفه مَنْ لا يتكلمون تلك اللغة. يزيد عدد اللغات الحية اليوم على 4000 لغة في كافة أنحاء العالم. وتأتي اللغة العربية ضمن اللغات العشر الأولى منها إذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد الناطقين بها. وبرغم التأريخ الحافل للغة العربية فإنها اليوم ليست المصدر الأهم في العلوم والتقنية الحديثة. لذلك فإن عملية الترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية ذات أهمية بالغة بالنسبة للناطقين بالعربية. فإذا ما أرادوا الاطلاع على آخر ما توصل إليه العلم فإما أن يتعلموا لغة (أو لغات) أخرى بجانب العربية، أو أن يترجم لهم ما يصدر من علوم في اللغات الأخرى. وما نشهده اليوم من إقبال على تعلم اللغة الإنكليزية والتدريس بها في الجامعات والمدارس في الوطن العربي ما هو إلا نتيجة للتخلف في الترجمة إلى اللغة العربية.

أبرز تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول لعام 2002 ضعف حركة الترجمة في الوطن العربي، بل ضمورها الشديد، مما يكاد يقضي على دورها المأمول في نقل المعرفة وتوطينها باللغة العربية. وقد كشفت الإحصاءات في هذا الصدد أن ما يترجمه العالم العربي من كتب قد لا يزيد على خمس ما يترجمه بلد أوروبي صغير مثل اليونان الذي يقل عدد سكانه عن 5% من عدد سكان الوطن العربي. وتتعاظم أهمية الترجمة العلمية يوماً بعد يوم نتيجة الانفجار المعرفي وتزداد هذه الأهمية بالنسبة لعالمنا العربي لكونه - أساساً - متلقياً للمعرفة أكثر منه

منتجاً لها. وتعثر الترجمة يعد سبباً رئيسياً وراء تعثر تعريب التعليم الجامعي.¹

لمقدم هذا البحث تجربة في ترجمة أحد الكتب العلمية التي تدرس في أقسام الهندسة الكهربائية في كافة أنحاء العالم منذ السبعينيات في القرن الماضي. فبعد قضاء أكثر من عام في ترجمة الطبعة الثانية من الكتاب ظهرت الطبعة الثالثة فأعيدت الترجمة من البداية وأدى ذلك إلى تأخر ظهور الترجمة العربية أكثر من عامين آخرين. منذ ذلك الحين وحتى اليوم وصلت طبقات الكتاب إلى الطبعة السابعة وهو يحتل مركز الصدارة في الكتب المقررة في الجامعات العالمية لتلك المادة في أقسام الهندسة الكهربائية منذ ما يقرب من أربعة عقود، لكن لم تصدر ترجمة عربية لأي طبعة لاحقة حتى الآن، ولم تستعمل الترجمة العربية إلا في العراق. ولو قدر لهذا الكتاب وحده أن تستمر ترجمات طبعاته وأن تدرس مادته باللغة العربية في الجامعات العربية، لاستعملت منه مئات الآلاف من النسخ على مستوى العالم العربي ولكان أساساً مهماً لتعريب التعليم في أقسام الهندسة الكهربائية. وهذا يدل على ضرورة العمل المؤسسي المستمر للترجمة بوجه عام وضرورة الترجمة الآلية بوجه خاص، والحاجة إلى تكامل الجهود بين الجامعات العربية في مجال الترجمة.

والسبب الثاني في أهمية الترجمة الآلية هو أن عملية الترجمة للمتربين من البشر عملية مملة وبطيئة والمترجم يحاول التغلب على مله بتغيير أسلوبه تارة وبالراحة تارة. وهو كطبيعة البشر ينام ويلهو ويمرض ويغير عمله ويتقاعد. كل ذلك يحدد عمل المترجمين ويجعلهم بضاعة نادرة في عصر العولمة. وإذا علمنا أن المترجم غالباً ما يتقن لغة واحدة مع اللغة الأم التي يترجم منها أو إليها فيعني ذلك ندرة شديدة فيمن يتقن لغة كاللغة الكورية أو اليابانية مع العربية. وهذا يعطي أهمية إضافية للترجمة الآلية، فالحاسوب يمكن أن يعمل 24 ساعة في اليوم لا يأخذ إجازة نهاية الأسبوع ويمكن إيداله بما هو أفضل منه وتحسين أدائه وسرعته مع التقدم التقني الجاري اليوم. وهناك أسباب أخرى تقف إلى جانب الترجمة الآلية

¹ د. نبيل علي، الفجوة الرقمية، عالم المعرفة 318، أغسطس 2005.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

منها حاجة القطاع التجاري إلى ترجمة تعطي فكرة لا بأس بها عن المنتجات الصناعية والتجارية دون أن تكون على درجة عالية من الرصانة، مع ازدياد حجم مثل هذه المعلومات المطلوب ترجمتها وتوسعها لتشمل لغات جديدة في عصر العولمة.

إن الحاسوب لديه قدرة جزئية في هذا الجانب لا شك. فكما هو معروف أن الحاسوب يعطيك ما تعطيه أولاً، حيث إنه إنما يعطيك ما تسجله في ذاكرته أو تعلمه على فعله. ومن ثم كلما كان التحليل اللغوي وكانت القواعد اللغوية المقدمة للحاسوب والمخزونة في ذاكرته دقيقة أدى ذلك إلى ترجمات أقرب إلى الصواب.¹

قابلية الحاسوب في خدمة الترجمة

التعادل أو التقابل المعجمي والاصطلاحي يعتمد على ما نخزن في ذاكرة الحاسوب. وكذلك معرفة القواعد النحوية تعتمد على المجهود البشري، كما تعتمد معرفة القواعد الأسلوبية على الجانب البشري، أي على المعلومات والبرامج والإمكانات التي يوفرها مصمم البرنامج الحاسوبي، فالحاسوب لديه القدرة الجيدة على التعامل مع هذه الأمور بسهولة كبيرة.

وهنا ينبغي أن نناقش إمكان الآلة القيام ببعض العمليات التي يقوم بها المترجم من البشر، وسنعرض فيما يأتي لبعض منها:

1. معرفة الموضوع العام للمادة المطلوب ترجمتها: هناك الكثير من الأبحاث التي أدت إلى تطوير في برامج تعرف الموضوع العام للمادة المراد ترجمتها أو أخذ فكرة عنها أو اختصارها. فمثلاً يمكن للآلة استعمال دلائل تؤدي إلى إن نعرف: هل المادة سياسية أو اقتصادية أو علمية، وإن كانت علمية فهل هي في موضوع رياضي أو زراعي أو كيميائي مثلاً. إن تحديد موضوع المادة يساعد على تحديد المصطلحات المستعملة في ذلك العلم

¹ د. د. محمود اسماعيل صالحي (الصيني)، أستاذ اللغويات التطبيقية، مدير مركز الترجمة بجامعة الملك سعود (سابقاً) الحاسوب في خدمة الترجمة والتعريب

www.emro.who.int/ahsn/meetings/sep03/day2/Dr.%20Mohammed%20Saleh.doc

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ومن ثم الوصول إلى ترجمة أكثر دقة وتحديداً. وبالطبع فإن دقة تعريف موضوع المقال أو البحث أو الفقرة المراد ترجمتها يعتمد على المصطلحات أو ما يسمى بالكلمات المفتاحية التي تحويها، كما يعتمد على كيفية التعامل معها أو ما يسمى (بمصطلح الحاسوب) الخوارزميات المستعملة في تحديد الموضوع. وعلى ذلك فإن برنامجاً قد يكون أكفأ من برنامج آخر وفق الأسس التي اعتمدها واصله ذلك البرنامج بالمقارنة بالبرنامج الآخر.

2. استعمال المعاجم اللغوية بمقابلة كلمة مقابل كلمة ضمن الموضوع العام للمادة المطلوب ترجمتها. إن المعاجم قد تكون معاجم بلغة واحدة أو بأكثر من لغة. فالمعاجم بلغة واحدة تحدد معنى الكلمة في نطاق معناها بتلك اللغة وحقوق استعمالها للوصول إلى المفهوم المستعملة فيه تلك الكلمة. أما المعاجم بلغتين أو أكثر فهي تعطي ما يقابل الكلمة من كلمات في اللغة الثانية أو اللغات الأخرى. ويلاحظ هنا كثيراً من التعقيد حيث هناك الكلمة يقابلها كلمة والكلمة مقابلها كلمتان أو أكثر وقد يكون المفهوم المتكون من أكثر من كلمة يقابله كلمة واحدة في اللغة الأخرى. وهناك الكلمة التي يصعب إيجاد مقابل لها في اللغة الأخرى. كل ذلك يبين محدودية قابليات المعاجم المستعملة في خدمة الترجمة.

3. تفكيك الكلمة إلى مكوناتها فمثلاً في اللغة العربية يمكن تفكيك الكلمة إلى مكوناتها من سوابق ولواحق كأحرف العطف وحروف الجر وعلامات الإعراب والضمائر المتصلة وغيرها وتطبيق قواعد الصرف على الكلمات ومعرفة وزنها الصرفي وفيما إذا كانت مصدرًا أو اسم آلة أو غيرها. ولكن غياب الضبط بالشكل يجعل المهمة أصعب، ووجود أكثر من احتمال للتفكيك أو الشكل يجعل المهمة أعقد. ففي بعض الأحيان يصعب التمييز بين أن يكون الحرف في الكلمة حرفاً زائداً كحرف جر أو حرف عطف أو أن يكون حرفاً أصلياً فمثلاً كلمة "أهلك" هل هي فعل ماضٍ من الهلاك أم هي للمخاطب من الأهل؟

4. تحديد المفهوم العام لمعنى الجملة المراد ترجمتها ومحاولة إعادة صياغته لكي يكون مناسباً للغة المراد الترجمة إليها. فقد أجريت أبحاث كثيرة لتحديد المفاهيم العامة في الحياة على مجموعات تتشعب منها مجموعات ثانوية وأخرى تتشعب عنها وفق تسلسل منطقي

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

لتصنيف الأشياء الملموسة أو المعنوية. فمثلاً التفاحة هي ثمرة والثمرة هي جزء من شجرة والشجرة نوع من النبات. وهكذا تصنف الأشياء تصنيفاً وصفيّاً دقيقاً. وقد استعملت مثل هذه المفاهيم في الترجمة بين اللغات بحيث يكون هناك لغة وسيطة تترجم إليها المفاهيم من أية لغة ثم تترجم تلك المفاهيم من اللغة الوسيطة إلى اللغة المراد الترجمة إليها. وقد توسعت هذه الأفكار وخاصة في جامعة الأمم المتحدة في اليابان. إلا أن نجاح هذه الطريقة لا يزال محدوداً لصعوبة تمثيل المفاهيم بدقة خاصة في الأمور المعنوية والأدبية.

5. تركيب الجملة باللغة المراد الترجمة إليها وفق قواعد تلك اللغة. وهذه العملية تستعمل قوانين النحو والصرف والمعاجم لتركيب الجملة المراد تكوينها وفق المفهوم أو المعنى المستنتج مع خطوات سابقة وتخضع هذه الخطوات لاجتهادات اللغويين وواضعي البرامج الخاصة بذلك.

الحاسوب واستخداماته المختلفة في الترجمة

الحاسوب باستعمالاته اليوم وبالمستوى الذي وصلت إليه عملية الترجمة الآلية لا يعوض عن المترجمين من البشر. وسوف تمضي بضعة عقود قبل أن تصل الترجمة الآلية إلى المستوى الذي يضاهي المترجمين الجيدين. لكن الحاسوب اليوم بإمكانه أن يقدم عوناً لا بأس به للمترجم. ومن هذه المعونة ما يأتي:

أ. الترجمة الآلية مع تحرير لاحق، أي مراجعة بشرية بعد الترجمة الآلية. فالترجمة الآلية البدائية التي تعتمد على ترجمة معاني الكلمات وصياغة الترجمة بلغة ركيكة يمكن أن تكون بداية للمترجم لكي يقوم بإعادة صياغة الجمل وتنقيح المعاني ووضع الترجمة على وجه مقبول ومفهوم. وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كانت الترجمة الآلية سيئة جداً فربما يكون من الأسهل على المترجم أن يقوم بالترجمة بنفسه من جديد بدل تنقيح نص سيئ جداً.

ب. الترجمة مع التحرير السابق، بمعنى أن الإنسان يحرر النص المراد ترجمته. مثلاً يبسط الجمل المعقدة. والكلمات التي لها معان كثيرة يحدد معناها المطلوب وهكذا، أي إننا نعدل

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

النص بحيث يستطيع أن "يفهمه" الحاسوب، وتسمى هذه اللغة المقبولة للآلة Machine Acceptable Language. ويشبه ذلك التحوار مع الحاسوب بلغات البرمجة التي تتضمن كلمات محدودة بصيغ محددة لا يجوز التصدي لها.

ج. هناك نوع ثالث يسمى بالترجمة التحوارية interactive وهي مثال للتعاون بين الحاسوب والمترجم البشري، وذلك بأن يكون برنامج الترجمة ذا إمكانية حوارية بأن يعطي الترجمة جملة جملة ويتوقع من المترجم أن يوافق أو يعدل بعض أجزائها لكي يصل إلى الترجمة المقبولة.

د. الترجمة البشرية بمعاونة الآلة، أي إن الإنسان يترجم والآلة تعاونه في هذه العملية. وهذا عكس الترجمة التحوارية. هنا نجد أن الإنسان يترجم والآلة تبحث له في المعجم عن الكلمات وتعطيه معاني الكلمات كما تعطيه المرادفات من ذاكرتها.

هـ. الخدمات الحاسوبية الأخرى للترجمة مثل بنوك المصطلحات الآلية بشكل نصوص لمصطلحات متسلسلة أو البحث عن مصطلح فيها أو بإدخال مصطلح لمعرفة مرادفاته أو مقابله بلغة أخرى أو بالحصول على جميع المصطلحات في حقل معين إلى غير ذلك من الخدمات.¹

تاريخ الترجمة الآلية

أول من استخدم الحاسوب في الترجمة بوضوح هو "وارن ويفر" عام 1947. ومنذ عام 1949 سارت بحوث الترجمة الآلية في الولايات المتحدة قدماً في جامعات كاليفورنيا ولوس أنجلوس وتكساس وغيرها. وفي جورج تاون أجريت بنجاح أول ترجمة من اللغة الروسية إلى الإنكليزية عام 1954. وفي عام 1955 أجريت في الاتحاد السوفيتي أول تجربة في الترجمة

¹ د. محمود اسماعيل صالح (الصيني)، أستاذ اللغويات التطبيقية، مدير مركز الترجمة بجامعة الملك سعود (سابقاً) الحاسوب في خدمة الترجمة والتعريب

www.emro.who.int/ahsn/meetings/sep03/day2/Dr.%20Mohammed%20Saleh.doc

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

الآلية من الإنكليزية إلى الروسية في الرياضيات (على أساس قاموس يحوي 2300 كلمة). وقد استمرت الأبحاث في هذه الحقبة باستعمال ما يسمى الجيل الأول من برامج الترجمة الآلية حتى عام 1966¹. وقد تبين خلال تلك المدة حجم الصعوبات الهائلة التي تعترض الترجمة الآلية مما أدى إلى تباطؤ في أبحاث الترجمة الآلية وربما إهمال الموضوع حتى عام 1975.

شهد الاهتمام بالترجمة الآلية في أوروبا وكندا بين عامي 1975 و 1985 عودة إلى الأبحاث في هذا الحقل على مدى عقد من الزمان تطورت فيه آلية استعمال الأنظمة الخبيرة وتقعيد معالجة اللغات الطبيعية واستحداث ما يمكن اعتباره الجيل الثاني من برامج الترجمة الآلية. وكانت نتيجة ذلك ظهور بعض برامج الترجمة الآلية التجارية في الأسواق التي تستعمل الحواسيب المكروية. لقد تطور في هذه البرهة البحث العلمي في معالجة اللغات الطبيعية وخاصة اللغات الأوروبية واليابانية. وهذا التطور شمل البحوث المعجمية والنحو والصرف والدلالة.

وفي هذه المرحلة تطورت كذلك أساليب الذكاء الاصطناعي الحديثة التي تستند إلى استعمال أنماط رياضية وحاسوبية تحاكي عمل الإنسان أو الكائنات الحية فأساليب الشبكات العصبية والنظم الخبيرة والمنطق المشوش والخوارزميات الجينية كلها تحوي أساليب رياضية تقلد ما يجري في دماغ الإنسان أو تقلد أحياء خلقها الله وعلمها كيف تعيش في مجتمعات وكيف تتصرف كما هو الحال في محاكاة خلايا النمل وأنماط طيران الوز. وهذه الأساليب ما زالت في تطور مستمر إلى يومنا هذا؟

وفي عام 1989 بدأ عهد جديد في أسس الترجمة الآلية بالاستناد إلى المعلومات الإحصائية حينما قامت شركة A.B.M. بمشروع كارديد الذي استند إلى الترجمة بالأمثلة والترجمة المحدودة الموضوع وتعدد اللغات المترجم منها والمترجم إليها. وأعقب ذلك تزايد الاهتمام

¹ الترجمة الآلية... تحديات وآمال! مجلة الحرس الوطني

التعريب العدد الثالث والأربعون . المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بالترجمة الآلية إلى حدٍّ لم يسبق له مثيل. وعلى ذلك يمكن اعتبار تسعينيات القرن العشرين مرحلة ظهور الجيل الثالث من برامج الترجمة الآلية المستندة إلى الذخيرة اللغوية Cirpus Based MT والتي لا تزال في تطور حتى اليوم مع بعض التكامل مع الأساليب الأخرى للترجمة الآلية.

واليوم تأتي الولايات المتحدة واليابان وروسيا والصين في طليعة البلدان التي توظف الترجمة الآلية لخدمة متطلباتها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتقنية.

واقع الترجمة الآلية

هناك الآن ما يقرب من 1000 برنامج ترجمة آلية (خاصة للغات الأوروبية) في السوق مع أن نوعيتها ليست جيدة بوجهٍ عام لكن الطلب عليها عال جداً. وقد زادت الشبكة (الإنترنت) من الحاجة إلى الترجمة الآلية وهي كذلك وسيلة سهلة لتسليم المادة المترجمة إلى من يحتاجها. وسيشهد المستقبل تكاملاً بين عمل المترجمين من البشر والترجمة الآلية حيث تحتاج الترجمة الآلية إلى مترجمين أكفيا لتطويعها ومتابعة عملها وإدخالها في مجالات لم تدخلها بعد.¹

إن استعمال أنظمة الترجمة الآلية القليلة الدقة سيدفع إلى الحاجة إلى تحسين النوعية باطراد. وسينقلب التوتر السابق بين المترجمين من البشر ومؤيدي الترجمة الآلية إلى تعاون بعد إدراك الجميع أن الترجمة الآلية لن تستطيع إلغاء دور المترجمين من البشر.

تبلغ مبيعات برامج الترجمة الآلية في اليابان ملايين النسخ وبتكلفة تبلغ عشرات الملايين من الدولارات. ويتوقع أن يتضاعف ذلك مئات المرات خلال العقدين القادمين مع التطور والتحسين المتوقع في الترجمة الآلية مستقبلاً.²

¹ John Hutchins, **The state of machine translation in Europe and future prospects.** Aymara.org/biblio/mtranslation.pdf

² Setsuo Yamada Syuuji Kodama Taeko Matsouka, Hirosgi Araki Yoshiaki Mirakami Osamu Takano Yoshiyuki Sakamoto, **A Report in the Machine Tranlation Market in Japan.** www.mt-archive.info/MTS-2005-Yanada.pdf.

أساليب الترجمة الآلية - محاكاة الآلة لعملية الترجمة البشرية

يمكن تصنيف برامج الترجمة الآلية بحسب مستوياتها التي تُبرز مدى تعقيدها ومدى كفاءتها في الترجمة إلى الأصناف التالية على نحوٍ تقريبي:¹

المستوى الأدنى

وهو بوضع كلمة محل كلمة مكافئة لها. وهذه تحتاج إلى معجم ثنائي اللغة ضخم. وهنا ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أن بعض الكلمات لا مقابل لها وبعضها يحتاج أكثر من كلمة وبعضها لها أكثر من مقابل وهكذا.

المستوى الثالث الأعلى من المستوى الأدنى

وهو القيام بعمليات معالجة صرفية للوصول إلى عبارات قياسية بغرض تقليص حجم المعجم المطلوب. وعلى ذلك فهناك حاجة إلى التعامل مع الكلمات بمستوى مخفي بحيث توصف الكلمة بعدة مواصفات صرفية ونحوية ويقع تحت هذا المستوى طريقة الترجمة بالأمثلة المباشرة، حيث يكون هناك ذخيرة لغوية متوازية جملة جملة. وتكون العبارات المتوازية في الذخيرة مكونة من كلمتين فأكثر لكن المشكلة في هذه العبارات هي في مطابقة الجمل المراد ترجمتها مع ما هو موجود في الذخيرة.

المستوى المتوسط الأول

لكي يمكن الحصول على الجملة المصدر بوجهٍ صحيح يجب تكوين شجرة إعراب للجملة الأصلية ثم بعد ذلك إسقاط ذلك على اللغة المراد الترجمة إليها. وعلى ذلك فهناك حاجة إلى محلل نحوي إضافةً إلى المعجم الثنائي اللغة.

المستوى المتوسط الثاني

هناك الكثير من الظواهر اللغوية التي لا يمكن نقلها من لغة إلى لغة بمجرد التحليل

¹ Thepchai Supnithi, Virach Sornlertanvanich, Thatsanee Charoenporn, A Cross System Machine Translation COLING-02 on Machine Translation in Asia – Vol 16, Sep. 2002.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

النحوي والصرفي. ففي العربية إذا قلنا "إن رأسي يؤلمني" فترجمتها بالإنكليزية هي "لدي صداع". وعلى هذا من الضروري فهم المعنى وتمثيل المعنى تمثيلاً سليماً لكي يمكن إيجاد مردافه في اللغة الأخرى. وعلى هذا يجب تطوير المعجم لكي يحوي ترجمة لمثل هذه المعاني المتقابلة. ولهذا فإن معظم برامج الترجمة الآلية اليوم (مثل برنامج سيستران ولوغوس ويوروترا) تحوي محلاً صرفياً ونحوياً ونوعاً من التمثيل الدلالي لمثل هذه الحالات.

المستوى الأعلى

في هذا المستوى يجب أخذ الأساليب البلاغية العميقة في اللغة المصدر واللغة المترجم إليها وما زال البحث في هذا المستوى يأخذ أبعداً مختلفة ويحتاج إلى دراسات لغوية وتمثيل حاسوبي عميق ويمثل قصوراً واضحاً في برامج الترجمة الآلية المتوفرة اليوم.

اللغة الوسيطة

هناك اتجاه إلى استعمال لغة وسيطة بين اللغات. وقد لاقت فكرة اللغة العالمية الوسيطة صعوبات في أن تحل كل مشاكل الترجمة الآلية، واقتراح أن تكون اللغة الإنكليزية موضعها الحالي هي اللغة الوسيطة بين اللغات العالمية جميعاً. وقد يكون من المناسب أن تكون هي اللغة الوسيطة بين اللغات الأوروبية الحديثة كوارثٍ للغة اللاتينية التي انبثقت منها معظم اللغات الأوروبية. ولكن أليست اللغة العربية جديرة بأن تكون هي اللغة الوسيطة بين اللغات التي يتكلم بها المسلمون اليوم كالتركية والفارسية والأوردية والسواحيلية والملاوية والبنغالية التي قد اشتق كثير من كلماتها من العربية؟ هذا السؤال على العرب اليوم أن يجيبوا عنه.

وفي كل الأحوال على برنامج الترجمة الآلية أن يقوم بعمليتين رئيسيتين:

- أ. **النقل:** أي عملية إيجاد المقابلات المعجمية والنحوية والأسلوبية لأجزاء النص المترجم، مثل إيجاد الكلمات والتعبيرات المقابلة في المعنى والوظيفة للكلمات والتعبيرات الواردة في النص الأصل، وكذلك إيجاد التراكيب النحوية المقابلة للتراكيب الواردة في النص الأصل.
- ب. أما العملية الفرعية الثانية فهي **التأليف أو التوليف**، أي صياغة الجمل الناتجة من عملية

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

النقل السابقة صياغةً صحيحة صرفياً ونحوياً وأسلوبياً، مثل صوغ (رجل + جمع) في صورة (رجال) و(مسلم + جمع + حالة النصب أو الجر) في صورة (مسلمين)، وكذلك وضع الصفة في العربية بعد الموصوف ومراعاة قواعد المطابقة اللازمة.¹

الترجمة الآلية المستندة إلى الإحصاء

تستند هذه الطريقة الحديثة إلى جمع أكبر ما يمكن من ذخيرة لغوية (corpus) وإعمال أكبر ما يمكن من جهد إحصائي عليها لكي تهيأ للاستخدام في الترجمة الآلية. وهذه الذخيرة المترجمة هي بالأساس مترجمة من قبل مترجمين من البشر فهي تستخلص خبرات البشر للإفادة منها في الترجمة الآلية.

الفلسفة وراء هذه الطريقة هي أن الذخيرة اللغوية إذا كانت كبيرة الحجم بقدر كافٍ فهي تجمع بين دقاتها معظم الكلمات الشائعة في اللغة ومعظم التعابير اللغوية ومعظم التراكيب النحوية والصرفية فيها. وعلى ذلك فإن أي عملية إحصائية على هذه الذخيرة تعطي نتائج قريبة من واقع اللغة الفعلي.

ويحق لنا أن نتساءل عن مدى صحة هذه الفرضية نظراً لأهميتها واعتماد نظرية الترجمة الآلية عليها اعتماداً كبيراً.

وللإجابة عن هذا التساؤل يجب أن نحدد أولاً عن أي ذخيرة لغوية نتحدث؟ ومن أين جمعت؟ وكيف جمعت؟ وأي المواضيع اللغوية تشمل؟ ولأي نوع من الترجمة سنستعمل؟ وهل هي بلغة واحدة أم متعددة اللغات؟ وهل هي جاهزة للتقابل اللغوي؟

وما يحدث اليوم في اللغات العالمية الأخرى غير العربية هو افتراض أن اللغة المتوفرة بها كتابات كالصحف والمجلات والكتب المطبوعة والمقالات المنشورة على الشبكة والإعلانات

¹ د. محمود اسماعيل صالح (الصيني)، أستاذ اللغويات التطبيقية، مدير مركز الترجمة بجامعة الملك سعود (سابقاً) الحاسوب في خدمة الترجمة والتعريب

www.emro.who.int/ahsn/meetings/sep03/day2/Dr.%20Mohammed%20Saleh.doc

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ونشرات الشركات التجارية تمثل اللغة. ومن ثم استناد الترجمة الآلية إلى مثل هذه الذخيرة يمثل هذه اللغة أو تلك. ويعتبر حجم الذخيرة الذي يبلغ مئات الملايين من الحروف (مئات الميكابايت) مقدراً يمثل الحدود الدنيا لحجم الذخيرة التي يمكن الاعتماد عليها للحصول على ترجمة معقولة ومقبولة. وقد سبق أن ذكرنا الفقر الشديد الذي تعاني منه الترجمة من العربية وإليها، وعلى ذلك فالذخيرة اللغوية الممكن توفرها باللغة العربية لا تزال محدودة.

ويقع تحت هذا الأسلوب من الترجمة عدة طرائق منها: الترجمة الإحصائية المباشرة والترجمة بالأمثلة والترجمة بالتجاور، ففي الأسلوب المباشر يكون هناك معجم عبارات متقابلة بين اللغات المراد الترجمة منها وإليها. وفي الأسلوب غير المباشر تُجرى تحويلات لغوية متعددة للإفادة من الذخيرة كالتحويلات الصرفية والنحوية والدلالية واستعمال الإحصاء في الأنظمة الخبيرة.

هذه الطريقة تحتاج إلى إعراب الجملة نحوياً بلغتها الأصلية ثم تطبيق جملة من التحويلات على شجرة الإعراب المستحصلة، وذلك بإعادة تسلسل السلسلة الظاهرية من جهة اللغة الأصلية، للوصول إلى تسلسل أفضل لكلمات الجملة، بحيث تكون أقرب إلى اللغة المراد الترجمة إليها وهذه العملية تطبق على الذخيرة المستعملة للتدريب كما تطبق على النصوص المستعملة في الترجمة.

كيف تجري العملية الإحصائية على الذخيرة؟

يقوم الحاسوب أولاً باستخراج الكلمات غير المكررة في الذخيرة ليعمل منها قائمة بكلمات الذخيرة. ثم بعد ذلك يقوم بعمل قائمة بكل كلمتين متعاقبتين فيها ليكون من ذلك قائمة بالعبارات المكونة من كلمتين فيحدد مرات ورود كل منها، ثم يقوم بعمل قائمة بثلاث كلمات متعاقبة ويعمل منها قائمة تحوي عدد مرات ورود هذه العبارات المكونة من ثلاث كلمات وهكذا يزيد في أعداد الكلمات إلى أن لا يبقى هناك كلمات متعاقبة مكررة أخرى أو يتوقف عند عدد محدد من الكلمات.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

هذه العملية الإحصائية هي واحدة من العمليات الإحصائية المهمة التي تستند إليها كثير من أبحاث المعالجة الآلية للغات الطبيعية اليوم. لكن الترجمة الآلية تحتاج إلى نصوص متوفرة بلغتين أو أكثر. فالخبرة اللغوية يجب أن تكون متوفرة بلغتين يجب أن تكون مصوغة بشكل متقابل.

تستند هذه الطريقة إلى عمل جداول بالعبارات المكررة بين اللغتين والمكونة من كلمتين أو أكثر. فترجمة عبارة معينة بأكثر من موقع واحد في الذخيرة بالترجمة نفسها وربما من قبل مترجمين مختلفين يزود برنامج الترجمة الآلية بترجمة مفضلة لتلك العبارة. أما إذا اختلفت الترجمة بين مصدر من مصادر الذخيرة وآخر أو في المصدر نفسه، فنتبع الأساليب الإحصائية باختيار الترجمة الأكثر تكراراً أو التي يقع الموضوع الذي وردت فيه ضمن موضوع النص المراد ترجمته. هذا وإن استخلاص العبارات المحتوية على كلمتين أو أكثر يجري ببرامج حاسوبية متوفرة اليوم.

هذه الطريقة بأسلوبها البسيط تُعطي ترجمة غير دقيقة بالتأكيد، لكن إلحاق معلومات نحوية وصرفية بالمعجم المستخلص من الذخيرة سوف يزيد من دقة الترجمة. وقد استعملت هذه الطريقة في ترجمة محاضر البرلمان الكندي بين اللغتين الفرنسية والإنكليزية فوجدت ناجحة إلى حدٍّ بعيد وذلك بسبب أن موضوع التحوار في أروقة البرلمان ذو نمط معين وبأساليب متعارفة بين المتحاورين. ويعني ذلك أن هناك أسلوبين للإفادة من الذخيرة اللغوية وهما الأسلوب المباشر والأسلوب غير المباشر.

الترجمة بالأمثلة

تستند هذه الطريقة إلى إجراء أبحاث على الذخيرة اللغوية لاستخلاص الأمثلة والعبارات الشائعة المتقابلة بين اللغتين المراد الترجمة بينهما. كما أن استخلاص قوالب نحوية بين اللغتين وتعويض الكلمات المقابلة بين اللغتين هو أحد الأساليب التي تقع ضمن هذا الأسلوب. هذه الطريقة عادة فعالة للترجمة بين اللغات التي تعود للعائلة نفسها كالإنكليزية والفرنسية أو

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

العربية والسواحلية بسبب سهولة تكوين قوالب متقابلة بين اللغتين العائدتين للعائلة نفسها لكن الأمر يزداد صعوبة بين اللغات التي تعود إلى عوائل مختلفة.

لنأخذ العبارات القرآنية المتشابهة التركيب اللغوي مع اختلاف كلمة فيها:¹

ف + اعلّموا أن الله + ... 3 آيات

و + اعلّموا أن الله + ... 12 آية

والله (بصير، خبير، عليم) بما (تعملون، يفعلون، يصنعون، يعملون)

والله بما (تـ، يـ) عملون (محيط، بصير، خبير، عليم)

كأنهم أعجاز نخل (خاوية، منقر)

مثل هذه العبارات القرآنية يمكن أن تشكل قوالب للترجمة بالأمثلة بحيث إذا تغيرت كلمة فيها فإن القالب يكون نفسه باستبدال ترجمة الكلمة الواحدة فقط.

الترجمة بالتجاوز Connectionist

تستند هذه الطريقة إلى استعمال وسائل الذكاء الاصطناعي كالشبكات العصبية، وتحليل الجملة إلى شبكة تستعمل كمعلومات لما يرد من جمل لاحقة، بحيث يزداد البرنامج خبرة كلما استعمل مرة بعد مرة، فهو يخزن خبراته لكي يستعملها مستقبلاً. فإذا ما قام المستخدم بتعديل معنى معين سبق أن أخطأ فيه البرنامج فإنه يتعلم من أخطائه ولا يكرر الخطأ بل يسلك الأسلوب الجديد بدل ذلك. كما سيأتي ذكره في برنامج غوغل.

المشاكل التي تعاني منها الترجمة الإحصائية

لا تزال الترجمة الإحصائية تعاني من كثير من الصعوبات. من هذه المشاكل أن الدقة في الترجمة الإحصائية تعتمد على نوع ودقة الذخيرة المستعملة وعلى البرمجيات المستعملة فيها.

¹ أ. د. محمد زكي خضر، الطريقة الإجمالية في ترجمة معاني القرآن الكريم، المؤتمر الدولي الثاني في اللغة والترجمة، مركز أطلس العالمي للدراسات والأبحاث - عمان - الأردن، 2002/12/15-14.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

كما أن تغيير اللغة والمفردات المستعملة مع مضي الزمن وضخامة الذخيرة المطلوبة يجعل هناك ضرورة لتحديد الزمن التاريخي للنص. فكلمة "السيارة" حين ترد في نص مكتوب قبل قرون تعني غير "السيارة" المكتوبة في نص مستعمل اليوم. كما أن هناك مشكلة في تحديد الأسماء فكلمة "أحمد" في جملة "أحمد الله على نعمائه" هي ليست اسم علم. ومن الصعوبة بمكان على الآلة أن تُحدّد هل الكلمة ذات معنى أم اسم علم. وتحتاج إلى الكثير من الضوابط البرمجية لكي تميز الآلة بين الكلمة كاسم علم أو غيره.

حل الغموض بواسطة المعالجة المتوازنة

تتلخص طريقة الترجمة الآلية بالتوازي بأن تستعمل أكثر من طريقة واحدة لترجمة نص معين في وقت واحد، ثم بعد ذلك يجري تقييم هذه الترجمات والمفاضلة بينها لاختيار أفضلها وربما يجري التزاوج بين بعضها للوصول إلى ترجمة تجمع محاسن أكثر من طريقة واحدة بوقت واحد.

بعد إجراء هذه التحليلات نصل إلى احتمالات متعددة للترجمة الوسيطة يجري تقييمها وإسقاط ما هو أقل احتمالاً منها، ومن ثم الوصول إلى الترجمة الفضلى بحيث يعاد تركيب الجملة في اللغة المراد الترجمة إليها بخطوات معاكسة.

الترجمة الآلية واللغة العربية

تتشابه المشاكل التي تعاني منها الترجمة من اللغة العربية وإليها مع المشاكل التي تعاني منها اللغات الأخرى، فإذا ما استثنينا الشعر والنثر الأدبي الراقي والمحتوي على دلالات بلاغية عالية فإن هذا ينطبق على اللغة العربية أيضاً. وفيما يأتي بعض خصائص اللغة العربية ذات العلاقة بالترجمة، فليس المجال هنا للكلام عن خصائص اللغة العربية بوجه عام، ولكن هناك بعض الخصائص التي تؤثر في التقدم في حقل الترجمة الآلية بوجه خاص وهو موضوعنا هنا. فمن الخصائص المهمة للغة العربية المستعملة بكثرة اليوم هو غياب الضبط

بالشكل (بالحركات). ومع أن هناك محاولات لكتابة برامج للشكل الآلي للنص غير المشكول، فإن أقصى دقة قد تصل إليها مثل هذه البرامج اليوم لا تتعدى نسبة 95%. ويزيد الخطأ عن 5% بكثير بالنسبة لشكل أواخر الكلمات. إن غياب الشكل يجعل القارئ يفترض من عنده شكلاً افتراضياً بما يملكه من ثروة لغوية وكذلك يقوم المترجم. أما الآلة فيجب تعليمها ذلك.¹

كما أن ندرة استعمال علامات الوقف والفواصل في النصوص العربية يضيف تعقيداً آخر للنص العربي. أما من ناحية الصرف والنحو وطريقة الكتابة والعمليات التي تجري على الكلمة من دمج للسوابق واللواحق وإدغام وإقلاب وغيرها فهو ما تختص به العربية. ولكل لغة خصوصيتها.

وكثيراً ما تكون الجملة العربية طويلة، حيث يبلغ متوسط عدد كلمات الجملة العربية ما يزيد على 35 كلمة.² وهذا يؤدي إلى بطء المعالجة الحاسوبية للجملة العربية. ويمكن التغلب على هذا الطول بتقسيم الجملة إلى عبارات... مثلاً المضاف والمضاف إليه وأشبه الجمل من جار ومجرور.

لكن هناك بعد آخر في اللغة العربية ينبغي الانتباه إليه هو البعد التاريخي. فالنصوص الإنكليزية مثلاً التي تتضمنها الذخيرة لا يتعدى تأريخها القرن أو القرنين من الزمان وهي مع هذا قد يلاحظ فيها التغير بين كتابات القرن الماضي والقرن الحالي. وهذا الفرق قد يوازي الفرق بين اللغة العربية في صدر الإسلام (التي كتبت بها معظم المصادر الدينية والتاريخية ولم تتغير إلا قليلاً) واللغة العربية اليوم.

¹ Moustafa Elshafei, Husin Al-Muhtaseb, and Mansour Alghamdi, **Machine Generation of Arabic Diacritical Marks, The 2006 International Conference on Machine Learning: Models Technologies & Applications (MLMTA'06)**.

² Nizar Habash, Bonnie Dorr, Christof Monz, **Challenges in Building an Arabic-English GHMT system with SMT Components** Center for Computational Learning Systems. Columbia University. www.nizarhabash.com/publications.html.

المعالجة الابتدائية للغة العربية قبل الترجمة الإحصائية

تتضمن العمليات التمهيدية للغة العربية قبل الترجمة الآلية إجراء عمليات عديدة منها العمليات الآتية وهذه على سبيل المثال لا الحصر:¹

1. المعالجة الكتابية للنص فيما يتعلق بالهمزات والهاء آخر الكلمة والتاء المربوطة والشكل.
2. تجزئة الكلمة إلى سوابق ولواحق وتحديد أجزاء كل منها إن وجدت كألف لام التعريف وحروف العطف وحروف الجر المتصلة والضمائر وعلامات الإعراب وتحديد جذر الكلمة ووزنها الصرفي.
3. الرجوع إلى قواعد تغيير كتابة الكلمة بعد إلحاق بعض الضمائر المتصلة مثل كلمة مكتبة - مكتبتهم وأعلى - أعلاه..
4. تحديد فيما إذا كان العدد المتضمن ضمن الكلمة مفرداً أو مثني أو جمعاً وتحديد علامة ذلك كالألف والنون أو الواو والنون وغيرها.
5. حل بعض المشاكل المتوقعة لوجود أكثر من احتمال في تحديد الكلمة المراد ترجمة معناها مثل الكلمات التي تعطي أكثر من معنى باختلاف الشكل، كأن يكون الفعل مبنياً للمجهول أو للمعلوم أو أن يكون اسماً أو فعلاً مثل كَتَبَ - كُتِبَ - كُتِبَ.

هذه بعض العمليات التي يجب القيام بها أو ببعضها بحسب البرامج التي تحتاجها الترجمة الآلية والتي يجب القيام بها، سواء على الذخيرة اللغوية أو على النص المراد ترجمته من العربية، أو النص المراد توليده باللغة العربية إن كان مترجماً من لغة أخرى. ولنأخذ العبارات القرآنية الآتية مثلاً على العبارات المكونة من كلمتين والواردة في القرآن الكريم بكل أشكالها. وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ، يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ، لِيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، يَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَأَقَام الصَّلَاةَ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، أَقَمَتُمُ الصَّلَاةَ، أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَقِيمُوا الصَّلَاةَ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَأَقِمِ

¹ Fatiha Dadat, Nizar Habash, Combination of Arabic Preprocessing Schemes for Statistical Machine Translation, Proceedings of the 21st International Conference on Computational Linguistics and 44th Annual Meeting of the ACL, pages 1-8, Sydney, July 2006.

الصَّلَاةَ، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَإِقَامَ الصَّلَاةَ، وَإِقَامِ الصَّلَاةَ، قَائِمٌ يُصَلِّي، مُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ، وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ، فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ.

فهذه العبارات كل منها يحتوي على كلمة تتعلق بإقام الصلاة مع بعض الإضافات من سوابق أو لواحق أو تغيير في الكلمة الأولى بين الفعل والاسم. فإذا ما حددت الإضافة من ناحية مفعوليتها أمكن ترجمة ذلك إلى اللغة الثانية. فإذا عرفنا من ترجمة معينة ما معنى "إقام الصلاة" بتلك اللغة، أمكن ترجمة كل العبارات السابقة بالاستناد إلى ذلك المعنى بعد إلحاقه وتغيير تركيبته وفق قواعد محددة تترجم الإضافات الموجودة في اللغة الأصلية. ويلاحظ أن بين العبارات السابقة العبارة الأخيرة المكونة من ثلاث كلمات: فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ حيث إن الكلمتين المعنيتين دخل بينهما جار ومجرور "لهم" ومثل هذه العبارات يجب البحث عنها أيضاً لتلحق بمثل هذه المجاميع من العبارات: وكمثال على ثلاث كلمات بينها ضمائر أو ما يقابل تلك الضمائر فتصبح أربع كلمات:

أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ، أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ، وَيَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ، أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ، أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ.

ويلاحظ هنا تغير تسلسل الكلمات بين عبارة وأخرى. على ذلك فإن الترجمة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ما هو متعارف باللغة المترجم إليها بعد معرفة مفهوم النص وهو "الإنفاق من رزق الله". وكذلك العكس عند الترجمة إلى اللغة العربية.

وصف الكلمة وفق مشروع مداد البيان¹

ومن الأمثلة السابقة يتبين أن المعالجة اللغوية للنصوص الأصلية قبل أن تكون جاهزة للترجمة الآلية ضرورية لتمام الإفادة من الذخيرة اللغوية، التي يجب أن تكون بحجم كافٍ لكي تشمل اللغة أو معظم الأساليب الواردة فيها على الأقل. وقد احتوى مشروع مداد البيان الخاص

¹ أ. د. محمد زكي خضر، مداد البيان، ندوة حول مشروع قاعدة بيانات حاسوبية للقرآن الكريم، مجمع اللغة العربية الأردني، 20 ذي الحجة 1427هـ/9 كانون الثاني 2007.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

بوصف كلمات القرآن الكريم في قواعد بيانات تفصيلية على معالجات للكلمات القرآنية يمكن أن يخدم اللغة العربية بوجه عام. وكمثال على بعض المعالجات التي ينبغي القيام بها في اللغة العربية عند تحليل الأمثلة أو النص المراد ترجمته أو عند توليد نص مترجم المعالجات الآتية، نورد ما يأتي:

1. الإدغام: مثل مُضَارٌّ وَازَيَّتْ
2. الإبدال: مثل وَاصْطَبِرْ
3. الإعلال بالقلب: مثل: قِيلَ أو بالحذف مثل: قُلْتُ أو بالنقل مثل: وَيَقُولُونَ أو بالحذف الصوتي مثل: نَبَغ
4. حذف الهمزة: مثل كُلُوا وتسهيل الهمزة مثل: بِأَدِي
5. حذف ياء المنقوص: مثل بَاغٍ وَلَا عَادٍ
6. حذف النون للإضافة: مثل وَالْمُقِيمِي
7. حذف حرف العلة للحزم: وَلَا تَمْشِ
8. حذف نون الأفعال الخمسة: وَلَا تَقُولُوا

وعلى ذلك فإن التدريب الذي يجب أن يتم يحتاج كمية كبيرة من الأمثلة التي تحوي هذه الحالات لكي يكون كافياً للقيام بعملية الترجمة على وجه مقبول.

الذخيرة اللغوية العربية

تعتبر الذخيرة اللغوية لأية لغة مرتكزاً أساسياً اليوم للباحثين في اللغات الطبيعية. فالخزن على الحواسيب جعل جمع وتصنيف وتحليل الذخيرة اللغوية ميسوراً. وهذه الذخيرة تمكن الباحثين من إطلاق الوصف على خصائص اللغة وعلى النحو فيها ودراساتها تاريخياً وتغيرها مع الزمن.¹

¹ Ahmad Abdelali, Jim Cowie and Hamdy S. Soliman, **Building A Modern Syandard Arabic Corpus, Workshop on computational Modeling of Lexical acquisition**. The split meeting Croatia 25th – 28th of July 2005.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحْرَم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

كانت أولى محاولات تكوين ذخيرة لغوية عربية صغيرة في عام 1994. ثم بدأت محاولات متعاقبة لجمع ذخيرة لغوية عربية ذات شأن. ومن هذه المحاولات جمع نصوص جريدة الحياة اللندنية ما بين 1994 و 2000 والتي احتوت على ما يقارب من 76 مليون كلمة منها 666 ألف كلمة غير مكررة. كما حدثت محاولات عديدة أخرى لتكوين ذخيرة لغوية من مستندات الأمم المتحدة المتعددة اللغات منها محاولة لعدد من الوثائق بلغ 38 ألف وثيقة تحوي ما يزيد على 50 مليون كلمة.

يزداد استعمال اللغة العربية على الشبابة بسرعة هائلة. ففي الوقت الذي ازداد استعمال اللغة الإنكليزية بين عامي 2000 و 2008 بنسبة 200% ازداد استعمال اللغة العربية خلال المدة نفسها بنسبة 2000% على حين كانت الزيادة في استعمال اللغة الصينية بنسبة 600% خلال المدة نفسها.

يبلغ عدد مستخدمي الشبابة باللغة العربية اليوم نحو 60 مليون مستخدم أي بنسبة 4.2% من عدد المستخدمين في العالم وهو ما يقرب من نسبة عدد السكان العرب بالنسبة لمجمل سكان العالم والبالغ قرابة 4.7%¹، ويعني ذلك أن نمو استخدام الشبابة في العالم العربي قد وصل إلى ما يقرب من المعدل العالمي وهو بازدياد. ولكن هذا بالطبع لا يُظهر مستوى المحتويات العربية حيث لا تزال أقل من 1% من محتوى الشبابة حسب توزيع اللغات.

بعد اعتماد الرمز الدولي الموحد المعروف باليونيكود في نهاية القرن الماضي، احتلت الحروف العربية مواقع محدودة في جدول الرموز، مما يعني أن أي وثيقة على الشبابة تستعمل هذه الرموز يمكن مباشرة معرفة فيما إذا كانت هذه الوثيقة تستعمل الحروف العربية أم لا. ومن ثم يمكن معرفة لغتها غالباً.

باستعمال ذخيرة محدودة يمكن توسيع تطبيقها على أمثلة أوسع بكثير منها بتحديد شروط معينة لما يمكن أن يقاس على هذه الذخيرة، وإضافة كلمات مركبة بدل الكلمات الواردة في

¹ Top ten Internet Languages – Internet Statistics. <http://www.internetworldstats.com/stats7.htm>.

الذخيرة وجداول احتمالية لما يمكن أن يضاف في المستقبل. فمثلاً إذا وضعت ذخيرة تشمل كلمات القرآن الكريم فإنه ليس من الصعوبة بمكان تطوير الذخيرة إلى الحديث النبوي مثلاً.

خطوات تكوين ذخيرة لغوية¹

1. الحصول على نص مكتوب متوفر إلكترونياً وليس عليه حقوق ملكية فكرية. وتعتبر الشبكة أيسر المصادر المتوفرة. يمكن الوصول إلى الصفحة الموضوعية على الشبكة عن طريق التنقيب باستعمال ما يسمى بالبرامج العنكبوتية بمساعدة رموز HTML. وبعد تنقية النصوص من هذه الرموز يمكن الوصول إلى النصوص الخام. وقد تحتاج هذه التنقية في أغلب الأحيان إلى تدخل يدوي. ثم توضع رموز خاصة على هذه النصوص للإشارة إلى مصادرها ومعلومات أخرى عنها. وحيث أن طريقة ترميز النصوص العربية مختلفة بين وثيقة وأخرى بحسب مواصفات الترميز العربية المختلفة، ينبغي أن توحد طريقة ترميزها ليسهل التعامل معها. ويعتبر اليوم الترميز الدولي الموحد (اليونيكود)، على نقائصه، أفضل ترميز لأغراض توحيد النصوص.

بعد إجراء عمليات عديدة لتنقية النصوص من بعض الرموز كالمدة والشكل (إن وجد نظراً لأن الغالبية العظمى من النصوص هي غير مشكولة) وأنواع الهمة والتاء المربوطة والهاء آخر الكلمة وغيرها مما يكثر اللبس فيها، يلاحظ أن مثل هذا التوحيد يزيد من الغموض واحتمالات الخطأ كما يخفي في طياته بعض المؤشرات إلى مصادر النصوص وأماكن تداولها وغير ذلك من المعلومات.

ما الذخيرة إلا خزان ضخّم للغة المستعملة. والبرامج الخاصة بالذخيرة هي وسائل لإعادة ترتيب هذا الخزان لكي يكون بالإمكان استخلاص الملاحظات عن اللغة بالاستفادة منها. وتشير الأبحاث إلى أن الشبكة العنكبوتية اليوم مؤهلة تماماً للحصول على ذخيرة لغوية

¹ Chris Callison-Burch Philipp Koehn Miles Osborne, **Improved Statistical Machine Translation Using Paraphrases In Proceedings NAACL-2006.**

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

مناسبة للغة العربية من نصوص الصحف اليومية والصفحات التجارية والشخصية والكتب القديمة والحديثة المتوفرة على الشابكة. إلا أن النصوص المترجمة بلغة أخرى توازي اللغة العربية، فيما عدا وثائق الأمم المتحدة، لا تزال قليلة لا تكفي لتكوين أساس ل ذخيرة لغوية متعددة اللغات يمكن الاعتماد عليها بكفاءة.

2. عملية التوافق بين النصوص في الذخيرة المكونة لأكثر من لغة واحدة. يجب مقابلة النصوص المترجمة بعضها ببعض بدقة، فقرة فقرة. وإذا أمكن وضعها جملة جملة أو عبارة عبارة فذلك أفضل بالطبع ولكن في العادة لا يمكن ذلك تماماً. وهنا يجب حل بعض جوانب الغموض. والجدول الآتي يبين مثلاً لذلك:

عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول:
Narrated "Imar bin Al-Khattab": I heard
Allah's Apostle peace be upon him saying:

إنما الأعمال بالنيات
intentions
The reward of deeds depends upon the

وإنما لكل امرئ ما نوى
according to what he has intended
And every person will get the reward

فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة
ينكحها، فهجرتة إلى ما هاجر إليه
So whoever emigrated for worldly benefits
or for a woman to marry, his emigration
was for what he emigrated for.

3. يلاحظ في أغلب الأحيان أن الكلمات ومعانيها المقابلة لها بشكل منفرد هي الغالب، أي إن الغالبية العظمى من كلمات الذخيرة لها مقابل واحد أي كلمة مقابل كلمة. وكذلك عبارة مقابل عبارة، حتى لو كان هناك في بعض الأحيان قلب لتسلسل الكلمات ضمن العبارة الواحدة.

4. بعد ذلك يمكن جمع الإحصائيات عن تكرار الكلمات والعبارات والتركيبات الهيكلية في النصوص وهناك برامج متخصصة لاستخلاص المعلومات الإحصائية عن الذخيرة. ومن

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَهرَم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

هذه الإحصائيات يمكن استخلاص معاني الكلمات والعبارات بحسب أعلى تكرار لها وحل بعض مشاكل الغموض الذي يحدث.

5. يلاحظ في النصوص وجود نقاط ارتكاز لمقابلة التراجم بعضها ببعض، مثل وجود الأرقام في النصوص والتواريخ وأسماء الأعلام وعناوين الفقرات. ومثل نقاط الارتكاز هذه، إضافةً إلى النقاط الفوارز بين الجمل، يمكن استعمالها لترتيب الذخيرة ترتيباً متوازياً. وينتج عن ذلك ثلاثة أنواع من التقابل بين النصوص:

أ. **تقابل قوي** حينما تحوي النصوص وترجمتها عدداً متساوياً من الكلمات المتقابلة وهي حالات نادرة.

ب. **تقابل متقارب** حينما يكون عدد الكلمات نفسه لكن هناك اختلاف في تسلسل الكلمات.

ج. **تقابل ضعيف** حينما يكون تسلسل الكلمات وعددها مختلفاً ولكن المعنى متوافق وفق المعجم، وعلى العموم فإن:

- هناك علاقة معنى بين فصلين مترجمين متقابلين.
- هناك علاقة معنى بين كل فقرتين مترجمتين متقابلتين.
- هناك علاقة معنى بين كل جملتين مترجمتين متقابلتين.
- هناك علاقة معنى بين كل كلمتين مترجمتين متقابلتين إذا كان أحد معاني الكلمات وارداً في المعجم.

- يعتبر ورود الأرقام والتواريخ نقاط ارتكاز للتقابل بين النصوص المترجمة

- تستعمل نظرية الاحتمالات لحل بعض الغموض الذي يحيط بالتقابل بين النصوص.

الأبحاث الغربية الأخيرة في الترجمة من اللغة العربية وإليها

بعد الحملة الشرسة على الأمة بحجة أحداث 11 أيلول برزت الحاجة لدى الدوائر العسكرية والمخابراتية والإعلامية الغربية إلى الترجمة من اللغة العربية خاصة. فبعد الاحتلال الأمريكي للعراق جُهِز بعض الجنود بأجهزة تشبه الهاتف النقال بحيث يتكلم الجندي بكلمات أو عبارات

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

باللغة الإنكليزية فتتطرق ترجمتها بالعربية لكي يسمعها العراقي وبالعكس. كانت الكلمات والجمل محدودة وقد سجلت باللهجة العامية العراقية. إلا أن كل ذلك توقف خلال أسابيع عند بدء المقاومة العراقية وتوجس جنود الاحتلال بعد ذلك من التحوار مع السكان المدنيين خوفاً على حياتهم من أن يكون من يقترب منهم هو من أفراد المقاومة.¹

وقد شهد كثير من الجامعات الأمريكية والأوروبية جهوداً حثيثة للبحث عن معالجة اللغة العربية حاسوبياً والترجمة منها وإليها. وقد شملت هذه الأبحاث النحو والصرف والدلالة والترجمة، وجمع الذخيرة اللغوية وكيفية تكوين المعجم المحسوب والاستفسار باللغة العربية وتكوين الخلاصات وغير ذلك من الأبحاث المتعلقة باللغة العربية.

المعجم العربي المحسوب

يكاد أن يتفق الحاسوبيون العرب المهتمون بمعالجة اللغة العربية على أن من أهم ما تحتاجه اللغة العربية اليوم لدخولها عالم تقنية المعلومات بفاعلية، هو تكوين معجم عربي محسوب، يتضمن كل مفردات اللغة العربية على وجهٍ يسهل التعامل مع مفرداتها في كافة التطبيقات ذات العلاقة. إن السبب في عدم إعداد مثل هذا المعجم حتى الآن هو عدم وجود جهة علمية ذات قدرة مالية على مستوى العالم العربي تأخذ على عاتقها القيام بمثل هذا المشروع الضخم والبالغ الأهمية.

سنحاول هنا أن نبين أهمية المعجم والخطوة الأولى في تكوينه، وهي وضع مواصفات له بحيث يبني عليها من يأتي من بعد.

ما المقصود بالمعجم العربي المحسوب

تتوفر للغة العربية قواميس تعطي معاني كلماتها في لغات أخرى. كما تتوفر قواميس

¹ Jason Riesa, Behrang Mohit, Kevin Knight, Daniel Marcu, **Building an English-Iraqi Arabic Machine Translation System for Spoken Utterances with Limited Resources.** www.isi.edu/natural-language/mt/iraqi_interspeech.pdf.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

عربية عربية تعطي معاني الكلمات بكلمات أخرى. ويوضع في هذه القواميس عادة تصريف الكلمة وبعض المدخلات الأخرى. وقد تعددت المعاجم العربية وتتنوعت خلال العصور السالفة ولكن القصد منها في كل الأحوال كان واحداً، وهو حراسة القرآن الكريم من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم. وحراسة العربية من أن يقتحم حرماً دخیلاً لا ترضى عنه العربية، وصيانة هذه الثروة من الضياع.

مرت المعاجم العربية بأطوار مختلفة وتعددت مدارسها المعجمية واللغوية، ومن هذه المدارس: مدرسة الخيل ومدرسة أبي عبيد ومدرسة الجوهري. ومن المعاجم المعاصرة التي سارت على نهج الترتيب الأبجائي "المعجم الوسيط" الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة. أما المعجم المحوسب فهو معجم خاص يجب أن يحوي رموزاً خاصة لتصريف الكلمة ومعلومات أخرى عنها تدرج فيه مفردات اللغة بالتفصيل بحيث يكون بالإمكان الإفادة منها حاسوبياً.

أهمية المعجم العربي المحوسب

المعجم المحوسب ذو أهمية بالغة في كافة تطبيقات اللغة حاسوبياً. فالمعجم أساس للشكل الآلي وللترجمة الآلية وللترجمة الفورية آلياً، ولتوليد الكلام حاسوبياً ولإملاء الآلي ولبرامج فهم الكلام آلياً ولتعليم النطق للأطفال وذوي الاحتياجات الخاصة، ولتحليل النصوص وفهم دلالة النص ولتلخيص النصوص آلياً وللاستفسار والإجابة آلياً ولكافة تطبيقات توليد الأصوات آلياً، وغير ذلك من التطبيقات التي بدأت بالانتشار بلغات أخرى، وما سيظهر في المستقبل منها كثير وكثير جداً خاصة بعد التوسع في التخاطب مع الآلات بالصوت في مختلف التطبيقات وسيكون لبصمة الصوت مستقبل يشبه بصمة الإصبع والتوقيع.

يقصد بمواصفات المعجم تحديد خصائص الكلمة العربية التي هي وحدة بناء الجملة وينبغي أن توضع لها رموز في المعجم وذلك لكي يمكن للمعجم المساعدة في كل التطبيقات التي ذكرت سابقاً أو المحتمل أن تبرز لها الحاجة مستقبلاً. وينبغي وصف الأسماء من ناحية البناء

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

والإعراب والتذكير والتأنيث وحالة أخرى من ناحية المقصور والمنقوص والممدود والتعريف والتذكير ومن ناحية العدد مفرداً أو مثني أو جمعاً وإن كان جمعاً هل هو للمذكر السالم أم المؤنث السالم أو للتكسير وبالنسبة للمجرد أو المزيد هل الجذر ثلاثي أم رباعي أم خماسي وبالنسبة للزيادة هل هي بحرف أم حرفين أم ثلاثة وغير ذلك.

وأما الفعل فيأخذ الصفات الآتية: زمن الفعل ماض أم مضارع أم أمر، ومن ناحية الصحة والاعتلال هل هو صحيح سالم أم مهموز الآخر أم معتل ناقص أم غير ذلك ومن ناحية التمام والنقصان هل هو تام أم ناقص ومن ناحية الجمود والتصرف وال لزوم والتعدي هل هو متعد بنفسه أم بحرف جر وهل هو مجرد أم مزيد وعدد حروف الزيادة وهل هو مبني للمعلوم أم للمجهول إلى غير ذلك من الصفات التي تلازم الفعل.

وأما الحرف فيؤخذ نوعه إن كان حرف جر أو حرف عطف أو غير ذلك وتفاصيل أعمال الحروف وهل هي متصلة أم منفصلة كتابة إلى غير ذلك من الصفات.

المعاجم المحوسبة في اللغات الأخرى

وبوجه عام ليس هناك طريقة عالمية موحدة لتركيب المعجم الآلي اليوم. وقد قام بعض الباحثين بمقارنة 55 معجماً آلياً.¹

تتباين المعاجم في محتوياتها تبايناً كبيراً. وليس هناك نمط عام واحد تلتزم به المعاجم المحوسبة. فهي تختلف بين لغة وأخرى، بل بين الجهات العلمية والتجارية التي قامت بوضع مواصفاتها وتغذيتها بالمعلومات اللغوية.

فهناك المعاجم الأحادية اللغة التي تصف مفردات اللغة وتصريفاتها ومعانيها. وهناك المعاجم الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات. وهذه المعاجم تعتمد في إعدادها على المعاجم بكل واحدة من اللغات المكونة لها. لذلك فأبي معجم يحوي اللغة العربية مع لغة أو لغات أخرى

¹ Ali Fraghaly and Jean Senellart, Intuitive Coding of the Arabic Lexicon, Proceedings of MT Summit IX, ... Jean Senellart, Director of Research and Development, SYSTRAN Software.

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

يحتاج إلى المعجم العربي المحوسب الأحادي اللغة أساساً.

لقد تأخر ظهور معجم عربي محوسب الآن، وإن المزيد من التأخير سيدفع الشركات الأجنبية إلى أن تبني معاجم قاصرة خاصة بها نتيجة حاجاتها التجارية له. ومما لا شك فيه أن الدوافع التجارية وحدها لن تخدم اللغة العربية كما يجب أن تُخدم. وقد بدأت بعض الشركات فعلاً بجمع الكلام العامي ليكون أساساً لأجهزة تعرف الكلام المنطوق مما يقلل من استعمال اللغة الفصحى ويشيع اللهجات العامية وكتابتها، مما يؤدي إلى ازدهار هذه اللهجات وتطويرها لتكون لغات مختلفة بحيث لا يفهم المتكلم بإحداها الأخرى.

ومن ناحية أخرى فإن خدمة اللغة العربية من قبل الشركات الأجنبية ينتج عنه كثير من الأخطاء اللغوية الجسيمة التي يمكن أن يقع بها أفراد من العرب ممن يقدم الخدمات لمثل هذه الشركات والمؤسسات الأجنبية، وما الخلط بين ترجمة الأربعين النووية والأسلحة النووية عنا ببعيد.

محاولات الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها

قامت محاولات عديدة للبدء بترجمة آلية من اللغة العربية وإليها. وقد أثمر بعضها بنكوتين أنظمة ترجمة آلية، على حين أصبح البعض الآخر طي النسيان. وفيما يأتي بعض هذه المحاولات:

1. محاولة الدكتور بشاي الأستاذ السابق بجامعة هارفرد، وذلك منذ أوائل السبعينيات.
2. برنامج ترجمان التونسي والبرامج الأخرى التي تعمل عليها عدة جهات في مصر والأردن.
3. نظام "المترجم العربي" الذي طورته شركة ATA في لندن، وقد طورت الشركة المذكورة برنامجاً مصغراً اسمته "الوافي".
4. نظام "عربترانز"، وقد طورته شركة عربية أيضاً في لندن.
5. نظام "الناقل العربي" الذي طورته شركة سيموس العربية في باريس، ولدى الشركة المذكورة أربعة برامج للترجمة بين الإنكليزية والعربية وبين الفرنسية والعربية - برنامج

التعريب العدد الثالث والأربعون . المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

لكل اتجاه.

6. نظام شركة أبنتك Apptek.

7. نظام سيستران Systran برنامج للترجمة من الإنكليزية إلى اللغة العربية وهناك موقع www.systranet.com وتقوم عليه واحدة من أشهر وأقوى الشركات في هذا المجال وتم تأسيسها عام 1968م.

8. نظام وايدنر Weidner الذي طور أيضاً برنامجاً للترجمة من الإنكليزية إلى العربية.

9. شركة ألبس Alps التي ما زال لديها برامج للترجمة بين عدد من اللغات، وتطبق مبدأ الترجمة التحوارية.

10. في فرنسا لدى جامعة غرينوبل Grenoble.

11. موقع المسبار وهو موقع يهتم أيضاً بالترجمة الآلية من الإنكليزية إلى العربية وبالعكس ويمتاز بالسهولة والمرونة عند استخدامه وبحقق مستوى مقبولاً من الترجمة في مستوياتها البسيطة التي أشرنا لها عند الحديث عن أنماط الترجمة.

12. موقع www.freetranslation.com.

13. موقع www.itranslatoronline.com.

14. لقد وظفت شركة صخر لبرامج الحاسوب محركاً للترجمة الآلية الخاص بها في دعم موقع <http://tarjim.com> وهي خدمة ترجمة فورية تقوم بترجمة أي صفحة. وقد كانت أولاً ترجمة مجانية على حين يمكن الآن إرسال النص المطلوب ترجمته والحصول على الترجمة بأجور.

15. برنامج شركة غوغل: وهو برنامج مجاني أُعلن إنتاجه أخيراً ويستند إلى الترجمة الإحصائية من ذخيرة لغوية مأخوذة من الإنترنت. والجدير بالذكر أن هذا البرنامج يتعلم من أخطائه فإذا ما ترجم جملة خاطئة وأخبره المستخدم أن الترجمة خاطئة وأن المفروض أن تكون بصيغة أخرى، فإنه يخزن هذه المعلومات ويستعملها في المستقبل على نحو أصح. ولا تزال الذخيرة اللغوية التي يستعملها محدودة لكن مستقبل هذا النظام يتوقع له

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

التقدم حيث أن شركة غوغل من أكبر شركات البحث على الشبكة اليوم.
ولتبيان القصور الذي تعاني منه المترجمات الآلية المتوفرة، أُعطيت الجملة التالية إلى
مترجمي صخر (غريب) وغوغل فكانت الترجمة كالآتي:

Lawyers for the four Iraqis confirmed the first wuit was registered at
the U.S. District Court in Seattle, washington

الجملة
الإنكليزية

المحامون للأربعة عراقيين أكدوا أن القضية الأولى سُجلت في محكمة المقاطعة
الأمريكية في سياتل، واشنطن

مترجم غريب

محامون لأربعة عراقيين وأكدت الدعوى الأولى المسجلة في الولايات المتحدة أمام
المحكمة المحلية في سياتل، واشنطن

مترجم غوغل

أكد المحامون عن العراقيين الأربعة أن الدعوى الأولى قد سُجلت في الولايات
المتحدة لدى المحكمة المحلية في سياتل بواشنطن

الترجمة
الصحيحة

وهكذا يتبين أن الترجمة الآلية بوضعها الحالي لا تزال قاصرة ولكن يمكن أن تساعد
المترجم الذي يعرف اللغتين أن يراجع الترجمة لوضعها بالصيغة المناسبة الصحيحة. ويبقى
أن تثار استفسارات عن دلالة النص الأصلية التي قد يحار فيها المترجم من البشر، هل يشير
النص إلى أنّ المحامين الموكلين من قبل العراقيين، قد كان تأكيدهم المذكور موجهاً للعراقيين
الأربعة أم هو تأكيد صحفي عام أم غير ذلك. وربما يبرز تساؤل عن دقة ترجمة confirmed
بكلمة "أكد" حيث أنها تعني تأكيد معلومة معروفة سلفاً بشكل غير يقيني. ويتبين أن الترجمة
الآلية حتى لو وصلت إلى مستوى الترجمة البشرية فإنها تعاني من غموض تحتوي اللغة بكل
حال من الأحوال.

جوانب أخرى ذات علاقة بالترجمة الآلية

تركز بعض الأبحاث على نطاق محدود من فوائد الترجمة الآلية: من هذه المجالات ترجمة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

عبارات الاستفسار بين اللغات. في هذا المجال تؤدي الترجمة الآلية لعبارة الاستفسار إلى لغات أخرى ومن ثم يبحث عن موضوع الاستفسار بشتى اللغات التي تجري الترجمة إليها. ولغرض تقليل المعاني المحيرة عند الترجمة وزيادة كفاءة الترجمة يجب أن تحوي المعاجم إشارة إلى موضوع الكلمات.¹

ترجمة الكلام المنطوق

ليس هناك ترجمة فورية آلية موثوقة حتى الآن لكن المتوفر لا يتعدى قواميس صوتية أو ترجمة لعبارات بين لغات متعددة. ويمكن أن تجد مثل هذه الأنظمة تطبيقات في حجز الفنادق والحجز على الخطوط الجوية والمشاركة في المؤتمرات وطلب الطعام من المطاعم والاستفسار عن اتجاه السير والحجز لدى العيادات الطبية والمستشفيات واستئجار السيارات وغيرها.²

إن مشاكل ترجمة الكلام المنطوق تفوق مشاكل النص المكتوب، نظراً لأن هناك عادة الكثير من الكلام المتداول الذي يحوي أخطاء نحوية أو جملاً ناقصة. هذه المشاكل يمكن حل بعضها بالتحليل التركيبي المحدد. فمثلاً يمكن إهمال ترتيب الكلمات في الجملة أو إهمال مفعول الكلمات المساعدة في الجملة. ويعني ذلك وضع قواعد لغوية مطابقة للترجمة الفورية الآلية.

وهذا يحدد نطاق الكلمات التي يستعملها المتكلم وطريقة نطقها وسرعة النطق وطول الجملة وصيغ التوقف بين الجمل...

وهناك محاولات لاستعمال الرسائل القصيرة على الهاتف النقال للترجمة وتمتاز بأنها

¹ Mohammed Aljlal, Ophir Frieder & David Grossman, **On Arabic-English Cross-Language Information Retrieval: A Machine Translation Approach.**
ieeexplore.ieee.org/iel5/7847/21600/01000351.pdf

² Ying Zhang, **Survey of Current Speech Translation Research, Language Technologies Institute,** Carnegie Mellon University. citeseer.ist.psu.edu/752690.htm

قصيرة ومحدودة المعجم وبأنها قابلة للتطور والتوسع.¹

المشاكل والحلول

مما سبق يتبين أن هناك الكثير من المشاكل التي تعاني منها الترجمة الآلية بوجه عام وما يخص اللغة العربية بوجه خاص، ونوجزها فيما يأتي:

1. عدم وجود معجم عربي محوسب.
2. قلة النصوص المترجمة بين اللغة العربية واللغات الأخرى التي يمكن الاستفادة منها في تكوين ذخيرة لغوية مفيدة للترجمة الآلية التي تستند إلى أسس إحصائية.
3. قلة الأبحاث اللغوية المتعلقة بالترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها وعدم وجود دعم كافٍ للبحث في هذا المجال، ومن ذلك البحث في التحليل الإحصائي وتعرف الأصوات ومشكلة الكلمات المتعددة المعاني ومشكلة التحليل الصرفي المشترك لفظياً ومشكلة فهم المعنى من السياق ومشكلة الإعراب والنحو ومشكلة الضبط بالشكل (بالحركات).

إن الحلول لهذه المشاكل تتلخص بما يأتي:

1. القيام بحملة توعية للقيادات السياسية والعلمية والجهات الداعمة للبحث العلمي على أهمية البحث العلمي في حوسبة اللغة العربية على نطاق المجامع اللغوية العربية وأقسام الحاسوب واللغة العربية واللسانيات في الجامعات العربية وتوجيه الأبحاث نحو التطبيق العملي.
2. تكوين قيادات بحثية في أقسام اللغة العربية ذات خلفية حاسوبية جيدة وفي أقسام الحاسوب ذات خلفيات جيدة باللغة العربية لكي يكون التواصل والبحث العلمي على أتم وجه.
3. السعي لجعل اللغة العربية لغة وسيطة للترجمة الآلية بين اللغات الشرقية كالتركية

¹ Avinash J. Agrawal, Manoj B. Chandak Mobile Interface for Domain Specific Machine Translation Using Short Messaging Service.
Ieeexplore.ieee.org/iel5/4151644/4151645/04151821.pdf?tp=&isnumber=&arnumber=4151821

والفارسية والأوردية والبنغالية والماليزية والسواحلية والكردية، والتواصل مع الجهات البحثية في هذه اللغات والإفادة من نتائج أبحاثها دون الإقلال من أهمية البحث العلمي في الترجمة الآلية من اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية أيضاً.

الخلاصة

اللغة العربية أمانة اليوم في أعناق هذا الجيل. فالتحديات التي تواجهها الأمة في النواحي الثقافية والفكرية والتقنية كلها ذات علاقة باللغة. لذلك فإن التقاعس عن خدمة اللغة العربية اليوم يؤثر في مستقبل الأجيال القادمة وفي نهضة الأمة وتقدمها.

الترجمة علم تطبيقي يخدم الأمة، وعلى اللغويين أخذ موقف عملي للحفاظ على اللغة من جهة وتقديم الخدمة لمن يتكلم باللغة بأفضل وجه. لأن الخيار الآخر هو عزوف العامة عن اللغة وإبدالها باللغات الأخرى أو اللهجات المحلية. على اللغويين بذل جهودهم في البحث التطبيقي للغة بما ييسر تعامل اللغة العربية مع الترجمة الآلية، وقد يحتاج ذلك إلى سلوك مسالك جديدة في أبحاث اللغة العربية، فإن التضحية ببعض جوانب اللغة أهون من التضحية باللغة كلها.

حين سُئل الزعيم الصيني ماوتسي تونغ عن رأيه بالثورة الفرنسية بعد مضي 200 عام عليها قال: من المبكر الحكم عليها الآن. ولذلك فمن المبكر الحكم على الترجمة الآلية اليوم بعد مضي نحو 50 سنة على بدء البحث العلمي فيها.¹

عند بدء البحث في الترجمة الآلية كان الهدف هو الوصول إلى ترجمة آلية لكل أنواع ومحتويات النصوص وبمستوى نوعية جيدة تكافئ المترجم البشري. لكن بعد وقت قصير تبين أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه في المدى المنظور، لكن كذلك تبين أن كثيراً من النصوص المترجمة بدقة غير عالية مفيدة للمترجمين لكي يقوموا بتحسينات عليها، كما أنها تعطي فكرة

¹ Nicola Ueffing, Hermann Ney, **Word-Level Confidence Estimation for Machine Translation**, RWTH Aachen University, portal.acm.org/citation.cfm?id=1220671.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

عامة عن الموضوع حينما لا تكون الدقة العالية ضرورية. وحينما يصبح بالإمكان استعمال الترجمة الآلية على الإنترنت والراديو والتلفاز والهاتف ستكون الترجمة الآلية جزءاً من هذه المعدات وسيكون استعمالها من كل البشر.¹

إن الترجمة الآلية اليوم هي بيد الحاسوبيين واللغويين. لكن بعد عقدين أو ثلاثة من الزمن وفي ضوء التطور الحاصل في قدرات الحواسيب يتوقع أن تتوفر حواسيب ذات قدرات تفوق حواسيب اليوم بمئات أو آلاف المرات وعندها يكون بإمكانها القيام بعمليات تسهل عملية الترجمة الآلية كثيراً. ولكن في ضوء العولمة والحاجة إلى التواصل بين البشر بلغاتهم المختلفة أليس من الأجدي استغلال الإمكانيات المتوفرة اليوم؟ وهل استغلت جهود المترجمين من البشر كما يجب لخدمة الترجمة الآلية؟²

نظراً لعدم الوصول إلى طريقة مثلى للترجمة حتى الآن وقد ننتظر عقدين أو أكثر من الزمن للوصول إلى طريقة عامة دقيقة للترجمة الآلية، فإن اعتماد أكثر من طريقة واحدة بالتوازي هو ما يجذب الآن. وهناك أبحاث عديدة تستند إلى اعتماد طرائق متعددة بوقت واحد لترجمة النص نفسه، ثم يُختار منها بعد ذلك. وتعتمد طريقة الترجمة الآلية على نوعية الترجمة المطلوبة من ناحية الدقة والرصانة اللغوية وعلى التكلفة المُرصدة وعلى الزمن المستغرق وفيما إذا كان النظام قابلاً للتحسين في المستقبل أم لا.³

¹ Gerd Willée, Bernhard Schröder, Hans-Christian Schmitz (eds.) John Hutchins, Computerlinguistik: was geht, was kommt? Computational Linguistics: Achievements and Perspectives. Festschrift für Winfried Lenders (Sankt Augustin: Gardez! Verlag, 2001), p. 159-162] Machine Translation Today and Tomorrow. www.hutchinsweb.me.uk/Lenders-2002.pdf

² Zhuang Xinglai, The Emerging Role of Translation Experts, in the coming MT Era, Translation Journal, Volume 6, No. 4 Oct. 2002

³ Fuji Ren and Hongchi Shi, Parallel Machine Translation: Principles and Practice. doi.ieeecomputersociety.org/10.1109/ICECCS.2001.930184

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

التعريف بمؤسسات ومكتبات عاملة في الترجمة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

مكتبة لبنان ناشرون والترجمة

نظرتها، دورها، مُنجزاتها

أ.د. جورج متري عبد المسيح

رئيس دائرة المعاجم - لبنان

استعملت كلمة (نظرتها) بدلاً من (سياستها) لأن دار مكتبة لبنان ناشرون منذ أُسست سنة 1944، قد وضعت أمامها ثلاث نعمات هي: نَعَم للعلم ونَعَم للمعرفة ونَعَم للثقافة، ووضعت ثلاث لاءات هي: لا للحساسة في الأديان والمذاهب ولا للسياسة ولا للجنس.

وشكّلت الترجمة وخصوصاً إلى العربية ركيزة هامة في صرح منشوراتها، إلى جانب ركائز التأليف والإعداد والتحقيق، وإعادة الطبع للكتب والمعاجم التراثية لتوفيرها للباحثين والطلبة...

ولأن دار مكتبة لبنان ناشرون تؤمن بالتعاون والتكامل والعمل الجماعي البعيد عن الأنانية - مُصيبة المصائب - فقد تعاونت مع مؤسسات ومُنظمات في العالمين العربي والغربي، وبخاصة في مجال الأعمال الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- لبنان: المركز التربوي للبحوث، دار النهار للنشر.
- سورية: مجمع اللغة العربية بدمشق، جامعة دمشق، جامعة حلب...
- الأردن: مجمع اللغة العربية الأردني، جامعة القدس المفتوحة.
- العراق: المجمع العلمي العراقي، الجامعة المستنصرية.
- مصر: مجمع اللغة العربية، جامعة الأزهر، جامعة القاهرة، مُنظمة الصحة العالمية،

التعريب العدد الثالث والأربعون - المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

خصوصاً الطَّبِيبَة.

- تونس: المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، معهد بورقبيّة للغات الحيّة.

- المملكة المغربيّة: مكتب تنسيق التّعريب.

- الكويت: المركز العربيّ للبحوث التّربويّة لدول الخليج.

- المملكة العربيّة السّعوديّة: وزارة التّربية/ مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التّقنيّة...

- فرنسا: شركة لاروس Larousse.

- بريطانيا: Longman Dictionaries, Harrap s Dictionaries, Collins Dictionaries,

York Dictionary.

- الولايات المتّحدة الأميركيّة: شركة مريام وبستر Merriam Webster s Dictionaries.

ولأنّ الدار تهدف إلى خدمة الثّقافة العربيّة والإسلاميّة بشكلٍ أساسيٍّ، فقد سعت لأن يكون المؤلّفون والباحثون والمترجمون من جميع البلاد العربيّة، ولهذا الغرض أسّست لها فروعاً في معظم البلاد العربيّة، ولا أرى ضرورة لتعداد مراكزها.

وإذا كانت المعاجم الثّلاثيّة اللّغة والمُتعدّدة اللّغات تُحسبُ في خانة المراجع للترجمة، وفي خانة التّرجمة كإنتاج، فإنّ ما أصدرته الدار من معاجم يُغطّي إلى جانب العربيّة اللّغات الآتية: الإنجليزيّة، الفرنسيّة، اللاتينيّة، الألمانيّة، الإيطاليّة، الإسبانيّة، الفارسيّة، التركيّة، الكرديّة، العبريّة، البابليّة، الآشوريّة، السّريانيّة...

وإذا كانت الثّور تقاس بالحقول التي خاضت غمارها في مجال التّرجمة، فإنّ إنتاج لبنان ناشرون شمل العلوم الطّبيعيّة، والرياضيّات، والعلوم الإنسانيّة، وموسوعات الثّقافة العربيّة والإسلاميّة...

وتُشكّل كتب الأطفال والناشئة مكتبة قائمة بذاتها، إذ نشرت ما يزيد على 400 كتاب مترجم

من سلسلة ليدي برد العالميّة (Ladybird Books).

ونشرت عشرات الكتب من سلسلة الفراشة (Butteerfly Books) المُماثلة لكتب DK

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

(Dorling Kindersley) الإنجليزية ضمن إنتاج مشترك بريطاني عربي.
ونشرت عشرات القصص في سلسلة السَّنابل مع الشركة المصرية العالمية للنشر
(Egyptian International Publishing Co.- Longman)، وهذه السلسلة إطلالة على الأدب
العالمي للنشء.

ولا بُدَّ من أن نعرِّج على سلسلة مَهاج وأنشطة الأطفال، وسلسلة خطوتي الأولى،
وسلاسل القواميس المصورة، وسلسلة الحكايات الموثوقة، وحيوانات أرضنا... والحكايات
المحبوبة، والتلّيتبز (Teletubbies)، والحكايات الشعبية، والقصص العالمية، التي نُقلت بلغة
مبسّطة تراعي الأمانة العلمية، وتُحافظ على متانة الأسلوب العربي، وقد تجاوزَ عدّها
الثلاثمئة كتاب...

أمّا سلسلة الحكايات العلمية التي تُعالج أنشطة العلوم مادّة مادّة، مَظاهر وأسباباً وتجارب...
فهي تُهدف إلى مُلاحقة ومُتابعة الاكتشافات العلمية بالنصّ والصورة.
وأمّا سلسلة أنشطة العلوم ودنيا التكنولوجيا للأطفال فهي تضع أطفالنا وناشئتنا أمام التطوُّر
في المَجالَات العلميّة.

وكيف ننسى الموسوعات العلميّة المبسّطة المدعّمة بصور ورسوم توضيحيّة، وبتمثيلات
بيانيّة علميّة، وقد راعت هذه التّرجمات قواعد التّربية الحديثة والتّواصل، للتلاميذ والطلاب
خصوصاً في الموسوعات الشّاملة:

- موسوعة جسم الإنسان الشّاملة.
- موسوعة كوكب الأرض الشّاملة.
- موسوعة الحيوانات الشّاملة.
- موسوعة الطّبيعة الشّاملة.
- الموسوعة الإلكترونيّة الشّاملة.
- موسوعة الكمبيوتر الميسّرة.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحَرَّم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- موسوعة الطاقة المستدامة.

إن الدار أخرجت، إضافةً إلى ما تقدّم، كتباً ومراجع عامّة تتعلّق بالترجمة كفنٍّ وصناعة، أذكر منها على سبيل المثال:

- التّرجمة الأدبيّة بين النّظريّة والتّطبيق/ د. محمد عناني.
- فنّ التّرجمة/ د. محمد عناني.
- مُرشدُ المترجم/ د. محمد عناني.
- التّرجمة وأدواتها/ د. علي القاسمي.

هذا الإنتاج المثلث في مجال التّرجمة أي:

- المترجم من لغة إلى أخرى.
- المساعد على التّرجمة كالمعاجم الثنائيّة اللّغة والمتعدّدة اللّغات، العامّة أو المتخصّصة.
- المراجع التي تُعالج فنّ التّرجمة.

هذا الإنتاج نهض على قواعد لا يمكن إغفالها أو تغافلها، وهذه أهمّها:

أ. لا يُقبلُ العمل إلا بعدَ دراسته: موضوعاً وُغرضاً وتوجّهاً ومُستوى، ولا يُرفض إلا بعد دراسته...

ب. لا مكان للنّشر الفوري... فكلّ عمل مقبول يدخل قسم التّحرير بالمعنى الشّامل للتّحرير الذي يشمل ضمان السّلامة فكرياً ولغةً وضبطاً... وكلّ ذلك بالتعاون مع المؤلّف.

ت. نطبّق المثل الشائع: "أعط خبزك للخباز" ونعني به هنا أن يكون المسؤول عن المراجعة اللّغويّة في الفرنسيّة أو الإنجليزيّة أو الإسبانيّة من أبناء اللّغة نفسها...

ث. فيما يخص ترجمة ألفاظ القرآن الكريم فإنّ الدار اعتمدت نسخة الملك فهد الإنجليزيّة (القرآن الكريم وترجمة معانيه وتفسيره إلى اللّغة الإنجليزيّة (THE HOLY QUR-ĀN) والنّسخة الفرنسيّة (القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللّغة الفرنسيّة (LE SAINT CORAN) ... وألّزمت المؤلّفين والمترجمين بهذا الأمر.

التعريب العدد الثالث والأربعون . المَحْرَم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

ج. وضعت الدار حاجة الطلاب هدفاً رئيسياً، ولذلك كَثُرَت المعاجم والكتب والقصص والسلاسل الموجهة إلى الطلاب خصوصاً.

ح. درست الدار الحاجات الثقافية غير المتوفرة لِسَدِّ هذا النقص بقطع النظر عن عدد المستفيدين... لأنَّ الأهمَّ عدم وجود ثغرات معرفية وخصوصاً في مجالات العلوم الحديثة من الحاسوب إلى الشبكة.

خ. ونظراً إلى أنَّ دار النشر هي وسيط ثقافيٍّ وهو فنٌّ خطير، فقد التزمت دار مكتبة لبنان ناشرون نمطاً في صناعة النشر من العيار الثقيل الذي لا يكتفي بالكتب والمراجع والمعاجم والموسوعات البسيطة السهلة التأليف والترجمة والإخراج، وإنما يتخطاها إلى أعمال في التحقيق والتأليف والترجمة تتواءم بها الدول والمؤسسات الرسمية، نذكر منها على سبيل المثال:

- سلسلة الموسوعات التراثية وعددها خمس منها: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، وجامع العلوم... وقد زُوِّدَت مُصطلحاتها العربية بمقابلاتها الإنجليزية والفرنسية وأحياناً الألمانية.

- سلسلة موسوعات العلوم وعددها ثماني موسوعات، كالمنطق والفلسفة والفقه... وقد زُوِّدَت مُصطلحاتها العربية بمقابلاتها الإنجليزية والفرنسية.

- سلسلة موسوعات مصطلحات أعلام الفكر العربي والإسلامي وعددها تسع موسوعات منها الكندي والغزالي وابن خلدون... وقد زُوِّدَت مُصطلحاتها العربية بمقابلاتها الإنجليزية والفرنسية.

- موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي المعاصر.

- الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي المماثلة للمرجع الفرنسي المشهور: Vocabulaire technique et critique de la philosophie الذي ألفه الفيلسوف الكبير André Lalande.

- تاسوعات أفلوطين للأب الدكتور فريد جبر، وهي أول ترجمة كاملة لهذا المؤلف النفيس

التعريب العدد الثالث والأربعون . المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

إلى العربية، وقد ترجمه عن اليونانية القديمة، واليونانية الحديثة، ثمَّ قارن ترجمته بالترجمات الألمانية والإنجليزية والفرنسية...

من رَحِم المُعَانَاة

- إذا كنت تبغي الربح عموماً والربح السريع خصوصاً فأنت لست مترجماً.
 - إذا لم تكن مُتمكناً من اللغتين فقد ظلمت نفسك وظلمت اللغتين والترجمة والقارئ.
 - إذا لم تقبل على عملك بفرح وتؤدّه ومحبّة وصبر... ولم تستعن بكلّ مرجع أو رأي... فأنت لن تكون مترجماً مُبدعاً.
 - إذا مرّ أمامك مصطلح (Cynisme) ورَفَضْتَ مُقَابِلَهُ العربيّ (الكَلْبِيَّة) ووضعت مكانه (الازدرائيّة) تكون قد وقعت في أخطاء أربعة:
- الأول: رفضك المصطلح الشائع في الأوساط العلميّة والمقبول مجمعيّاً.
- الثاني: نقضك مُقدّماتك التي قلت فيها بأنك ستحترم ما وافقت عليه المجامع.
- الثالث: عدم تبرير عزوفك عن المُصطلح المعروف.
- الرابع: عدم لَفَتِ النَّظَرِ إلى سبب التسمية كي لا يحصل التباس...
- إذا علّمت أنّ بعض المؤلّفين لم يكن راضياً على بعض ترجمات كتبه، فأوكل المهمّة إلى مترجم ثانٍ، لأنّ الأوّل لم يحافظ على روح أسلوبه ومعانيه، أو لم يكن راضياً عن نفسه، فترجم كتابه أكثر من مرّة؛ فإنّ عدم الرضى هذا يَدْفَعُكَ أنت إلى التروّي قبل الإقدام على ولوج عالم الترجمة الشائك والشاق، خصوصاً أنّ المترجم الأمين قد يُنْهَم بالخيانة (Traduttore, traditore)، فكيف إذا كبا به السّر وعثر في عالم الترجمة الكثير المزالق؟!
 - إذا علّمت أنّنا حين كنّا بصدد ضَبْطِ مُعْجَمِ المُصطلحات الحاسوبية ألزمتنا المؤلّف العودة إلى اللّغة الإنجليزيّة لكي نتمكّن من ضَبْطِ المداخل المُركّبة ضَبْطاً إعرابياً!
 - وأخبرك بخفر وحياء أنّي عندما كنت أضبطُ (تاسوعات أفلوطين) وما أدراك ما أفلوطين! وقف ثلاثة من مساعدي الدكتور فريد جبر، واعترضوا على ضبط وتشكيل مقطع من ستّة

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم/ كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

أسطر، لأنّ هذا الضبط يخون فكرة أفلوطين ويحوّرها... فقلت لهم: أنا لا أترجم، ولست خبيراً بالترجمة، ولكن أقرأ النصّ العربيّ وأحاول الوصول إلى حقيقة المعاني... هكذا فهمت، وعلى أساس هذا الفهم شكّلتُ هذا المقطع. لأننا كنا بحضرة المترجم أي الأب الدكتور فريد جبر فقد عرضنا عليه المسألة، فقرأ النصّ العربيّ المختلّف فيه، وتناول من وراء مقعده في مكتبه في دير المعازرية في الأشرافية تاسوعات أفلوطين باليونانية، وتأمل الفقرة المختلّف فيها، ثمّ قرأ النصّ بالترجمة الألمانية والإنجليزية، وبعد تفكّر وتدبّر شرّح لنا المعنى المقصود فسحبَ المعترضون اعتراضهم...

• وأخبرك بدون خفر وحياء أنّ أحدَ الموظفين في لبنان طلبَ مِنّي أن أضعَ له مقابلاً عربياً "مُحترماً" للكلمة الفرنسية: (Client) لأنّ الموجود والمتداول في العربية هو: زبون أو عميل، وهما يحملان دلالات ذات طابع غير مُستحبّ، على الأقلّ بالنسبة إليه. قلتُ له: يا صاحبي، ليس عندي الآن أيّ مقابل غير الموجود والمستعمل... وأعدك بأنني سأفكّر وأسأل، فإذا لم أتوصّل إلى جواب (روح شوف زبون غيري)... وصادفَ عندما كنت في إحدى زياراتي لتونس أن وقَعَ بصري على مُقابلٍ عربيّ في اللائحة المُخصّصة لتنظيف الثياب، وهذا المُقابل هو (حريف)، فلفت نظري الأمر من عدّة نواحٍ الأولى: أنّ هذا اللفظ غير معروف في المشرق العربيّ بهذا المعنى...

الثانية: أنّ هذا اللفظ عربيّ النّجار...

الثالثة: أنّ معاجمنا العربية سجّلت كل (حريف) معنى المُعامل في الحرفة، أمّا معاجمنا الثنائية اللغة، كمعجم عبد النور (عربيّ فرنسيّ) فقد وَضَعَ مُقابل (حريف) (Compagnon de métier).

فسألت أخي وصديقي الدكتور عبد اللطيف عبيد، وهو مترجم مُترجم، وليس مُتطفلاً على الحرفة مثلي... عن مصدر الكلمة وسبب استعمالها فأجابني: على الأرجح أنّ الزّبون الذي يتردّد على التاجر للشراء يصبح كأنّه مُشارك له في حرفته، وبهذا المعنى فإنّ كلمة حريف فعيل بمعنى مُفاعل...

التعريب العدد الثالث والأربعون - المهرم / كانون الأول (ديسمبر) 2012 م

- وأخيراً وليس آخراً أي مُنتهى ما لديّ، أُخبرك بِجَزِيئةٍ مُعبرةٍ تَتعلّق بِتَعَدُّدِ المُقابِلاتِ العَرَبِيَّةِ للمصطلح (Glossaire) أو (Glossary) آمِلاً العُثورَ على مُصطلحٍ واحدٍ مُناسبٍ.

فَتَشَتْ فِي المَعاجِمِ فَعَثَرَتْ عَلَى المُقابِلاتِ العَرَبِيَّةِ الآتِيَةِ:

1. معجم (وبخاصّةٍ للكلمات العويصة) // معجم عبد النور / فرنسيّ عربيّ.
2. مَسْرَدُ بالكلمات العسيرة مع شرح لها/ المورد/ إنجليزيّ عربيّ.
3. معجم (لشرح الكلمات العويصة) // الكامل الوسيط/ فرنسيّ عربيّ.
4. مُعْجَمُ مُصْطَلَحات، مَسْرَدُ الكلمات الخاصّة بعلم ما/ النفيس/ إنجليزيّ عربيّ.
5. جَدْوَلُ بتفسيرات أو شروح لكلمات أو مَعانٍ/ المغني الأكبر/ إنجليزيّ عربيّ.
6. مَسْرَد، مُعْجَمُ بالألفاظ الصَّعبة (الواردة في الكتاب) // معجم المُصطلحات العلميّة والفنيّة والهندسيّة الجديد/ إنجليزيّ عربيّ.

وَفَتَشَتْ فِي أواخرِ الكُتبِ العَرَبِيَّةِ أي في المكان المُخصَّص للملاحق والمَسارِد... فَعَثَرَتْ

على:

1. ثَبِتٌ.
2. ثَبِتٌ شارح.
3. مَسْرَدُ شارح.
4. مُعْجَم.
5. فِهْرَس.
6. فِهْرَسَت.

وَفَتَشَتْ فِي الكُتبِ الصادرة عن المُنظَّمة العَرَبِيَّةِ لِلترجمة فَعَثَرَتْ على:

1. ثَبِتُ المُصْطَلَحات/ العلم والفرضيّة.
2. ثَبِتُ المُصْطَلَحات/ مغامرة الكائن الحيّ.
3. ثَبِتُ تعريفِيّ/ التداوُلِيّة اليوم.

4. الثَّبْتُ التعرِيفي/ في نَظَرِيَّةِ التَّرْجَمَةِ.

لم أعر على ضالتي، فقررت أن أدلّو بدلوي، علني أجد مقابل المصطلح الأجنبيّ (Glossaire) أو (Glossary) مُصطلحاً عربيّاً واحداً. فاستعرت من موسوعة (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) للتهانوي كلمة (كشاف)، واقترحت أن تدخل المعاجم الثنائية اللغة أو المُتعدّدة اللُّغات، في مرحلة أولى، فإذا شاعت وعمت فلا شيء يحول دون دخولها المعاجم العربية اللُّغويّة.

وقد وافق على اقتراحي الأخ الباحث الأستاذ نبيل الزُّهيري، وتحمّس له الصديق الدكتور سعد مصلوح، واعترض عليه الدكتور عبد اللطيف عبيد الذي يرى أن كلمة كشاف جرى استعمالها مُرادفاً لكلمة مَسرد أو فهرس كما فعل الأستاذ وجدي رزق غالي في (مُعجم المُعجمات العربيّة).

هذا الاقتراح هو: للعرض لا للفرض، وللإفهام لا للاتهام، وللإشارة لا للإنارة. إن مسألة قبول اللفظ الجديد، أو رفضه، أو التحفظ عليه، هذه كلّها لا يخضع حلّها للمنطق والعقل، لأنّ للألفاظ مسارات لا تتحكّم بها ثنائيات: الثقل والخفة، الطول والقصر، البساطة والتّركيب... وإلا فكيف نفسر شيوع الباذنجان (الدّاخلية)، وكساد الدّجّر (الأصلية)؟ وكيف نفسر وجود أنيمومتر (الدّخيلة) في الكتب الصّادرة عن وزارات التّربية في أكثر من بلد عربيّ، وغياب مرّتاح (الأصلية)؟!

هذه الاستفهامات تحتاج إلى اهتمام وعناية وإرادة وعقل وانكباب... وإلى تسخير الإعلام بكلّ وسائطه، لمدّ جسور الثقافة والعلم والمعرفة في العالم العربيّ... وتحتاج قبل كلّ شيء وبعدّه إلى الإبداع في مجالات العلم كي نخلع ثوب التّخلف والتّبعيّة، ونسير في دروب التّطور والريادة...